محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المحبوسة



دار المستقبل العربي

٢٠٠ قرشاً

محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المحبوسة



دار المستقبل العربي

صمم الغلاف : سعد عبد الوهاب

دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت • مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٨٣

اهـــــداء

الى الرجـــل الذى علمنى كيف أتكـــلم وكيف أمشى وكيف أكتب وكيف اكون شريفا ٠

الى والذى الذى هجـــر سريره ونام على الأرض طـول فترة نومى على الأرض فى الأسر ٠

محمد حسين يونس

مقدمة

بقلم : محسن الخياط

هذا الكتاب .. وهذا المؤلف

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الأيام الستة التى عرفت بأيام النكسة .. وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك .. ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته ، لكثير من السلبيات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للانسان المصرى والعربى على ضوء تخطى السلبيات وتجنب الوقوع فيها ..

واذا كان من سلبيات المعركة عدم التدريب الكافى للقوات المسلحة ونقص المعدات الحربية والزج بالاحتياطى غير المدرب فى المعركة والخلل الذى اصاب القيادة العسكرية نفسها .. فان ذلك لا يعنى بالضرورة أن حرب أكتوبر كانت التصحيح لهذا الوضع الذى كانت عليه القوات المسلحة فتصحيح الأوضاع فى القوات المسلحة قد بدأ مباشرة بعد النكسة واتخذت المعركة فى الثلاث سنوات التالية للنكسة طابع الصمود ثم الاستنزاف الذى جاء نتيجة مباشرة لتدريبات مكنته على القتال وعلى عبور القنال بل وتم فى تلك الفترة تدمير أجزاء كبيرة من خط بارليف .. ومن هنا فان معارك الاستنزاف والتدريبات الشاقة هى التى فتحت الطريق أمام القوات المسلحة لعبور القناة وانهاء خط بارليف .

وقد نتفق جميعا مع المؤلف فى أن غيبة الديمقراطية وحرية الرأى قد يكون لهما اثر مباشر فى مسار المعارك الوطنية .. ولكن الذى حدث أن حرب اكتوبر وعبور القناة قد تم أيضا فى غيبه الديمقراطية .

وفى غيبة الديمقراطية أيضا فقدت حرب اكتوبر الكثير من ايجابياتها فقد أثبتت الحرب مقدرة المقاتل المصرى العربى على القتال والصمود وأكدت امكـــانية التحرك من موقع التفوق والقـــوة ولكن الذى حـــدث ترك خلفه من السلبيات ما نعانى من خطورته سواء فى « طابا » أو فى غزو لبنـــــان البربرى الذى وضع الأمة العربية فى وضع لا تحسد عليه لقد وضعت هزيمة ٦٧ الشعب المصرى فى موقف الصمود والتصدى بينما لم يحقق انتصـــار أكتوبر فى غيبة الديمقراطية سوى النتائج التى وصلت اليها المفاوضات والتى كان أكثرها بروزا اقدام اسرائيل على تحقيق أطماعها التوسعية بقوة السلاح .. متجاهلة كل دعاويها للسلام .

وكل ما تم بعـد عام ١٩٧٣ تم فى غيبة كاملة للديمقراطية بالرغم من وجود المنابر وتحولها الى أحزاب فيما بعد ..

فالديمقراطية الليبرالية لا تقوم بقرارات فوقية .. ولكنها حق طبيعى لكل الطبقات التى لها الحق فى تشكيل أحزابها والتعبير عن رأيها .. حـق يكفله دستور ليس من صنع فرد أو أفراد ولكنه من صـنع الشـعب الممثل فى جمعية تأسيسية منتخبه من اجل وضع دستور يقنن لمكتسبات الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وعلى أى حال ، فالمؤلف ــ شأنه شأن أى مقاتل فى صـفوف القـوات المسلحة ــ قد صدمته حقيقة النكسة .. وهو يسرد الأحداث كما رآها بعينى رأسه ، وهو لا يفقد الأمل فى المقاتل الفرد حين يلتقى بأحد الأبطال الذين فجروا مستودعات للذخيرة فى الأرض المحتلة ــ حتى يرى مع مستقبل الايام كيف تمكن الجندى المصرى الشجاع من اقتحام القناة فى عام ١٩٧٣ ورفع علم مصر على أرض سيناء المحتلة .

وهو نفسه .. ذلك الجندى الواعى الذى يفيق من الشـــلل المؤقت ليواجه بشجاعة مأساته ورفاقه فى معتقل « عتليت » الاسرائيلى .. حيث يتمكن جميع الأسرى من تنظيم صفوفهم فى النهاية فى مواجهة العدو المنتصر المتعجرف .

ولعل أخطر ما يتعرض له المؤلف فى كتابه هو الفصل الذى يتحدث فيه عن الاستلاب الفكرى الذى مارسته قوى الغزو الاسرائيلى على أسرانا

فى معتقل « عتليت » فقد استفاد الاسرائيليون الوافدون فى كافة أنحاء العالم ‥ استفادوا من خبرات كل المعتقلات الفاشية والنازية ‥ وبعد دراسة لتلك الخبرات ‥ توصلوا الى أن التعذيب البدنى والتهديد بالابادة الشاملة ـ ليس وحده كافيا لاستدراج الاسير الى الاعتراف أو الادلاء بمعلومات هامة ـ ليس وحده كافيا لتحويل الأسرى أو بعضا منهم الى عملاء لهم فى وطنهم ـ ادركوا أن الاساليب الاكثر ايجابية هى تفريغ العقل العربى من كل المثل والقيم التى عاش لها وآمن بها ـ وتقويض كل ما آمن به من مسلمات عن الوطن والدفاع عن النفس والحرية والديمقراطية ٠

ويدرك القارىء أحداث معتقل « عتليت » انهم كانوا بارعين فى بذر عدم الثقة فى نفس الانسان العربى ، وتشكيكه فى كل شىء ‥ فى قيادته ‥ فى انتمائه القومى ‥ وتجميل وجه العدوان الاسرائيلى الذى يبرره الدفاع عن النفس وليس طرد شعب بأكمله من وطنه ‥ فهم يمدونهم بكل ما يزرع فيهم عدم الثقة فى كل شىء ‥ مستغلين فى ذلك المجلات والكتيبات والشائعات المختلفة المتقنة الصنع ‥ وهم يصطحبون أسراهم بعد فترات ترويض وتخويف نسبية ، فى رحلات استكشافية لحياة الانسان الاسرائيلى ـ ايهاما للاسرى بحضارة مزيفة ‥ ومعانى للتحضر والديمقراطية ‥ لا يمتلك مفاتيحها فى المنطقة سوى « شعب الله المختار » ٠

ولكنهم فى بعض المواقف ‥ يحدث ما يكشف عورتهم ‥ فيحسون بأنهم قد أخطأوا الطريق ـ فيغيرون من أساليبهم ‥ ويغيرون أيضا خرائط الرحلات المعدة سلفا ـ

ويفضح الكاتب من خلال رؤية صديقنا الراوى خرافة الكيبوتزات الاسرائيلية التى اتخذت مظهرا اشتراكيا ‥ ولكنها وضعت أفرادها فى وضع لا يمكنهم الفكاك من الأرض والا ماتوا جميعا هالكين ـ وبهذا يصبحون أداة طيعة فى يد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ـ يشاركون بالأمر وتحت واقع الارتباط الاجبارى بالأرض فى تحقيق الأطماع الصهيونية فى التوسع واحتلال أرض الغير بالقوة ـ وقد كشفت أحداث لبنان المأساوية الأخيرة والغزو الاسرائيلى البربرى لها ‥ أن كلمات الدفاع عن النفس التى طالما تحدثوا بها لأسرى ٦٧ لم تكن سوى بعض فقاقيع الهواء فى زجاج مياه غازية ‥

ويطرح المؤلف فى روايته لأحداث حرب ٦٧ قضية التحدى الحضارى ـ تلك القضية التى همس له بها أحد الأصدقاء العرب بالناصرة ـ فالتحضر الاسرائيلى المستورد ـ لا يمكن مواجهته بحضارة أخرى مستوردة ـ حضارة لم تستنبت فى واقعنا ‥ ولكن من الممكن مواجهتها بحضارة أمة تمتد جذورها

الى تاريخها ٠٠ حضارة تنمو فى جو طبيعى ـ تضع الانسان العربى فى مقدمة الشعوب المتحضرة ٠٠ تدرك أسباب تخلفه من فقر وجهل وامية وقدرية وتدفع به الى الأمام الى مستقبل أفضل ، يقف بتحد فى المواجهة للتحضر الاسرائيلى المزيف ٠٠.

ان المؤلف وهو بحق ابن جيل عاش فترة الصراعات الوطنية ، ضد قوى الاستعمار الامبريالية ٠٠ عاش ثورة ٢٣ يوليو ومجانية التعليم ، وخروج الانجليز من مصر وتأميم القناة ـ وبناء مئات المصانع ٠٠ وارتفاع السد العالى وعاش القومية العربية حركة عدم الانحياز ـ عمل فى جيش مصر ـ وعاش يحلم ببناء وطن متحضر يتطور فيه المد الثقافى والفكرى الذى عاش فى الستينات من خلال الكتاب والفيلم والرواية والمسرحية والأغنية ٠٠ هو نفسه الذى عاش انتكاسات الثورة وتهرته أحيانا السلبية والخوف ٠

أن كتاب « خطوات على الأرض المحبوسة » الذى تقدم على نشره دار المستقبل العربى بالرغم من مرور ١٥ عاما على أحداث ٦٧ يضع الشعب المصرى أمام مسئولياته الحقيقية ـ فأحداث ٦٧ وما أصاب الأمة العربية بسببها كانت نذيرا بالخطر الذى يتهدد المنطقة بأكملها ٠٠ كما أن نتائج حرب ٧٣ لم تنجح فى ازالة هذا الخطر ٠٠ فالغزو الاسرائيلى للبنان أكد استمرار الخطر وبشاعته ٠٠ ولا مفر من اعادة صياغة المجتمع العربى بأكمله ٠٠ وهى مهمة ملقاة على عاتق الشعب العربى كله ٠٠ بحيث يمسك المجتمع العربى بأسباب التحضر الحقيقى بأوسع معانيه التى تتمثل فى رفع المعاناة ودحر الفقر والأمية والقضاء على السلبية والقدرية ٠٠ مجتمع يخطو بخطى ثابتة نحو آفاق تشيع فيها روح الديمقراطية وتصبح فيها وسيلة للتطور وليست غاية فى حد ذاتها ٠٠ حتى يمكن لهذه الأمة بأصالتها وتاريخها وروحها المتحضرة من الوقوف فى وجه الخطر الزاحف عليها ٠٠

أخيرا ، لا يفوتنى أن أنوه أن هذا العمل التسجيلى الروائى قد كتب باحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى ٠٠ وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها ٠٠ ويلفحها بالكرباج ـ حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده ٠٠

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل ٠

محسن الخياط

١٩٨٢/١٢/٢٠

الفصـل الأول

٥ يونيـــو ١٩٦٧

الفرق بين الانسان والحيوان ·· أن الانسان حيوان قادر على التجريد أي يمكنه أن يحول الرموز الى كائنات ···· تولد وتنمو وتمرض وتموت فى بعض الأحيان ... وكلما كان لدى الانســـان القدرة على التجريد كلما أصبح اكثر انسانية ·· وصديقنا الذى ســـنتكلم عنه كانت لديه قدرات فائقة على التجريد وكانت الكلمات لديه تحمل مذاقا ورائحة ولونا وشـــكلا ترتبط بعلاقات مركبة شديدة التعقيد ·· قد يكون لدراسته اثر فى ذلك فهو مهندس معمارى يبنى القصـــور فى مخيلته ثم يضـــعها رموزا على الورق ثم يراها تنمو وتكمل بالخرسانة والحديد والطوب والزجاج وقد تكون الأحداث التى مر بها قد صقلته فجعلته اكثر انسانية وأكثر تفاعلا مع الأحداث ··

فى صباح هذا اليوم وكان يوم اتمام استرجاع ســـيناء ··· ورفع أعلام مصر على مدنها الرئيسية عندما قلت له « صباح ســـيناء » امتلأت عيناه بالدموع وسألنى وما هى سيناء بالنسبة لك ؟! ثم اكمل - مساحة من الأرض الصحراوية يفصلها عن الوادى خليج وقناة السويس وفى احسن الاحوال مصدر لعديد من المواد الخام !!

كنت أعرف أنه مر بظروف صعبة خلال حرب ٦٧ عندما فقدناها نقـد اسر فى ذلك الوقت واغلب الظن أن تجربة الاسر هذه أثرت فى تكوينه النفسى والعقلى والاجتمـاعى فقد كنت أعرفه من زمن أبعد من ذلك اليـوم الـذى جلس فيه معى يتكلم عن أسباب هزيمة ٥ يونيه · وشـــعرت بالتعـاطف معــه عنـــدما قـال أن الهـــزيمة ليســـت هزيمة جيش وانمـــا هزيمة مجتمع · وتقابلنا بعد ذلك كثيرا ودارت بيننا حوارات عديدة ···

اكمل : يا صديقى هل نمت يوما تحت ظلال النخيل على شاطىء ذى رمل أبيض ناعم وأمامك بحر ذو زرقة شديدة هادىء ٠٠ ويتجول حولك أسراب من الماعز التى ترعى فى سلام ٠٠ ان لم تفعل فأنت لا تعرف سيناء ٠

هل قذفت فى يوم بحبل صغير فى نهايته شص لبحر كثير العطاء ٠٠ فمنحك أغلى ما عنده من أسماك ٠٠ هل شاهدت الفجر من خلال أشجار النخيل أو من خلف جبل وأنت تتحرك على الطريق ٠٠ هل جلست فى يوم تشاهد الشمس وهى تسقط فى البحر وتترك خلفها غلالات صفراء تكسو الافق ٠٠ هل عاشرت بشرا يسهرون طول الليل حولك يحرسونك لانك تهذى من الحمى حتى تشفى ٠٠ هل عطشت حتى الموت ثم اندفع الى حلقك سرسوب من اللبن الدافىء من ثدى عنزة وهبت لك الحياة ٠٠ هل شممت رائحة زهور البرتقال تلفك من كل جانب ٠٠ هذه هى سيناء ٠٠ هل حلمت بالمستقبل وبنيت المدارس والوحدات الصحية والاجتماعية المتناثرة على مسافات لا تقل عن المائة كيلو بين الواحدة والاخرى وشاهدت الأطفال والنساء وهن يملأنها ٠

هذه هى سيناء بالنسبة لى ٠٠ ثم صمت قليلا وتابع كلامه فى حزن ٠٠

يا عزيزى ـ سيناء كانت مريضة ٠٠ لقد تركناها وهربنا ٠٠ فحبسوها عنا وحبسونا عنها ٠٠ وداسوها بالأقدام ٠٠ وعرضوها فى المعارض والمتاحف والكبريهات ٠٠٠٠ سيناء مريضة وستبقى مريضة حتى نهتم بعلاجها ٠٠

كان يتكلم كما لو كان يحلم ٠٠ لقد كان يكبرنا قليلا ٠٠ ولكنه كان يشعر بأن هناك فارقا ضخما بيننا ٠٠ وكان يصر على ذلك ففى تصوره أن الأحداث التى مرت على العالم ومصر خلال الاربعين عاما الماضية فصلت الأجيال بشكل تعسفى ٠٠ جعلتها بحيث تصبح لعدد أصابع اليد من السنوات ذات فارق محسوس فى تشكيل البشر وتميزهم ٠٠٠٠

ولد صديقنا فى حارة من حوارى القاهرة فى أول ليلة يتصف فيها الالمان مدينة القاهرة ٠٠ ونقلوا والدته الى المخبأ وهى تلده فاستقبل الحياة بين صرخات الزعر والرعب وطلقات المدفعية المضادة للطائرات والاضواء الكاشفة وأصوات القنابل والانفجارات وكان مقدمه ايذانا ببدء الازمة الاقتصادية فى مصر ٠٠ وفى عائلته ٠ وكان يرى الجنود الانجليز ببنطلوناتهم القصيرة

ووجوههم الحمراء وهم جالسون على افاريز شبابيك ثكناتهم يقذفون المارة بقشر الفاكهة والعلب الفارغة وكان يلحظ بذكاء شديد نفور والده واهله منهم هو الاخر حتى عندما لاعبه أحدهم وحاول أن يمنحه قطعة من الشيكولاته رفضـــها ٠٠

وعندما أخلى الانجليز هذه الثكنات رفعه والده فوق كتفيه ليشـــاهد الملك فاروق وهو يرفع علم مصر بدلا من العلم الانجليزى لقد أثر فيه هــذا المشــهد كان يقول لنا : أنتم لم تروا هذا ٠ لقد ولدتم ولم يكن على أرض مصر جندى انجليزى واحد ٠٠ ومع ذلك لم نستطع أن نحافظ على استقلالنا ٠

قلت له : هل تريد زيارة ســيناء الان ٠

قال : وما جدوى الزيارة المهم أن نحافظ عليها ٠٠ المهم أن نعالجها ٠٠ لا أريد أن أرى اليوم الذى يرفع فيه علم اخر غير علم بلدنا على أى جــزء من اجزاءها ٠ هل جلست فى يوم على شاطىء القنال وفى مواجهتك علم اسرائيلى يرفرف على الجانب الاخر ولا تستطيع العبور لتنزعه ؟

قبل قيام الثورة كان صديقنا مازال طفلا صغيرا وكان والده يصـحبه معه ليشهد ـ الاجتماعات السياسية التى كانت تقيمها أحزاب المعارضة وتعلم القراءة فى صحفها وكان يشترك فى المظاهرات التى تندد بالملك والحكم الفاسد والاحتلال ٠٠ كان لا يستوعب ما يقال حوله ٠٠ ولكنه تعلم كيف انه وفى ظل الديمقراطية والحرية يمكن أن يتحول البشر الى بشر ايجابيين ولو طاردهم جنود بلوكات النظام والبوليس الســياسى ٠

٠ وعندما قامت الثورة ٠٠ تصور أن كل مشاكل بلده قد انتهت ولم يبق الا أن يعمل الجميع بجد لبناء الوطن كان متحسا الى اقصى درجة لتاميم القناة ٠٠ والدفاع ضد العدوان الثلاثى ٠٠ وبناء السد العالى ٠ وهكذا عندما تخرج من كليته كان تصوره أن دوره الاساسى هو أن يعمل وباخلاص وذكاء تحت راية الثورة فى جيش البناء ٠

لقد كان ابنا للثورة ٠٠ تعلم تحت مظلة مجانية التعليم وتكونت أفكاره وعلاقته بالعالم من خــلال رحيقها ٠

سألته : وما تصورك لكيفية المحافظة على سيناء ٠

رد : دع كل الزهور تتفتح ومائة فكرة تتصارع ... نحن ما زلنا لا ننظر الا تحت أقدامنا ٠٠ رغم أن عصرنا أصبح عصرا للجماهير صانعة الحياة يجب أن نتكلم لغة العصر ..

عندما سأله قائد الكتيبة هل تريد الذهاب لليمن - اجاب : ولماذا ؟؟ ليس لدى أولاد فى سن الزواج او زوجة مريضة اريد علاجها او منزل لم يتم بناؤه واريد استكماله ٠٠٠

سأله : وهل هذه هى الاسباب فقــط ؟؟ أجاب : هذا ملخص الطلبات المقدمة للمشــير بغرض السفر لليمن من مئات الطالبين ٠٠٠

لقد كان يلاحظ ما حوله من سلبيات ولكن كعادة أهله يطلق النكات فقط ٠٠,٠٠ ولا يقاومها ٠٠ وسافر ٠

وفى اليمن تعلم الكثير ٠

كان أول دروسه عندما سأله زميل أكبر سنا عن طريقة تصرفه فى أول بدل سفر له ٠٠,٠٠ عندما أجاب بأنه أشترى نظارة بيرسول ٠٠ رد الآخــر يا خسارة كان لدى الأمل فى جيلكم ثم أردف نحن جيل عاش محروما ومقهورا بواســطة كرابيج الاقطاع والبشــوات فتلفنا أما أنتم فما عذركم ٠٠ كل الاشياء الكبيرة تبدأ بتنازلات صغيرة ٠٠٠ اليوم اشــتريت نظارة فبدلة فولاعة ٠٠ ثم تغير البوتاجاز لانه صغير ثم الثلاجة لان المستورد أفضــل ولا مانع من بعض قطع الموارنو والسجاجيد ثم عربة صغيرة تكبر والشقة تصبح فيلا ولا تنتهى الطلبات ونحتاج لنقود فنبيع كل شىء حتى نفسك ٠

كذلك تعلم كيف تفتت الجيش الى قطع صغيرة غير متجانســة ٠٠ وانخفضت كميات أسلحته ٠٠ وكيف أصبح الاهتمام الأكبر للرجال هو جمع أكبر قدر من الاموال من خلال بدلات السفر وتهريب العملة واستجلاب البضائع المستوردة ٠٠ وكيف انحطت الكفاءة القتالية للجيش ٠٠

وفى النهاية أدرك أن القيادة قد وقعت فى المصيدة التى نصبت لها لاضعافها وتشتيتها فى حــرب اليمن ٠

ويعود صديقنا محملا بالهموم ويتحدث عما شاهده من تصرفات البعض في تهريب السجاير والسلع والاستهتار بارواح البشر واصدار تعليمات وأوامر غير مدروسة وعفوية ٠٠

- سألته وما لغة العصر ٠٠٠٠ !!

رد : عندما تكلمنا لغة العصر بعد الهزيمة ٠٠ كان معناها ٠٠ عمل خطة واستكمال المعدات ٠٠٠ وتدريب الافراد عشرات المرات وتفهم جيد لمهامهم القتالية ٠ ودراسة الموقف سياسيا واقتصاديا ٠٠ ثم التطبيق ٠٠ فاستطعنا أن نجبر سد بارليف ونحقق موقفا متوازنا أمام القوات الاسرائيلية ان لم يكن انتصارا ٠

هذه هي لغة العصر ٠٠ وما تم بعد ذلك من معارك سياسية انتهت بجلاء القوات الاسرائيلية حتى حدودنا الدولية ٠٠ هو لغة العصر ٠٠ ولكن هل ستستمر هذه اللغة ٠٠ يتوقف هذا على هامش الديمقراطية والحرية اللذين سوف يتمتع بهما الشعب المصرى ٠٠ وعلى قدر الحرية ستزيد المبادرة الفردية والجماعية ٠٠ قد يستغرق هذا أجيالا حتى نسوى حسابنا مع أمراض الماضى ولكن هناك أملا !! أما في غيبة الحرية والديمقراطية ٠٠ فلا أمل على الاطلاق ٠٠

يوم عاد صديقنا من اليمن ٠٠ كان يمثل مقدمة كتيبته التى تقلصت بعد ترك نصف قوتها في اليمن ٠٠ وكانت هناك حركة تنقلات مفاجئة في القيادات أتت بقائد جديد ورئيس عمليات جديد ٠٠ اللذين اجتمعا بهم ليحدثاهم عن سياستهما في ادارة الكتيبة ٠٠ والتى تتلخص في الحصول على أفضل تقدير اثناء التفتيش عليهم من هيئة التدريب ٠٠ ولذلك كان عليهم تجهيز فصول للتدريب وملئها بمساعدات التدريب ٠٠ ودهان وترميم بناء المعسكر واستكمال بعض المنشئات وأهمها بوابة فاخرة وملء نماذج التدريب وتجليد الدفاتر الخ من مهام عديدة تتصل بالظهور بمظهر مناسب أمام اللجنة ٠

وكان على صديقنا بصفته معماريا يقع العبء الاكبر ٠٠ على أن يتم قبل ١٥ مايو ١٩٦٧ وهو اليوم المحدد لزيارة اللجنة ٠ وكان قد تعود على عدد المهام بل اتقنها خلال الفترات السابقة لخدمته لذلك لم يتذمر ٠ حتى كان يوما ينظم مكتبة وحدته يرتبها ويصنفها ٠٠ فعثر على كتاب أسمه (كتيبة ومعركة)

قصة سوفيتية حاول استطلاعها فقرأ أول صفحة ثم ثانى صفحة ولم يستطع أن يتوقف حتى حضر الميكروباس الذى ينقلهم لمنازلهم ركبه وهو مســـتمر فى القراءة صعد الى شقته وهو مازال يقرا ·· جلس على أقرب كرسى وظل يقراء حتى أنهى الكتاب ·· كان يقص قصة كتيبة سوفيتية فى الحرب العالمية الثانية أثناء حصار موسكو بواسطة الالمان وكيف أن قائد الكتيبة استلم جنودها رجالا مدنيين بملابســهم المدنية ثم كيف دربهم حتى تحولوا الى جنود دخل بهم معركة دفاعية وهجومين · يقص من خلال قصة مشوقة للغاية كيف تغلب هؤلاء المدنيون على عقبات لا نهائية فى ميدان القتال ·

وتغير صديقنا ـ أصبح لا ينام ··· يراجع كل افكاره وموقعه من العالم والحياة ·· ويقارن بين ما تم فى هذه الحرب وما يتم فى الجيش فى ذلك الوقت ··· ان الحرب تحتاج الى تدريب وفهم وعلم ·· ان كل ما يعمله الان هو من قبيل الغش ··· غش فى حياة أفراد ومصير أمة وشعب · عندما حمل أفكاره وهمومه لزملائه ····· سخروا منه ·· عندما ناقش قادته قالوا له اهتم بما هو فى اختصاصك فقط ·

وكان وكانوا يعللون النفس بأنهم لن يشهدوا حربا حقيقية فى يوم ما · ولكن للأسف كان اليوم أقرب مما يتصورون ·

سألته : ولكن الديمقراطية والحرية تحتاج لشــعب متعلم ونحن نسبة الامية لدينا لا تقل عن ثمانين بالمائة ·

رد : ليس قفزا فوق الواقع ولا استسلاما لتخلفه ··· علينا أن نتعامل مع مجتمعنا من خلال واقعنا ·· ان الممارسة والعمل الجاد فى الواقع ورفع كفاءة الانتاج عمل يومى ودؤوب ··· ولكن لن يقوم به الا بشر احرار ·· مـزيد من الديمقراطية والحرية تنخفض نسبة الامية ·· هل تعلم ان هذه النسبة كانت ستين بالمائه قبل الثـــورة ·

فى يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ أعد صديقنا جنود سريته واستعد للذهاب لميدان النار لتدريبهم استعدادا للاختبار · وذهب ليســتأذن القائد فوجده مرتبكا أصفر الوجه · ورد عليه باقتضاب ··· لا تخرج للميدان ·

سؤال : هل الغى التفتيش ·

وكان الرد : لا ۰۰۰ ولكن صدرت الأوامر بفك التخزين واستدعاء الاجازات وكان معنى هذا ان الجيش أصبح فى أقصى درجات الاستعداد والطوارىء ۰۰ ساد الكتيبة الوجوم ثم انتشرت الحركه فجاة فى كل اطرافها ۰۰ الف أمر وألف شخص يتكلم ۰۰ الاصوات عالية ۰۰ والاعصاب متوترة ۰

كان عليهم فك تخزين المعدات المعدة للحرب ۰۰ واستكمال نقص العدة ۰۰ وفتحت مخازن الجيش أبوابها لاستقبال مندوبى الوحدات واجتمع الضباط أكثر من مرة وملئت عشرات النماذج الخاصة بالصرف والارتجاع وأعيد الكتابة فى دفاتر العهد ۰۰ وخرجت العربات تزمجر ۰۰ وتصايح السائقون أريد بطارية ۰۰ فردة الاستبن نايمة ۰۰

وكان على الكتيبة الانتقال الى مكان الانتشار فى خلال ساعتين ۰

وازدحمت العربات بالمهمات والكراسى والخيام والمناضد والبضائع المتبقية فى الكانتين واخيرا الجنود وسلاحهم ۰

وتحركت الكتيبة الى مكان الانتشار ۰ وأوقفت الاجازات والمبيت خارج المعسكر ۰ جلس صديقنا مع زملائه داخل عربة زيل فى ضوء فانوس ميدانى ۰ المطر ينهمر فى الخارج وهم يرتعشون من البرد ۰۰ يشعلون سجائرهم ويبحثون من معنى لكل ما يحدث من خلال الاستماع للمذياع ۰

لا تذيع الا أغانى عادية ۰۰۰۰

كانوا يتساءلون ۰۰ هل معنى هذا أننا سنحارب !!

كان احدهم سعيدا لالغاء التفتيش ۰ وكان الاخر يحاول أن يجد مبررا أو وسيله للذهاب لمنزله ۰۰ وكان صديقنا الوحيد المندهش كيف يمكن أن نحارب ونحن نصف كتيبة فقط ۰۰۰

فى الصباح كانت المانشيتات الرئيسية فى الجرائد ۰۰ اعلان درجة الاستعداد القصوى بالقوات المسلحة ردا على حشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية

سمح لهم بالتنديب ساعتين لاستكمال مهمات كل منهم ۰۰ وفى الشارع ۰۰ كانت القاهرة تعيش عيدا ۰۰ الكل يشجع رجال القوات المسلحة ۰۰ المحلات ترفض اخذ نقود مقابل البضائع التى يشترونها ۰۰

عندما ضمته أمه الى صدرها وبكت ‥ قال لها ‥ لا تخافى سنعود فورا ‥‥ بعد أن نحقق حلم العرب وننهى المشكلة ‥‥

وبعدها تساءل ‥ ولكن كيف ‥ ! وأصابه الشك !!

وعاد فعلل نفسه بأن يكون الجيش المقابل جيشا متخلفا ‥ اليست قواته الرئيسية احتياطية ‥ ان القيادة لابد وان تكون قد درست كل شىء ‥ والا كيف تخاطر ‥

وتصاعدت الاوامر ‥ ورحل صديقنا مع وحدته الى سيناء ضمن القوات التى لا أول لها ولا أخر ‥ ونشرت فى الجرائد صور دخول الفرقة الرابعة المدرعه سيناء ‥‥ وكان يعجب ‥ هل هذه حرب ‥ أين السرية والمناورة ‥ الجرائد على الطرف الاخر تنشر صور الجنود الاسرائليين يستحمون على البلاج وصور للمجندات الاسرائيليات ونحتها جيش العاهرات ‥‥ ما هذا ‥ من سيحارب من !! ‥

ولفت نظر صديقنا خبر صغير فى جريدة الاخبار ‥ بأن القادة الانجليز ينصحون بضرب المطارات والطيران المصرى أولا ثم قتل الجيش المصرى فى مقبرة سيناء المهجورة ‥ انها نفس خطة ٥٦ ‥ ومستحيل تنفيذها مرتين ‥

سألته : ما معنى ليس قفزا فوق الواقع ولا استسلاما له ؟ ‥

رد : هناك بعض الافراد الذين ينبهرون بما يتم حولهم فى العالم بعضهم انبهر بانجازات الاشتراكية السوفيتية والاخرون بانجازات الرأسمالية الامريكية ‥‥ وحاول كل طرف استجلاب التجربة وتطبيقها فى مصر بدون تصور لواقعنا الذى نعيشه ما الذى حدث ؟ مزيد من الالم والعنف أو السرقات والفجر ‥ البعض الاخر تصور أن الاستكانة للتخلف الواقع والعودة الى القديم هو الحل ‥‥ ومعنى هذا ايقاف حركة التقدم والبعض الاخر طالب بالرجوع الى أخلاق القرية ‥

ما هى أخلاق القرية تلك التى يتغنون بها ‥‥

وعندما صاحبت القوة فكرة من هذه الافكار أصبحت الضحية هى الحرية والأمل فى التطور ‥ أما فى ظل الديمقراطية وصراع جميع هذه الافكار على

أرضيه الحرية والشرعية فان الديماجوجية والسلفية وكل ما هو غث سيرغض ويبقى للناس ما يفيدهم ٠

عقد الرئيس عبد الناصر فى ذلك الوقت مؤتمرا صحفيا قال أن أمريكا أموى دول العالم وهى لن تتدخل او نرجو ذلك ونحن كفيلون بارجاع الحق لاصحابه وتاديب اسرائيل ٠٠ وعندما ساله أحد الصحفيين الانجليز بأن مرور عشر سنوات منذ ٥٦ هل أثرت فيه رد : هل تتخيل أننى مثل مستر الخرع ٠

رشحت انتباه صديقنا هذه العبارة ـ ما هذا ـ هل المشكلة مطروحة على بساط الجدية والديمامة والفتونة ٠٠ ليس ممكنا أن تنتهى هذه الاحداث بحرب لابد وأنها مناورة لارهاب اسرائيل فقط وارغامها على عدم الهجوم على سوريا ٠٠٠

عندما عبر الى سيناء قال له قائد كتيبة الكبارى وكان قائده السابق ان شاء الله ستعودون سريعا ٠هذى مناورة ٠كان سكان الاسماعيلية يقابلونهم بالزغاريد والشربات والحلوى والدعاء وكانت العربة تتحرك متوغلة فى عمق سيناء فى الظلام تصدر أصواتا رتيبة وتبعث الدفء والخدر فى جسده فتدور الافكار وتصطدم برأسة ثم تخرج تجول حوله ٠ وتعود له تؤرقه ٠٠ لماذا تم تغيير القيادات قبل الحرب بمدة قليلة ـ اليست القيادات القديمة أبعث للثقة ٠٠ !! هل هى حرب فعلا ٠٠٠ اذن لماذا ينشرون كل هذه الصور والتصريحات ٠٠ ولماذا الطرف الاخر يجلس فى برود يراقب ٠٠ وفى يأس قال لنفسه ماذا سيحدث اقصاها سوف أموت ٠٠ وتذكر قائد كتيبة ومعركة عندما كان يقول لجنوده ٠٠ نحن نحارب لكى نعيش لا لكى نموت ٠٠٠ ما فائدة جندى ميت ولكى نعيش يجب أن نستعد ونتدرب ٠٠ وكان يسأل نفسه ترى هل استعددنا ٠٠ هل تدربنا ٠٠

وظهرت فى الافق الاضواء الحمراء والبرتقالية ايذانا بظهور الفجر ٠ وانشغل فى متابعة اثار الضوء على الموجودات حوله عن افكاره حتى ظهرت الشمس تماما كان جسده قد أصبح جزءا من التربة ولم يعد يشعر بأنه يسافر وكان الجندى السائق بجواره يتململ ٠

سأله : هل أنت خائف ؟!

رد عليه : لماذا ٠٠ ربنا معانا ٠٠ ان شاء الله نرميهم فى البحر ٠

سألته : ولماذا نرميهم فى البحر ؟

رد : دول ولاد كلب كفرة •

وتعجب صديقنا من الرد •• ولكن هذا هو مستوى الاقتناع •• وحاول أن يشرح للجندى القضية ولكنه توقف فقد فات الاوان • وتنبه أنه هو نفسه لو وجه أحدهم له هذا السؤال ماذا سيكون رده •• هل هناك أى مبرر مهما كان لأن يقتل انسان آخر أو يرميه فى البحر •

سألته : هل ستزور اسرائيل بعد الصلح ؟؟

تردد قليلا ثم رد : وهل يتحتم على ان ازور جميع بلاد العالم •
ان ليبيا قريبة جدا ولم أزرها والسودان أقرب وأوربا وباقى أفريقيا •

عندما وصل صديقنا الى نهاية رحلته وجد نفسه فى معسكر خان يستعد لاستقبال مندوب هيئة التدريب ••• وبسرعة انتشرت العربات وابتدأت البلد وزرات تعمل فى حفر الملاجىء وخنادق الوقاية واقامة الخيام••واستغرق العمل اليوم بكامله •• وكان اهم خبر هو انتصار الترسانه على الاهلى وحصولها على الكاس لاول مرة بعد حصول الاسماعيلى على الدورى •••• واحتد الاهلاويه والزملكاوية •• وكان هناك مقال فى مجلة صباح الخير بقلم محمود السعدنى أربع صفحات عن الانتصار العظيم للاسماعيلى •

استدعى بعض الضباط لحضور مؤتمر يعقده المشير عامر فى مقر قيادة الفرقة ••

وذهب صديقنا لحضور المؤتمر •• استقبلهم قائد الفرقة الجديد المعين منذ أيام عثمان نصار بتعليماته قبل حضور المشير •• لا شكاوى •• لا طلبات •• نحن مستعدون للتضحية فقط مفهوم •••

وحضر المشير عامر وصدقى محمود قائد الطيران وعبد المحسن كامل مرتجى قائد الجيوش البرية وعديد من قادة الاسلحة والقوات •

---

(١) هامش : لم يصدر أى تصريح من أى مسئول مصرى برمى اسرائيل فى البحر ولقد أكد السيد الوزير محمود رياض ذلك أكثر من مرة فى عديد من المؤتمرات وفى هيئة الامم المتحدة ولكن هذا التصريح صرح الشقيرى فى بداية الازمة •

تكلم المشير عن المعركة القادمة بصفتها نزعة عسكرية وطلب من الضباط ايضاح أى استفسارات لهم ...

لم يتكلم أحد .. حسب أوامر قائد الفرقة .

احتد وقال انا عارف انكم بتتكلموا فى الميزات اسمعنى هنا .

أحدهم يسأل : ترى هل نحن مستعدون .

اجاب ـ بالطبع احنا عندنا أقوى طيران فى الشرق الاوسط انتم جهلة قول لهم يا صدقى قول لهم عن السخوى والتوبيلوف ..

رد الاخر : يافندم لن يحتاج المشاة للحرب .. سأنهى المعركة ولن يحتاج جندى المشاة حتى لتطهير الخنادق سأطهرها بالطيران . وخرج الضباط عن وقارهم فصفقوا .

سأل ضابط آخر : يافندم الجيش كله فى سيناء وهذا ما حدث فى ٥٦ ماذا سيحدث لو هاجموا مصر ..

رد المشير المنضدة بعنف بقبضته وقال .. انا المشير عبد الحكيم عامر يقول انى قادر على حماية مصر وتحقيق نصر فى اليمن وتحقيق نصر فى سيناء ثم انتصب واقفا وغادر القاعة وهو يبتسم ويقول ان شاء الله لن يحدث شىء وكان صديقنا فى حاجة شديدة لهذا الرد .. معنى ذلك ان كل ما يراه فى القوات البرية لا قيمة له .... لان الحرب الحديثة تعتمد على الطيران والقيادة أعدت اقوى طيران فى الشرق الاوسط وشعر بالغيرة وفى نفس الوقت بالاطمئنان .. وكما حدث له .. حدث للآخرين .... ولكنهم اعتمدوا على الكلمة الهامسة المبتسمة ان شاء الله لن يحدث شىء .. وابتدأوا يحسبون موعد الاجازة والزيادة المتوقعة للمرتبات .. ومتى سيبدأ تفتيش هيئة التدريب .

سألته : ولكن اسرائيل ليست اى بلد فى العالم .. لقد زرتها أسيرا ذليلا .. فهل ترغب فى زيارتها ضيفا عزيزا .

اجاب : لقد قال لنا سكرتير الحزب الحاكم فى ذلك الوقت المابای اننا اليوم اسرى ولكن شئنا أم لم نشأ فسيأتى اليوم الذى نصبح فيه أصدقاء ونزورهم بهذه الصفة . ولكن كيف يحدث هذا وفى اسرائيل وحولها مليونان من العرب الفلسطينيين مطرودين ومشردين كيف استطيع أن

اواجه ذا العيون الزرقاء والذى قابلنى هناك ٠٠ قد استطيع ذلك يوم آن تحل القضية الفلسطينية ويرتضى الطرفان شكلا مناسبا للعلاقة والتواجد ٠

صدرت بعد ذلك الاوامر لكتيبة صديقنا بالتحرك الى موقع جـديد قرب الحسنة بكيلومترين ٠٠ وجلس صديقنا بجوار سائق جرار ضخم يصدر أصـواتا عالية وهو يصـعد المنحدر فى الطريق الى الحسنة ٠٠ كانت الشمس قد قاربت على المغيب ونسمه هـواء بارده تهب من الشـباك على يمينه بكابينة الجرار ٠٠ وكان يشعر بحزن لا سبب له عادة ما يصاحبه فى هذه الفترة من اليوم ٠ فان الشمس وهى تسقط غاربة فى الافق تعلن أن يوما آخر من عمره قد انتهى ٠٠ وما العمر الا سقطات متتالية لهـذه الشمس فى الافق ٠٠ وفى يوم ما تعلن انتهـاء حياة الانسـان ككائن على الأرض ٠٠٠ وكان أمامه فى (القول) عربة محملة بأخشاب لا قيمة لها الا لذا كانت جوانب مرحاض ميدانى ٠٠٠ وكراسى ومناضـد وخيـام ومكاتب وجراكن وفوق هذه الفوضى يجلس جنديان لفا حول رأسيهما فوطة كاكى اتقاء للبرد ٠ أحدهما يشعل سيجارة ويستند على كرسى عندما دقق صديقنا فيه انفجر ضاحكا فلقد كان كرسيا بثلاث أرجل فقط ٠ عندما لفت نظر السائق الضخم له ٠٠٠٠ تساءل بأستغراب ـ والنبى يافندم النـاس دى عائلة تحارب بكرسى بثلاث أرجل ٠٠٠ أستمر الآخر فى الضحك ثم علق ٠٠ عهده حيعملوا أيه ٠٠٠ ولـكن الموضـوع لم يكن بسيطا عند صـديقنا هكذا اذ من الأحق بالمكان فى العربة جندى يجلس مرتاحا أم كرسى بثـلاث أرجل ؟؟ ٠ لـماذا نحتقر الانسان هكذا ؟؟ لـماذا نطلب من ذلك الجندى ؟ يحارب وهو راقد فوق كومة من النفايات ٠ الا نستهلك جنودنا هكذا بهذه الطريقة البدائية الوحشية ٠٠٠

واسترسل فى أفكاره ٠٠ هل كل هذا العناء وكل هذه الضجة من أجل الضغط على اسرائيـل ٠٠ لا بالتأكيد انه للضـغط على مصر ٠٠ فحرب اليمن وصلت الى قمة مشاكلها ٠٠ والاسـعار فى ارتفاع مضطرد والمشاكل الداخلية تهز البلد هزا وهذه الحرب الصليبية ضجة من اجل الهاء الجياع عن شكوى بطونهم وهكذا تعودنا عندما تتفاقم مشـاكلنا الداخلية تتطلب النصر فى الخارج ٠٠

يوم الانفصال السورى ٠٠ انتصرنا بثورة اليمن ودفعنا بقواتنـا اليها وقطع السائق تسلسل أفكاره بسؤاله ٠٠ يافندم هل اليهود يعرفون

أين نحن الان .. اقصد هل يعرفون أننا متجهون الى الحسنة . (ان الخوف الاسطورى من العدو قابع فى نفوسنا .. رغم كل أساليب الدعاية) .

رد صديقنا - بالتأكيد ان اليهود بشر مثلنا ولهم امكانات لا تقل عن امكاناتنا وبالتأكيد هم يعرفون ماذا يحدث كما نعرف ماذا يفعلون فالاستطلاع والمخابرات هى اعين وآذان الجيوش ويجب ان نتحرك ونحن مبصرون والا وقعنا فى أول بالوعة فاغرة فاهها ...

سألته : ولكن ما هو تصورك للحل العادل للقضية الفلسطينية .

أجاب : لا يوجد عادل أو غير عادل . نحن فى مواجهة تحدى حضارى اما أن نقبله ونكون ... أو نتجاهله ونزوى .. وفى حالة قبولنا للتحدى وتطورنا .. لن تصبح هناك قضايا شكلية .. الاسرائيلى يقول ماذا نفعل بالأرض ان مصنع ساعات صغير يدر ارباحا وعائدا يوازى مئات الاف المزروعة والاف الافدنة غير المزروعة .. اذا امتلك العرب عناصر التحدى الحضارى أى امتلكوا لغة العصر . وطوروا امكاناتهم واستغلوها أفضل استغلال فستذوب اسرائيل داخل الامة العربية كما ذاب اليهود دائما فى وسط المسلمين والمسيحيين طول التاريخ .. ان امتلاك العرب للغة الحضارية سينزع من اسرائيل اشواكها ومخالبها المتمثلة فى تكوينها الاستعمارى ولكن هل نحن لدينا الثقة فى أنفسنا .. اذا ابتدانا فالزمن فى صالحنا ....

استقرت وحدة صديقنا فى اليوم الأول من يونيو ١٩٦٧ قرب الحسنة وابتدأت باقى القوات تتمركز فى مواقعها .. استعدادا لمعركة قد تحدث اولا تحدث وكانت اولى المهام التى أوكلت الى صديقنا مشاركة مجموعة استطلاع الفرقة فى تحديد واختيار اماكن الاحتلال للواءات التابعة لها . ممثلا لوجهة النظر الهندسية .

كان مكان اول اللواءات وهو اللواء ١١٨ سهلا فلقد كان عليه أن يحمى المنطقة من المدق التركى (وهو طريق كانت تستخدمه القوات التركية فى حركتها) الى طريق الحسنة القسيمة . لذلك انطلق فى ثلاث عربات جيب قائد الفرقة ورئيس الاركان ورئيس العمليات وقادة اللواءات ورؤساء اركانهم وضباط العمليات وصديقنا الى منطقة عمل اللواء وحدد مكان

الكتائب ونقط الاتصال مع اللواءات المجاورة ... الخ . كما لو كان الامر يتصـــل بتدريب أو مناورة عادية ..

وفي اليوم التالي ٢ يونيو تم تحديد مكان اللواء ١٢٠ أى اللواء الثانى وكان قائده عميدا احتياطيا اسمه العميد بركة رجل كبير السن طيب الى درجة كبيرة وابعد ما يكون لأن يصبح قائدا للواء في المواجهة حتى أن ضباطه كانوا يسمونه (الضرب من الحركة للعميد بركه) وكانت منطقة عمليـــات لوائه في مكان موحش يســمى وادى خرم ولم يكن يعرف مكانها الا قائد استطلاع الجيش وفي محاولته للوصول أخطأ الطريق أكثر من مرة .. حتى أصبح من الصعب لغيره الوصول ثانية خاصة أنه في طريق عودته عاد من طريق آخر مختصر يمر من خـلال مجرى سـيل جاف متشقق ولا يصلح لمرور العربات الا الصغيرة جدا .

في اليوم التالي ٣ يونيو طلب رئيس الفرع الهندسى من صديقنا قيادة مفرزة تأمين تحرك التعليم وفتح الطريق لتحرك اللواء ١٢٠ ليحتل مكانه .. وعندما واجهة صديقنا بأنه لا يعرف طريق الوصول هدده الآخر بأنه سوف يحاكمه ....

واحتار صديقنا هل يقبل المهمة ويضلل لواءا كاملا خلفه ولعله ينجح عن طريق التجربة والخطأ .. أم يقول ويصر على أنه لا يعــرف .. ومن قال لا أعرف فقد أفتى حتى ولو حاكمه رئيسه . واختار الحل الاكثر شرفا . أن يقول لا أعرف ويصر عليه ..

أخذه رئيســه الى العميد بركه يسـتوضح الموقف .. وعندما قال له العميد « والله يا بنى انا نفسى معرفش أوصـل ... ده دوخنا امبارح » تحرك رئيسه بعصبيه وتمتم « يا سيادة الرائد عليك أن توصلهم » ثم ركب عربته وانطلق ..

جلس صديقنا بجوار رئيس مهندسى اللواء مهموما يفكر ماذا يستطيع أن يفعل ... وعندما أسر ذلك لزميله .. أهتاج الاخر .. وابتدأ يتشكى

مما يراه حوله .. وبهت صديقنا من الموقف المتردى الذى عليه الجيش فقد اتضح أنهم استدعوا الاحتياط على عجل وبملابسهم المدنية ووزعوهم بغض النظر عن تخصصاتهم السابقة على الوحدات الأعجب من ذلك انهم احضروهم بواسطة عربات كتيبة النقل ثم سحبوا العربات وتركوا الجنود بدون أسلحة كافية أو حتى مياه للشرب .. وأصيب بالقلق فتحرك فى اتجاه العميد يستنجد به لعل زميله لا يعرف كل الحقيقة .. عندما سأل كيف ستنتقلون .. فاجأه الاخر باعطائه قطعن من الجيلاتى أحضرتها ثلاجات ضخمة من القاهرة ترفيها للجنود العطشى .. وقال أولا نأكل الجيلاتى وبعد ذلك نتفاهم .. ثم اردف .. سيحضرون لنا عربات كتيبة النقل لتوصيلنا قل لى والنبى يا بنى من أين سنحضر المياه .. يقولون أن هناك بئرا .. هل رأيته ؟؟

قطع عليهم الحديث وصول قائد الفرقة وضابط استطلاع الجيش الذى نادى على صديقنا « يا بشمهندس هات معداتك واتبعنى .. افتح الطريق وعلمه لعربات اللواء ... »

.. سألته : وما بعد الاستقلال ..

أجاب : فى اللغة العربية عندما تضع بعض الكلمات بين قوسين فمعنى ذلك أنها جملة اعتراضية لتوضيح موقف ويمكنك قراءة الجملة متجاهلا ما بين القوسين .. ما حدث منذ ٦٧ يمكنك أن تضعه بين قوسين وتكمل الجملة .. قبل ٦٧ كانت الجملة هى كيف نتغلب على أزمة اقتصادية حادة كيف نعمل ؟ كيف نواجه عالما متطورا ؟ ويتطور بسرعة أكبر .. كيف نقود المنطقة لصالح شعوبها وشعبنا ؟ لتحتل المكان المناسب لها وقطعت هذه الجملة بحرب واحتلال واستنزاف وحرب ومفاوضات وصراع .. والان علينا أن نكمل جملتنا كما كان يجب أن نكملها منذ خمسة عشر عاما ..

كانت الرحلة مرهقة الى أقصى درجة .. فان وادى خرم ان لم تكن تعرف أرض زراعية أهملت لمئات السنين .. فجفت وتشققت .. واصبح أى خدش لها يثير أتربة ورمالا سائبة . ولعمل طريق حتى ولو مؤقت دستغرق شهورا .. لذلك فلقد اكتفى صديقنا بتعليم طريق بواسطة طرف سكينة الجريدر ليكون علامة للعربات فقط وكانت العربات تتبعه فتزيد من نبش الرمال حتى أصبح من المتعذر أن تتحرك بسرعة اكبر من ٢٠

كيلو متر ساعة وبصعوبة ·· وزعقت موتورات العربات ·· أثارت خلفها عواصف من ارمال السائبة ·· وتصايح الجنود المعلقين فوقها ·· وتحول وادى خرم الى سيرك ··· فوضى شاملة كاملة · وفى نهاية اليوم حوالى الخامسه ·· وصلت القافلة الى غايتها ··· بحث قائد الفرقة عن صديقنا ··· أحاط كتفيه بساعده ثم اشار الى مجرى السيل الجاف ··· وطلب منه فتح طريق عرضى عبره ليحرك عليه المدفعية التى حتما ستعجز عن الحركة خلال الطريق الذى اتوامنه ·

كان الرجل يتكلم بصوت هادىء أبوى ·· وقد حاول أن يكسر حدة التعليمات العسكرين الجافة ··· وأثر ذلك كثيرا فى صديقنا ·· فهو كبقية شعبنا يمكن أن تسلب منه حياته بالكلمات الرقيقة التى لم يتعودها··

عندما سأل قائده عن خريطة يتحرك من خلالها ··· قال له الآخر ·· لا توجد الا واحدة ·· ولا يستطيع الاستغناء عنها انما الطريق المطلوب فى اتجاه النخلات البعيدات ·

ذهب صديقنا متحمسا وطلب من جنوده انزال البلدوزرات من فوق المقطورة ليبدأ فتح الطريق ···

ولكن لماذا ستكون وحدة صديقنا اكثر تنظيما من الآخرين !!

لقد همس السائق فى اذنه ··· بأن الرديراتير مخروم ولا يوجد معه مـــاء ··

وكاد أن يصيح فيه ··· وكاد ان يقول له مثل رئيسه « تصرف » ولكن ماذا يفيد كل هذا ··· كان عليه أن يتأكد من سلامة معداته قبل ان يتحرك بها ·· وكان عليه أن يتأكد من وجود ماء ···

وعاد لقائد الفرقة حزينا ومتوترا فوجده راقدا على الارض ينظر الى السماء يتأمل ··· عندما لاحظه سأله « مش حتقدر ··· طيب بكره ان شاء الله تحضر معداتك وتفتح الطريق » · وبإحساس بالذنب أجاب صديقنا فورا وبدون أى حسابات « لا يا افندم انشاء الله سيفتح الطريق اليوم » وعاد الى رجاله يفكر كيف سيوفى وعدا قطعه على نفسه بدون تفكير أو حســـاب ·

كان جنوده يشعرون بمدى الحرج والاحباط اللذين تسببوا فيهما لقائدهم فجلسوا واضعين أيديهم تحت رؤوسهم فى انتظار الفرج ··· وكان قد توصل الى خطة ابتدائية بأرسال عربة محملة بجراكن مياه الى الحسنه فتملأها وتعود بها حتى ولو كانت الساعة العاشرة مساء فيبدأ العمل فى الصباح ·

ولكن رقيب سريته عاد مهللا ··· كما لو كان ارشميدس ينادى لقيناه يافندم ··· لقيناه ··· فلقد وجدوا بئر مياه على بعد امتار ·· اندمعوا جميعا فى فرح حقيقى تجاه البئر ··· ولكن كيف ·· !! كيف يحضرون المياه منه ··· وتفجرت طاقات لم تكن فى الحسبان ··· فك سائق حبل شبكة التمويه ·· وأحضر اخرون جراكن ربطت بالحبل وملأوا كل الجراكن بالمياه ··· وفى وسط الفرحة ··· تنبه صديقنا الى أن الوقت يجرى وستغيب الشمس بعد مدة قصيرة ··· ولن يستطيع تحديد اتجاهه ···

أخذ رجاله وتحرك بسرعة فى الخرر ينثرهم وبين كل واحد وأخر حوالى مائة متر ··· فى الاتجاه الذى حدده له قائد الفرقة · وبعد دقائق دار البلدوزر وعلى ضوء كشافات العربات والجرارات ازال التربة المكسرة فى عرض مجرى السيل ·· ساعات ·· وساعات ·· وساعات ·· حتى وصل الى أخر جندى ·· ولم يظهر طريق القسيمة الحسنة كانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحا ··· قسم جنوده الى قسمين احدهما مستيقظ للحراسه وآخر ينام ··

ظهرت الشمس ثانية ··· واضاءت المكان ··· لم يتعجل فى يوم ظهورها كما تعجله فى هذا اليوم ··· ولم يفرح بالضوء قدر فرحه بهذا الضوء ··· لقد كان الطريق على بعد أمتار منه ···

فى التاسعة صباحا كان صديقنا يقف أمام خيمة القائد ··· وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه ··· ابتسم وساله ··· هل ستذهب لفتح الطريق ياباشمهندس ··· رد الاخر ·· لا ·· بل انا عائد من خلاله ·· صحبه قائد الفرقة معه الى ميز الضباط القادة ·· لتناول افطاره ·· بعد قليل حضر رئيس المهندسين نظر له بغضب ثم همس · ما الذى أتى بك هنا ·· الم اقل لكم الا تتصلوا بأحد الا من خلالى ··

انقذه قائد الفرقة وقال « الحقيقة الباشمهندس قام بعمل رجولى لقد فتح لنا الطريق العرضى ويمكننا أن ننقل المدفعية اليوم ·· من فضلك وجه له خطاب شكر بأسمى على كتيبته ·

غير رئيس المهندسين لهجته وعقب على كلام القائد « فى الحقيقـه هو ضابط ممتاز » . خارج الميز كان يقف قائد الكتيبة عندما شاهد صحبتنا فى صحبة رئيس المهندسـين بادرة « ايه يا بنى انت كنت فين !! .. هو فيه نسوان هنا والا ايه » .

رد رئيس المهندسين بعد ان وقف انتباه وقال :

يا سيادة القدم يشرفنى أن ابلغك بأن قائد الفرقة يقدم شـكره لسيادة الرائد والكتيبة على العمل الرجولى الذى قامت به سريته فى فتـح الطريق العرضى لتحرك المدفعية .

رد قائد الكتيبه « وأنا كمان يافندم سأذهب بنفسى لاصلاح الطريق الاخر » رد الاخر « لا المهم احضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ونقله الى اللواء ١٢٠ - فى خرم » .

سألته : ولكن ما تم خلال خمسة عشر عاما لا يمكن أن يوضـع بين قوسين .. لقد كان له تأثيرات ايجابية وسلبية فى كل شىء ..

أجاب : عندك حق .. ان الاطفال الذين ولدوا فى ٦٧ اصـبحوا الان شبابا ... والشباب أصحبوا فى منتصف العمر - ولكن المشكلة مازالت قائمة التحدى المطروح مازال قائما كيف نستطيع أن نجتاز الهوة الواسـعة بين عالم متقدم ويتقدم بسرعة فائقة وبين توقفنا .. لا تهتم بأن المجارى والمياه والطرق والكهرباء والتليفونات .... الخ . تحتاج لاصـلاح .. فهذه سيتم اصلاحها ... ولكن الانسـان نفسه هو موضـوع التحدى يا صديقى .. كيف يعيش .. كيف يفكر .. كيف يعمل .. ما هى قيمه .. ما هى علاقاته .. الانسان المصرى خلال الازمة تشوه كثيرا ولكنه أيضـا احتمل كثيرا وفى اسـتطاعته مع التنظيم أن يخلق المعجزة .. الانسـان المصرى لا يقل عن الالمانى او اليابانى الذى استطاع بعد الحرب العالميـة ورغم اقتصاده المدمر والتشـوهات الواضـحة التى حدثت له أن يخلق المعجـزة ....

- عندما عاد صديقنا الى وحدته وجد رئيس العمليات يطلبه ·· فلقد أحضروا لهم مائتى جندى احتيـــاط يثيرون الاضـــطراب فى كل شىء ·· وطلب منه ان يقول لهم كلمتين ليسكنوا ·· اليس مسئول التوجيه المعنوى بالكتيبة · جلس بينهم يتأملهم كلهم تجاوزا الثلاثين ·· رجال مدنيون رغم الاوفرولات الواسعة التى يرتدونها · قابلوه بعاصفة من الطلبات ··

المـــاهية يا سعادة البيه ·· القضية يا سعادة البيه ·· قضيته فشـل ·· مراتى بتولد ·· امى بتموت ·

ظل ساكنا حتى انتهوا وصمتوا ·· أطال فترة سكوته مستعينا بالسلطات التى منحه اياها المشير عامر يوم وضع على كتفه رتبة العسكرية·

أخيرا قال لهم بصوت هادىء ·· هل تريدون أن تحاربوا !!

ردوا فى صوت واحد ·· آه ·· آه ·· نموت فى سبيل فلســطين ·

رد متحيلا نفسه قائد (كتيبه ومعركة) ·· لماذا تموتون ·· جندى ميت لا قيمة له ثم صمت قليلا واكمل من يستطيع منكم أن يرص لغما ؟ ·· لم يرد أحد ـ من عمل فى سرية طرق ؟ ·· من حفر بالمفرقعات ؟ · لم يرد أحد ـ أكمل ·· حماسكم اكبر من قدراتكم ·· وبالتالى فالعمل العظيـم الذى تستطيعون أن تقوموا به هو أن تتركونا نعمل ولا تزيدوا مشـاكلنا ·· الأكل سنحاول أن نقتسمه ·· الماء ســـنحاول أن نحضره · ولكن أرجوكم تذكروا أن حماسـكم أكبر من قدراتكم وعليكم أن تقـوموا بواجبكم بأن تتركونا نعمل بهدوء ·

الشىء الغريب بعد ذلك أنهم قاموا بواجبهم وتكون منهم ما يشـبه الحكم الذاتى وظيفته المحافظه على العهد الذى قطعوه على انفسهم ·

كانت مشكلة الجنود الاحتياط سهلة ·· ولكن الاكثر صعوبة كانت الضباط الاحتياط الذين انضموا الى الكتيبة لتعويض نصفها المنقوص فى اليمن ·· لقد كان معظمهم قد حضر سيناء لاول مرة وبعضهم [illegible] مدة طويلة عن القوات المسلحة ···· كأساتذة فى الجامعة ·· أو مسئولين بوحدات مدنية ·· وكان كل منهم يحمل فى يده لسيناء خريطة صـغيرة

مرسوم عليها الطرق الاساسية .. التفوا حول صديقنا يسألونه عن تفاصيلها .. عندما طلبه قائد الكتيبة وهو مذعور .. ان قائد الفرقة يطالبك بالاسم لأمر هام أسرع لمقابلته .

قال له : أنا انتجبتك لهذه المهمة للاسباب الآتية أولا : لانك موثوق منك ويعتمد عليك . ثانيا : لانك تعرف الطريق جيدا .. ثالثا : لانك مهندس ... ستذهب لخرم هناك احتل اللواء ١١٦ بدلا من اللواء ١٢٠ الذى سحبناه ولقد وصلوا منذ ساعات فقط ستقابل العميد خيرى قائد اللواء وستقول له ان سيادة المشير سيحضر باكر ٥ يونيو صباحا للتفتيش على التجهيزات الهندسية ودفاعات اللواء . وبالارة تعد ثلاثة مطارات لثلاث طائرات هليوكبتر فى مكان ظاهر تحيطه بالجير الابيض كى تنزل الطائرات فيها لا تتأخر الساعة الان السابعة يجب أن تصل قبل التاسعة .

حرج صديقنا مندهشا .. كعادته فى هذه الايام .. كل الاشياء التى حوله غير منطقية .. كيف يسحب اللواء ١٢٠ ويحتل مكانه ١١٦ رغم أن الأول لم يمض على احتلاله لموقعه أكثر من ساعات .. يفتش المشير على لواء لم يمض أكثر من ساعات على احتلاله لموقعه .

ولكن عليه أن يبلغ الرسالة .. فما ادراه .. قد تكون هذه هى طبيعة الامور .. والانسان الذى ينظر للتفاصيل قد لا يرى الصورة العامة جيدا - جمع مجموعة من الجنود فى عربة ومعهم مهماتهم .. وتأكد فى هذه المرة من أن المهمات كاملة .... واتجه الى مقر اللواء ١١٦ ....

الطريق فى الصباح لعنة .. فما بالك ليلا .. والحركه فى الصحراء بدون خريطة أو اضاءة معجزة حتى لو كنت تعرف المكان فما بالك وهو لا يعرف أين احتل اللواء الجديد مكانه ..

تحرك فى الطريق المعروف لديه حتى وصل الى نهايته وهناك ظل يدور بالعربة فى دوائر ضيقة لساعات عديدة .

وفى كل لحظه يوقفه جنود الحراسه .. ويسألونه عن كلمة سر الليل التى هى كلمة خاصة بهذا اللواء ابتكرها على عجل ..

دخل السريه الطبيه وسرايا الخدمة ٠٠ حتى عثر على سرية المهندسين بالصـــدفة ٠

كان قائدها صديقا له ٠٠ قابله بالاحضـــان ٠ عندما عرف مهمته نصحه بأن ينام حتى الصباح ٠٠ ولكن الاخر كان لابد وأن يبلغ الرسالة ٠٠ دله صديقه على المكان التقريبى لقائد اللواء وهناك اوقفه جندى الحراسة اثبت ٠٠ طفى النور ٠٠ خلمه س الليل عايز مين ٠

ــ سيادة العميد خيرى ٠

ــ نقوله مين ٠

ــ ضابط من طرف قائد الفرقة ٠

وجه حديثه للعربه ــ يافندم ــ يافندم ٠٠ سيادة الرائد عايزك ٠٠ صوت أجش من داخل العربه ٠

ــ عايز أيه ٠

ــ أنا يافندم ضابط من طرف سيادة قائد الفرقة ومعى رســـالة ٠ يرد من الداخل أيه الرسالة ٠

ــ أكلم سيادتك لانها سرية جدا ٠٠

يستيقظ بتأفف ويضىء نور البادوس ويفتح الكبوت من الخلف ٠ فيظهر فى الضوء الخافت شخص سمين جدا ٠ أســمر ــ شرس ٠٠

ــ ايه ياسيدى الرسالة السرية جدا اللى جايبها الساعة أتنين ٠ دى

ــ سيادة المشــــير سيحضر باكر للتفتيش على تجهيزات الدفـــاع الهندسى ٠

ــ وأنا حعمل أيه الساعة اثنين (وكأنما شعر بأنه تجاوز فأردف) طيب اتفضل أنت ٠٠٠ علم ياسيدى ٠

أدى صديقنا مهمته وأنهى قلقه ٠٠ وترك الاخر ساهرا ٠

فى الخامسة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ومع ظهور أول ضوء للشمس يسمح لصديقنا بتمييز ما حوله ٠٠ وقف فوق ظهر عربته ٠٠ وحدد أماكن ظاهرة تستطيع أن تنزل فيها الطائرات ٠٠ وكون ثلاثة مربعات تصـــلح

الى خيمة صـــديقه قائد سرية المهندسين فوجـــدهم يعدون العـدة لرص
الى خيمة صـديقة قائد سرية المهندسـين فوجدهم يعـدون العـدة لرص
حقول الغام فى مواجهة اللواء الجديد ٠٠٠

بعد قليل هبطت طائرة فى مكان من المطارات الثلاثة لتتأكد من صلاحيته قبل حضـــور المشير ٠٠ ثم عادت ثانية ٠٠ وجلس صـــديقنا مسترخي قبل أن يستعد للعودة ٠ كان يفكر ٠٠ وهكذا كانت نظرته ضيقة للامور عندما اعترض على احتلال اللواء ١٢٠ ـ الاحتياطى للموقع ٠٠

ان هذا اللواء بالتأكيد افضل كثيرا ٠٠ وقطع عليه سلسلة تفكيره ضابط يدخل مندفعا الى الخيمة ٠٠

مسمعتوش وقعنا عشرين طيارة ٠٠

ـ اية

ـ وقعنا عشرين طيارة اسرائيلية ٠

ـ مين ٠ ؟؟

ـ احنـــا ٠

ـ فـين ؟ !

ـ فى مصر !!

ـ امـــتى ؟؟

ـ الان ٠٠٠٠

ـ مين قال كده ٠٠

ـ فى الاذاعة ٠٠٠٠ فتح الراديو بسرعة ٠

كان صوت المذيع يجلجل ٠٠٠ وقعت اسرائيل فى المصيدة ٠٠ هـذا يومك يا عربى ايها المواطنون ٠٠ [أستمع بانتباه شديد ثم التفت لصديقه] ٠

ـ معنى كده ان القاهرة دمرت ٠٠٠

ـ ليـــه ٠

ـ توقـع عشرين طائرة فى اول موجة ٠٠ معناه انهم هجموا بمائتى طائرة على الاقـل ٠

ـ آه ٠

صيحات من الخـارج والجنود يرقصـــون بقوا اربعين يافندم ٠ عواطفه تغلب على عقله ويبكى ٠٠ اربعون ٠٠ اذن شبكة الصواريخ قامت بالواجب ٠٠ احتمال الاصابه ٩٠٪ فى روسيا لو الضابط لم يصب الطائرة بالصاروخ يعدمونه ٠٠ هكذا يقولون ٠٠ !!

ـ يرد صديقه ـ ياعم ده كلام اذاعة تلاقيهم عشرة أو خمستاشر ٠

يدخل رئيس المهندسين مهرولا ٠٠ وبدون تحية ٠٠ يسأل صديقنا ـ أين قائد الكتيبه ٠٠ خرج منذ الصباح لاحضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ولم يحضر حتى الان ٠٠٠٠

طائرة منخفضه جدا تطير فوق الوادى ٠٠ طائرة ميراج اسرائيلية ٠٠

اسميد خيرى يهرول ويشتم ٠٠ كل العربات تنتشر ٠٠ انتشر ٠٠ هد الحديثه دى ٠٠ حاس متوترا جدا ٠٠٠ ونقل توتره للاخرين ٠٠

ويعود صـــديقنا الى كتيبته من الطـريق الذى فتحه بالامس ٠٠٠ المدافع المضادة للطيران فى حالة تأهب ٠٠ طلقات متباعدة تسمع من بعيد ٠٠

قائد الكتيبة يقابله ٠٠ ويسأله : ألم تر الحفار ٠

يرد : حفار أيه يافندم الحرب قامت ٠٠٠

الفصل الثانى

الحـــرب

سألت صديقتنا : هل تتصور أن تقوم حرب أخرى مع اسرائيل ٠٠

أجــاب : كل شىء ممكن ٠٠ دعنا اولا نحلل أسباب الحروب ومنها نستطيع الاجابة على سؤالك ٠٠ فى الغالب يكون سبب الحرب هو فرض ارادة سياسية واقتصادية من طرف على طرف آخر ٠٠ فخلال صراعنا مع اسرائيل ٠٠ قبل ٤٨ وأثناءها ٠٠ كانت مجموعة من الصهيونيين يحاولون عمل وطن قومى لهم يهربون فيه من اضـــطهاد دول العــــالم ـ كما يقولون ـ لهم ٠٠ أى فرض ارادة سياسية ٠٠ تطور هـذا الموقف بعد ذلك عندما عرضت اسرائيل نفسها على بريطانيا كأداة لحماية مصالحها بمنطقة الشرق الأوسط وتأمين قناة السويس ٠٠ ثم على فرنسا ٠٠ لضرب ثورة الجزائر عن طريق كسر شوكة مصر ٠٠ وفى ٦٧ كانت الحرب هى تتويج لخطة امريكية هدفها الانهـــاء على الروح والخط الثورى المتحرر فى المنطقـــة والذى كان يقوده عبد الناصر ٠٠ فى البداية استهلكت القوات المســـلحة فى اليمن ثم هدت الاقتصاد القومى بالمقاطعة والحصار ٠٠ ثم أكملت على ما تبقى فى حرب ٦٧ ٠٠ لتفرض ارادتها السياسية والاقتصادية على المنطقة ٠٠ ومن جهة أخرى فان الاقتصـــــاد المصرى والرأسمالية المصرية ٠٠ هما المنافســـــان الوحيــــدان والعـــطلان لتقــــدم الرأســـمالية والصــــناعة الاسرائيليه وتغلغلها فى أســـواق المنطقة ٠٠ حرب ٧٣ كانت رفض الاستسلام للواقع الذى فرضـــته اسرائيل وامريكا ٠٠ وفى جوهره بالطبـــع فرض ارادة ٠٠ سياسية ٠٠ أهداف اسرائيل من الصلح هو التجارة أولا وأخيرا ٠٠ وهم لا ينكرون ذلك ٠٠ أى التغلب على الازمة الاقتصادية الاسرائيلية عن طريق سوق يضـــم مائتى مليون عربى ٠٠ فى المنطقة ٠٠ ان لم تحقق امريكــــا واسرائيل أهدافهما ٠٠ فستقوم حرب ٠٠٠ ولكن هل يوجـــد عاقل واحــد فى مصر يستطيع أن يغامر بكل اقتصاد البلد بدخوله معركة أخرى ٠٠٠

أنظر يا صديقى قناة السويس ·· كل البترول المكتشف فى مصر ·· اصـــلاح الأراضى والزراعة ·· السياحة ·· المواد الخام ·· كلها اليوم فى منطقة ميدان المعركة التقليدية ·· من الذى يستطيع أن يدمر اقتصـــاد مصر بتعطيله قبل وأثناء وبعد حرب مهما كانت أهدافها أو أسبابها ···

عاد صديقنا الى كتيبته ·· اذن فقد بدأت المعركه وقبلت اسرائيل التحدى بدلا من أن تقبل الضغط عليها وتسحب حشودها من امام سوريا ·· وانقطعت الاخبار ·· ترى ما الذى يحدث الان ·· الشمس فى كبد السماء ·· ولا توجد سحابة واحدة ·· والارض لم تتغير ·· والبشر يتحركون يبحثون عن المياه والأكل ···

ومن الراديو يأتى صوت أم كلثوم ·· جيش العروبة يا بطل ·· الله معـــك ·· ما اشجعك ما اروعك ·· يشـــعر بأنزعاج من كلمات الاغنية ولحنها ··· ما الذى حدث ·· أين أغانى ٥٦ ·· الشعب بيزحف زى النور ·· الشـــعب جبال ·· الشـــعب بحور ··

رقد على سريره يفكر ·· ترى كم طائرة هاجمت القاهرة ·· وترى هل رد طيرأننا بنفس القوة ·· وكم طائرة سقطت لنا ·· فى صباح اليوم التـــالى · كانت الامور هادئه ·· اين الحـــرب لا شىء الا بعض الاغانى والتعليقات والبيانات وفى صوت اسرائيل كان ليفى اشكول يقول لجنوده ·· معكم السلاح ولديكم القيادة المدربة جيدا ·· ولقد تدربتم واستوعبتم دوركم وما عليكم الا ان تدافعوا عن انفسكم وتنتصروا لتعيشـــوا · ومن القاهرة كان أحمد سعيد يقول ·· كلها دقائق ونصل تل أبيب ·· سنشنق موسى ديان على أقرب شجرة ···· اقتلوهم ·· اذبحوهم ·· انه يوم العروبة ·· الجيش الاردنى فى المعركة ·· الجيش السورى فى المعركة ·· الجيش الكويتى فى المعركة ·· الجيش ·· الجيش ····

رئيس الفرع الهندسى يخرج مهرولا ومعه قائد السريه الاولى ليرص الغاما أمام اللواء ١١٤ (اللواء الثالث فى الفرقة) ويعود ثانية ليطلب من صديقنا الذهاب الى قيادة الجيش لاحضار خطة نسف الطرق من رئيس مهندسى الجيش العميد « عبد الستار مجاهد » · فى قيادة الجيش والتى تم اعدادها فى خمس ســـنوات تحت الأرض لتتحمل انفجار قنبله ذريه فوقهـــا مباشرة كان العميد عبد الســـتار يجلس اصـــفر الوجه جاحظ العينين ··

أمامه قروصتا سجائر كليوباترا والطفايات ممتلئة بأعقاب السجائر ..
وحوله مساعدوه .. عقداء ومقدمين ورواد ....

سأل صديقنا : هل أنت قادم من الحسنة .. هل يضربونها الان بالطيران ... عندما اجاب صديقنا بالنفى . رد الاخر : الان يضربونها .. انتظر قليلا ... كان حوله فى غرفة العمليات معلق خطط الجيش ملونة بالاحمر والازرق والاسهم والاشارات تحدد أماكن القوات وموقف العدو .. وكان صديقنا يتأملها .. عندما دخل أحد الرواد قادما بأحدث المعلومات ...

ـ لقد اخترقوا الخط الدفاعى الرئيسى وسقطت العريش وبئر لحفن وابو عجيلة ورفح والشيخ زويد ..

وذهل صديقنا انها أول معلومات حقيقية يعرفها عن الحرب .. معنى ذلك ان الاسرائيليين فى طريقهم الى مواقع قواتهم فى الحسنه اذا أستمر الموقف هكذا فستكون المعركة فى اليوم التالى .. أى ٧ يونيو .

ركز عينيه على الاوراق .. أين هذه القوات وأين الهجمات المضادة .. لقد كان بناء على ورق .. ومن الورق .. انهار مع أول نسمة هواء .. وتجمعت كل الخفافيش تصدمه فى الظلام .. شريط بدأ بالكرسى ذى الارجل الثلاث .. وخبط المشير على المنضدة بقبضة يده .. واللواء الاحتياطى المهمل بدون مياه أو حتى عربات . واللواء الآخر الذى احتل أماكنه خلال ساعات .. وقائد كتيبته الذى مازال يبحث عن الحفار . كانت العربة تتحرك به بعيدا عن قيادة الجيش فى اتجاه الحسنه .. وكانت سحابات الدخان تتصاعد من المواقع القريبة من وحدته .. وهكذا يعمل الاسرائيليون يدكون بالطيران ثم يهجمون بالمدرعات والمشاه بعد ذلك .. وبالتالى فالمعركة انتهت بهذه السرعة سقطت ابو عجيله والتى كانوا يسمونها مركز سيناء لقد صمدت فى ٥٦ عدة أيام رغم أنها لم تكن محصنة بنفس الدرجة التى عليها الان ... انه يعرفها جيدا فقد شارك فى اقامة هذه التحصينات فى يوم ما .. لقد كان لكل بندقية دشمة خرسانية .. وكاد يشك فى صحة هذه المعلومات .. ولكنها معلومات هيئة العمليات .. على أعلى مستوى .. آه .. هل انهزم الجيش وشعر بالقشعريرة . لا يمكن ان لدينا أقوى طيران فى الشرق الاوسط ....

ولاذ صديقنا بالصمت يرقب ما سوف يحدث .. خوفا من أن ينشر الذعر والبلبلة بين الزملاء .. واختفى عن الاعين فى حفرة بعيدة يبكى ..

ويجتر الالم ٠٠ حتى أفاق على جحيم نيران الطيـــران المعـــادى ـ كانت الطـائرات الاسرائيلية قد ملكت الجو تســـقط عليهم مطلقة دفعات متتالية من الرشاشات ٠٠ ومن بعد كان يسمع صوت انفجارات مكتومة وفرقعات متبـــاعدة ٠٠٠

ويسقط بجواره سائق عربته ٠٠ رآه وهو يسقط اصفر وجهه بشدة وجحظت عيناه متسائلة ما الذى حدث !! ٠٠ ثم التوت قدماه ٠٠ وترنح لليمين ثم لليسار ودفع يديه للامام ممسكا بالهواء وسقط على وجهه معلنا صوت اصطدامه بالأرض ٠٠ موت أول رجل ٠٠ من وحدة صـــديقنا ٠٠ كانت المعدات الضخمة الظاهرة ٠٠٠٠ هدفا سهلا للطائرات أغرت الطيارين بأن يلهوا بوصاصاتهم كأنهم فى تدريب ٠

سقط الطيار منقضا بطائرته مرة اخرى بعد أن دار دورة كاملة ٠٠ وعاد ليكمل تدمير المعدات ٠٠ اقترب جدا من الأرض ٠٠ كان قادما فى مواجهة صديقنا ينثر الموت حتى أنه رآه ٠٠ كاد يلمسه ٠٠ وجهه كان واضـحا من خلال زجاج كابينتة تخيل أنه يبتسم متشفيا ٠٠ وجه منتفـخ أبيض شديد الاحمرار يدل على ضخامته يخفى عينيه خلف نظارة مستديرة قابضة على وجهه وطاقية جلد قابضة على رأسه وأذنيه وامطر الموقع بالرصاص ٠٠ كان من الممكن اصطياده ببندقية صيد ٠٠ لا بل بطوبة ولكن بندقيته رقدت عاقرا بين يديه لسبب لا يدريه ٠٠

وكأنما مـر هـذا الخاطر برءوس أخرى ترقب ٠٠ ولكنها كانت اكثر فاعلية اذ أنه سمع طلقــات بنادق قــادمة من الطرف الاخـر للموقع ٠٠ طلقات يائسة متباعدة ٠ أخرجت القائد من مكمنه يصرخ ٠٠ من الذى ضرب على الطيار ٠٠ ؟؟ أجاب أحد الجنود ـ انها طيارة اسرائيلية ٠

رد الاخـر ـ م ٠ أنا عارف ٠٠ عايز تلفت النظـر له ٠٠ تثيره ٠٠ سيعود لك ثانيا ٠ هل تستطيع مقاومته ببندقيتك هـذه ٠

ـ رد جندى ـ انها تسقط الطائرات فى فيتنام ٠

ـ أجاب القائد بصورة قاطعة ـ وحياة أبوك بلاش فلسفة ٠٠ فيتنام حاجة وهنا حاجة ثانية متضربش الا بأوامر ٠

ذهب صديقنا بعد ذلك ليرى الضحايا ٠٠ كان اولهم سائق عربته ٠٠ ولد اذ لا يمكن أن يطلق عليه لقب شاب ٠ فبرغم تجاوزه العشرين الا أن

جسمه كان ضئيلا أنهكه سوء التغذية والفقر ·· كان قادما لتوه من أعماق الصـــعيد يحمل معه جهله وسذاجته ·· وبيضا طاعته الابوية ·· التي لا تســمح له بأى تصرف ذاتى ·· ثم درب على أن يكون ســائقا لعربة قيمتها الاف الجنيهــات ···

ولقد كان من الممكن الا يموت لو لم يتذكر فجأة أثنـــاء القصف أنه نسى خوذته فى العربة ·· وهذا مخالف للأوامر فانطلق من خندقه فى اتجاه العربة وفتح الباب وأخذ الخوذة ليعود بها وهنا تنقض الطـــائرة وهدفها بركة الدماء ·· وكان له زملاء كثيرون فى أطراف المعسكر ومعسكرات أخرى ·· سقطوا ·· دون كلمة عطف أو تشجيع ·· ماتوا وقد كانت حياتهم ليست بخــير من مماتهــم ·

جففت دموعه ·· وتماسك ثم همس لنفسه ·· قد تكون هذه هى الحرب ·· الا يجوز أن يكون طيراننا مشغولا فى ضرب مطارات العدو ·· ألا يجوز أن نقوم بهجوم مضاد نستعيد به أرضـــنا ·· وقد يستطيع مع رجاله أن يقدم عمــلا · أى عمـل يوقف الهــزيمة ··

كان القائد يصيح فى التليفون ·· يا فندم الطائرات تلقى شراكا خداعية ·· أرجو تبليغ الوحدات بألا يمسها أحد حتى ننسفها ·

واستدعى اقدم صف ضـــابط واشار له فى اتجاه جثه الســـائق · لقد وجدنا شركا بجواز الجثة اذهب وانسفه ·· يصدر أوامره بعصـــبية فلتبتعدوا جميعا ٥٠ مترا على الأقل ·· يتكلم ثانية فى التليفون الميدانى ·· يافندم سننسف الشرك بعد نصف ساعة ·· بلغوا الوحدات حتى لا يحدث رد فعل غير مطلوب ·

وتكونت نصف دائرة بعيدة بالقدر الكافى يرقبون الصف ضــابط وهو يزحف تجاه الشرك بين اعجاب الجنود واشفاق الضباط ·· حتى وصــل الى مكان الشرك راقدا ·· ثم فجأة وقف متحديا لكل الاوامر ·· وأمسك بالشرك ورفعه لاعلى ثم عاد ضــــاحكا رغم المأساة التى يعيشها وصـــاح من بعد ·· فلقد كان الشرك خوذة الجندى الميت بعد أن اخترقها الرصاص فأخرج باطنها وأصبح منظرها غريبا ·

وهكذا مر اليوم الثانى للقتــال ولم ير صــديقنا الا تلك الطائرات النزقة ·· وصوت المذيع الثرثار الذى لا يزال يتكلم عن الخطوات الباقية المرتقبة والشنق على أقرب شجرة ·· قرب نهاية اليوم أنشا مقبرة للشيداء ليدفن فيها الموتى ·· وعلى ارتفاع منخفض كانت تطير طائرتان ميج ١٧ ·· هلل لهما الجنود والضباط ·· وعلق أحدهم ··· الم أقل لكم لقد صــدرت الأوامر للطيران بالتدخل ·· وكان قائد الفرقة يمر سريعــا بعربته وخلفه عدد أخر من العربات الجيب عائدا من معركة قرب العريش ·

ومع غياب شمس ذلك اليوم حضر رئيس الفرع ليبلغ قائد الكتيبة بأن الفرقة ستنسحب ٣ كيلو مترات الى مدينة الحسنة للدفاع عنها ·· أثناء حديثه يعود أحد الضباط من مأمورية توصيل الغام « لخرم » أصفر الوجه ويتكلم دون أن يطلب أحد منه ·· خرم محروقة الجثث مضروبة بالنابلم ·· ولا أحد هناك كل الناس انسحبت المنظر مرعب ·· أكوام أكوام من الجثث السوداء راقدة فوق بعضها البعض ·· عندما سأله قائد الكتيبة عن أحد الضباط الاحتياط الذين يعاونونه ·

أجاب : لقد كانت عربته أخر عربه فى القول والظاهر انه خاف وهرب ·

رئيس المهندسين يثــور هل نحن نلعب ؟ ·· يا حضرات لا توجد أوامر بالانسحاب واذا انسحب أى فرد ففى الاسماعيلية الشرطة العسكرية ستضربه بالنارفورا ··· ويسأله صديقنا : ولكن كيف سندافع عن الحسنة ونحن قوات معاونة لا تحارب ·

يرد ــ أوامر ·· والأوامر صادرة من قيادة الجيش ·

ــ من الذى سيحارب نصف كتيبة مهندسين أم سرية الخــدمة أم الشرطة العسكرية ·

يرد ــ سيدعمنا الفوج المدرع ·

فكر قليلا ·· وقال لنفسه لابد وأن القيادة تفكر أفضل ·· آن الأوان لعمل ما ·· ثم تكلم كما لو كان يكمل حديثا سأشترك فى المفرزة يافندم ·

ابتسم رئيس المهندسين ·· ثم لف ساعده حول كتفيه فلقد كان يعرفه منذ أن درس له فى مدرسة المهندسين شابا لا يقبل الا المنطق ويناقش كثيرا ولكنه ملتزم الى أقصى درجة ·· ويؤدى واجبه بفهم ·

قال له : انا اعرف انك لن تهدأ الا اذا فهمت ٠٠ خطة سيادة الفريق محسن هو أن تتحول الهزيمة الى نصر بتكوين نقط قوية قابلة للحصار تدافع عن مناطق محدودة ويترك الجيش الاسرائيلى يدخل المنطقة ويفرد قواته فى مسافات واسعة ٠٠ وبذلك يسهل على الفرقة المدرعة أن تفك الحصار وتحول الهزيمة الى نصر ٠

ـ رد صديقنا ـ لكن يافندم دى العريش والشيخ زويد وابو عجيله ٠

ـ أجاب ـ أيوه فاهم ٠٠ فاهم ٠٠ ووصلوا الى الكيلو ١٦١ قرب المكان الذى كنا فيه لكن اللواء ١١٤ المدرع أرجعهم ٠٠ لا تكن لحوحا ٠

أسرع الجنود فى تحميل العربات ولكن العربات لم تكن تكفى فلقد سحب بعضها لتحميل الالغام وتوصيلها للواءات المعاونة لذلك فلقد أصدر القائد أوامره بترك ما يزيد حتى ولو كانت أجهزة اللاسلكى ٠٠٠ ركب صديقنا بجوار قائد الكتيبه فى عربته وترك الراديو الخاص به بجوار السائق وانطلقا لتنظيم تحرك قوة الانسحاب ٠

أحد الجنود الاحتياط تكسر ساقه لقد أصطدم جرار بالعربة التى يركبها ٠ زملاؤه يحاولون اسعافه وهو يبكى « ياخيبتكم ياولادى من بعدى » ٠

قوات اخرى تنسحب من القسيمة على الطريق متجهة الى ثمادة ٠٠ الجنود يبتسمون لماذا ؟؟ ٠٠ سيدافعون عن خط الدفاع الثانى معنى هذا أن خط الدفاع الأول قد سقط ٠

همسات بين قائد الكتيبة ورئيس العمليات ٠٠ لا تعنى أحدا ٠٠

يصلون الى المكان الجديد المحدد لهم ٠٠ توزع العربات ٠٠ تتخندق ٠٠٠ توزع الحراسة ٠٠ ويجد صديقنا نفسه منفردا بعد طول تعب حوالى الثانيه صباحا يحاول أن يجمع كل المعلومات التى استطاع أن يحصل عليها وكل ملاحظاته ويربطها فى أطار منطقى ٠٠ أذن ٠٠ فأن هناك هزيمة ٠٠ ولكنها هزيمة تكتيكية ٠٠ ان دور الطيران والمدرعات لم يبدأ حتى الان ٠٠ وبالتالى فان القوات تنسحب لتتمسك بأرض أخرى ينطلق منها قوات الهجوم المضاد ٠٠ هكذا حدث فى روسيا ٠٠ لقد وصل الالمان الى مشارف موسكو ٠٠ وحاصروها ٠٠ وفك الحصار وانطلق الجيش حتى برلين ٠

وبالتالى فعليه الا يهلع من الظواهر ٠٠ ويتمسك بالارض مع جنوده ٠٠ حتى يفك الحصار ٠٠ الحصار ٠٠ معنى ذلك أن الموقف الحاكم الان هو المياه ٠٠ وجرى فى اتجاه فناطيس المياه ٠٠ احضر أهم صف ضـــابط وقال له ٠٠ أنت المسئول عن هذه الفناطيس ٠٠ لا تصرف منها الا بتعليمات منى شخصيا٠

كل المطلوب هو الثقة فى القيادة ٠٠ لابد وانهم تعلموا من حرب ٤٨ ، ٥٦ ٠٠ بالاضافة للخبراء الروس ٠٠ ان باكر هو يوم المواجهة مع العدو ٠٠ وتذكر أنه لم ينم منذ مدة ٠٠ وقرر أن يجبر نفسه على النوم ولو لساعات قليلة ٠٠ حتى يكون قادرا على مواجهة العدو ٠٠ كانت أضواء طلقات أضاءة ارض المعركة تلمع من بعد ٠٠ لابد وأن هناك معركة على بعد عشرات الكيلو مترات فقــط ٠٠

وأجبر صديقنا نفسه على النوم داخل كابينة العربة ٠٠ واســتيقظ على أصوات جنوده يضربون شبابيك كابينة العربة بقبضاتهم ٠٠ لقد ابتدأ الاله حورس يظهر فى طرف السماء ناشرا حوله دماء أفاعى الشر التى تقف على بوابة العالم الاخر ٠٠٠٠ منتصرا على الظلام ٠٠ كان الجنود يتكلمون فى صوت واحد ٠٠ دبابات العدو يافندم وقفز من مكانه مسرعا ٠٠ صعد الى أعلى التبة ٠٠ ثم ضــحك ٠٠ لا هذه دبابات الفوج المدرع التى ستدافع معنا عن المدينه ٠

وجاء دوره للرد على تساؤلات الجنود ٠٠ مثلما رد رئيس المهندسين عليه

ـ لكن المعركة دائرة طول الليل يافندم ٠٠٠

ـ اثبتوا ٠٠ كونوا رجــالا ٠٠٠ واســتدار يبحث عن الراديو ٠٠ وتذكر أنه نسيه فى عربة قائد الكتيبة ٠٠٠

ســأل : أين القــائد

: غير موجود نحن نبحث عنه ٠٠ كذلك رئيس العمليات اختفى ٠٠ تجمع عــدد من الضباط يتســاءلون ٠٠٠

لعلهما يأخذان أوامر جديدة ٠٠ لعلهما فى رئاســة الفرقة ٠٠ وتفرق الضباط والصف ضابط يبحثون عن قيادة الكتيبة ٠٠ عن القائد ورئيس العمليات ثم رجعوا بأخبار غريبة ٠٠ لا وجود لقيــادة الفرقة ٠٠ لا وجــود للوحدات الاخرى ٠٠ القائد ورئيس العمليات هربا ٠٠٠٠

ثم تجمعت اشتات من الكتائب والسرايا الاخرى التى لم تجد رئاستها حولهم ··· ودار حوار بين الجميع لا فارق بين ضابط او صف ضابط أو جنـدى ···

ـ فلنمش نحن أيضـا ·

ـ لنـا دور ياحضـرات ·

ـ القيـادة انسـحبت ·

ـ ولكن الجنود موجودون ·

ـ العدو على بعد خطوات ·

ـ نقـاوم ·

ـ نقاوم فى الخلف مـع النسـق الثانى ·

··· وقطع الحوار هجوم الدبابات السـوداء ·

وزعق الجنود من أعلى التباب ·· اليهود يافندم ·· دبابات اليهود ·· وفى هـذه المرة عبرت الدبابات عن نفسها باطلاق النيران · وجرى الجميع تجاه العربات ··· بعضها محمل بالالغام ·· الضباط يتجمعون فى كابينه عربة ·· خمس ضباط ··· الجنود يقفزون الى ظهور العربات ·· العربات تجرى بسرعة ·· طلقات الدبابات تطاردهم ·· العربات تجرى أسرع ·· توقفت الطلقات ·· أصبحوا بعيدا عن مداها ·· وفوجىء صدقنا فجأة بانه قد هرب ·· وشعر بالعار ·· كيف لم يؤد واجبه ·· أى واجب خـلال هذه الفوضى ·· لم يكن يتصور فى يوم أن يهرب وبهذه الصورة وبدون أن ينذر الاخرين ·· أصبحت قضية حياته أهم ·· وتساءل كيف ساعيش بعد الان ·· وكيف سأواجه الاخرين ·· حتى حياته أصبح مشكوك فيهـا ·· ان العربة التى يركبونها محمـله بالالغام ·· عندما صرح بذلك تنبه زملاؤه فقال أحدهم نرميها علق آخر ·· لو ضربتها طائرة ستدمرنا جميعـا

قال هو ·· نعمرها ونرميها تعطل القوات القادمه خلفنا ·

قال آخر ·· وما ادراك قد تتعثر فيها قواتنا نحن ··

واسـتقر رأيهم على أن يقذفوا بالالغام كما هى ·· فأصـدروا تعليماتهم للجنود المتعلقين بظهر العربة يقذفوا ·

وبعد أن أطمأنوا على تأمين حياتهم فهم الان بعيدون الى حد ما ·· وبعد أن تخلصوا من الالغام ·· ابتدا السـؤال الخالد يطرح نفسـه عليهم

وبعد ... ماذا سنفعل .. لاول مرة عليهم اتخاذ قرارهم بأنفسهم بعد ان انهارت القيادة هل يستكملون الحرب !! فيلجأون الى الجبل ومن هناك يشكلون مقاومة ما ... هل يستمرون فى الحركة بالعربة حتى يصلوا الى مكان آمن .. هل يتحركون فى الجبل .. واستبعدوا الحل الاول .. ثم الحل الثانى لخطورة الطيران على العربات المتحركة .. وقرروا أن يتحركوا فى الجبل ولكن بعد أن تطوع أحدهم يملء العربة والجراكن بالمياه والحصول على طعام من العربات المضروبة على الطريق واللحاق بهم .

نزلوا جميعا من العربة الا واحدا منهم ومعه جنديان .. الذى تحرك الى الطريق ثم أختفى عن نظرهم والى الابد ...

وأصبح عليهم الان السير .. الحركة أو الموت .. ولا يهم الماء .. ولا يهم الطعام .. ولا يهم اى شيء سوى الحركة .. وكلما توغلوا فى حضن الجبل .. كلما حافظوا على حياتهم أكثر .

سألت صديقنا : هل تتصور ان العرب سوف يعودون لمصر أو أن مصر سوف تعود للعرب ...

أجاب : الامور لا تؤخذ هكذا ببساطة ياصديقى .. أنا لست منجما ولا أطمع فى أن أكون منجما .. أنما فلنستقرىء الاحداث .. ما الذى تحتاجه مصر من العرب وما الذى يحتاجونه منها .. وعلى اساسه سيتحدد ما الذى سوف يحدث .. العرب ومصر .. يحتاجون لان يصبحوا قوى اقتصادية وعسكرية وثقافية وحضارية .. فى مواجهة القوى المختلفة فى العالم . والذى أصبحت فيه الشراذم لا تستطيع العيش .. العالم يتجه الى الوحدة .. لا التجزئة .. وبدون ذلك ستحاول العراق عمل القنبلة الذرية وليبيا شراءها والسعودية اتقاءها .. وهكذا .. ومصر تفصل الوطن العربى الى نصفين شرقى وغربى .. وهى القلب وبحكم كثافتها السكانية وتجاربها الحضارية هى الثقل .. ولكن عليها أن تعدل فى علاقتها بأخوتها .. فهى لم تعد الواحد والباقى أصفار على الشمال .. كما كان يقال .. بل هى تزداد بتماسك قوى أخرى معها وعلى الاخرين انهاء شكل البطولة الفردية والزعماء الأواحد وتحويل بلادهم أن حكومات عصرية .. قادرة على مواكبة العصر ... وهناك أمل .. ولكن بهدوء .. ودون تعجل .

شمس يونيو ... وصعود الجبل ... وارهاق عشرين يوما .. ونقص المياه والطعام ..... عذاب .

وهروب الجندى من ميدان القتال ومن الدور الذى أعد له نفسه سنين طويلة وخيبة أمله فى نفسه ‥ وفى كتيبته ‥ وفى جيشه وقومه ‥ عذاب ‥ وفقدان الطريق ‥ والامل ‥ والهدف ‥ والماضى والحاضر والمستقبل عذاب ‥ ولكن أكثر درجات العذاب هو الرعب من قوى غير منظورة ‥ وغير متوقعة ‥ وغير مستعد لها ‥ اكثر درجات العذاب لان الانسان يشعر فى هذه اللحظات بمدى ضئالته ‥ لان الانسان يعود الى عصور الجهل فيما قبل التاريخ عندما كانت تحيطه الغوامض من كل اتجاه وتحاصره الاعداء فى كل خطواته ‥ وهكذا كان أصدقاؤنا ‥ مجموعة من الضباط والصف ضباط والجنود بعضهم يعرف البعض ‥ والبعض الاخر رمت به الاقدار قبل المعركه بأيام جندى من جنود الاحتياط والبعض الاخر وجد الامن فى أن يتحرك مع جمع أى جمع ‥ حتى ولو لم يكن يعرفهم ‥

الان انتهت كل الفوارق ‥ الا قوة الاحتمال ‥ من يستطع المثابرة والحركة للوصول للهدف سيبقى حتى ولو كان جندى أحتياط علاقته بالجيش بدأت منذ أسابيع ومن يسقط ‥ فسيسقط للابد ‥ حتى ولو كان أقدم الضباط جميعا ‥ وتفجرت الطاقات ‥ تفجرت الطاقات المختزنه أمام الرغبة فى الحياة التى لا يقف أمامها أى عائق ‥‥

وتحرك الرجال رغم فقد جميع الاحتمالات النظرية للنجاة ‥ ولكن الامل دفعهم لبذل المزيد من الجهد ‥ والعرق ‥ والتحمل ‥

يقول صديقنا وهو صادق فى ذلك « لم أكن أتصور أبدا أى احتمال عدا أننى سوف أعود ‥ الى الوطن ‥ الى الارض ‥ الى المنزل ‥ الى الاهل ‥ الى الراحة ‥ لم أتصور أبدا أننى سأموت أو الاسر ‥ رغم أن كل الظروف كانت ضدى واليهود ضدى ‥ وبنى وطنى ضدى وأنا نفسى ‥ ضد نفسى ‥ الا أن خيال الفناء لم يراودنى أبدا طول رحلة السير » ‥

ونفذت الطاقة ‥ ونفذت المياه ‥ وابتدات الخيالات المرعبة تغزو بعض الافراد ‥ وظهر تاثير الضعف الناتج من قله الماء والطعام وحرارة الشمس على بعض الافراد ‥ وتخيل البعض أنه لا نهاية لهذا العذاب وأنهم سوف يموتون ‥ ولكن لا وجود للثبات فى الحياة وانما هى فى حركة مستمرة متجددة متغيرة ‥ كل لحظة تختلف عن التى قبلها ‥ حتى فى جبل قفر ‥ فعندما قارب الجميع على التوقف نتيجة لقلة المياه ‥ وظهرت بعض الاصوات التى ادانتهم لصعودهم الجبل ‥ وجدوا من يجرى خلفهم وينادى

.. يا مصرى .. يا مصرى .. وأذا هم مجموعة من عرب سيناء الهاربين الى الجبل خوفا من رصاصات الطرفين ... ومعهم مـاء ....

لحظات خاف الأخـــوة بعضـــهم من بعض .. وقفزت الى مخيلتهم الاســاطير التى نسجت عن استغلال عرب سيناء للموقف . وعن تسـليمهم المصريين للاسرائيليين ... ولكن العطش والخوف من الموت شجعهم على حوارهم .. ولم يندموا ... فلقد شربوا جميعا حتى الارتواء وملأوا الاوانى التى معهم .. ودلوهم على الطريق من خـلال مسارب الجبل .. وأهدوهم ما هو أغلى من ذلك جميعا .. أهدوهم النصيحة ... قالوا لهم لماذا أنتم ملتاعون هكذا .. الستم رجالا .. سيروا فى الجبل لا تنزلوا للطرق الرئيسية .. وفى الجبل ستجدون المـاء والمـاعز اذبحوا واحدة أو اثنتين .. أشووها .. وكلوها .. يوم .. اثنين .. وستصلون ان شـاء الله فقط لا تنزلوا للطرق الرئيسية .. لقد كانوا رجالا حقيقيين .. صلبهم الجبل والحياة .. لم تحللهم المدينة وتتلفهم وتحولهم لحيوانات مدللة صغيرة تموت آن لم تطعمها .....

بمرور الوقت اكتشف الجمع أنه فى حاجة الى قيادة حقيقية تحـافظ على قطرات المـاء التى يحملونها .. ويعرف الاتجاه والمنطقه ويحدد خـط السير .. ويتحمل المسئولية ... الان لا داعى للرتب انما مطلوب قائد حاسم .. غير متردد .. يفهم الموقف .. ويستطيع أن يقود .. وتكون تلقائيـــا طاقم قيادة .. فرض نفسه لامكانياته وأطاعه الاخرون رغم أن منهم من هو أقدم رتبة .. وحدد الطاقم الطريق .. لو تحركنا فى اتجاه الغرب فسنصل باكر الى طريق البحيرات نخترقه بسرعة .. ونصعد للجبل ثانية بعـــد باكر لوسرنا بنفس المعدل سنكون على ضـفاف القنال » .

وحمل أخرون زمازم المياه بحيث يتم توزيعها فى حضـور الجميـــع وبنفس القدر ... وفى وقفات خاصـة ..

واستطاع الجمع بذلك أن يصمد ويتحرك فى وسـط السـكون .. لا [illegible]قعـات .. ولا رصـاص .. ولا مدرعـات .. ولا دمـاء .. ولا صوت .. ولا حتى أحاديث .. اصرار على الحركة فقط .. كان كل شـبر يقطعه الجمع .. لا يستطيع العودة اليه .. فلقد كان أسفل الجبل وعلى طـريق [illegible] يتحرك قول من المدرعات الاسرائيلية وكأنها فى طابور استعراضى

يسير أمام المنصة الرئيسية فى ثقة شديدة ·· اعداد لا نهائية من المدرعات المتجاورة يحرم عليهم العودة ·· أرض مصر ·· يحتلها الاسرائيليون ·· ويمنعون المصريين من الحركة ·· آه ·· آه ·· وانتهى المـاء المحافظ عليه وابتدأت المعدات تطالب بالطعام ·· وفقد الرجال طاقتهم وابتدأ الاله آمون يترك مكانه فى مملكة النهار ليدلف الى مملكة الظلمات بعد أن كبر وشـــاخ خلال رحلته عبر السماء ·· وقبل أن يغيب أهدى الجمع قطيعا من المـاعز ·· يرعى فى ســلام ·· وجرى كل اثنين خلف معزة ·· كانت المـاعز تحاورهم وتجرى منهم وكلما تصوروا أنهم قابضون عليها افلتت ··

وأمسك صديقنا وآخر باحدى المعاز ووضـــع فمه على ضرعها ·· باللذه ·· سرســوب من اللبن الدافىء يصطدم بحلقه الجاف فيرطبه ويرويه ·· الماعز مستسلمة ·· بل تنظر اليهما بحنان شديد ··

يقول صديقنا « كانت تنظر لى بحنان أم وحبيبة ·· وانهلت عليها أقبلها بين العينين ·· بالأنسانية هذه المعزة ·· بالأمومتها تركتنا نشرب لبنها فى محبة وســلام · لقد حطمت حياتى بعد ذلك تلك المعزة ·· فأنا مازلت أبحث عن نظرات عينيها بين النســاء حتى الان وأفتقدها ·· لن انساها ما حييت » ·

كان آمون قد أنهى وظيفته فى هذا اليوم وهده الكدر بعد ما شــاهده على أرض الكنانة ·· وقرر دخول مملكة الظلمات وكان أصدقاؤنا يستغيثون به ·· أن أبق قليلا ولكنه لم يكن فى حنان المـاعز · لقد كان قاسيا للغاية وتركهم فى ظـلام ·· وأصبح الطريق غامضا ·· لا يرون شيئا الا جبـالا تكسوها المهابة ·· والســواد ·· وتجمع داخلها المتناقضات ·· الســلام والهدوء ·· والغموض والرعلا ·· وابتدأ الهواء يفقد حرارته · ويلســعهم فلا تحميهم ملابسهم الصيفية ·· وقفز الدفء ليصبح هو حاجتهم الاساسية ·· ولكن كيف !! وقد فقدوا كل ترث البشرية العلمى فى بعث الدفء ·· ان الانســان فى عصرنا بدون أدوات حضارية ضــعيف جدا ·· ترى كيف عاش أجدادنا فى العصور المتوحشة فى هذا البرد عراة ·· وتحرك العقــل البشرى يحميهم ويذود عنهم كما ذاد من قبل عن اجدادهم فمنعهم من الانقراض ·· عليكم أن تتكيفوا مع الوضع الجديد ·· وهكذا ابتكروا طريقة للدفء بأن يحتضن بعضــهم بعضــا فيبعث كل منهم الدفء فى الاخرين ويتمتــع هو الآخر بدفء مقابل ·· وناموا فوق الجبل أجسادا ملتصقة لا فارق بين

جسد ضابط أو جندى أو صف ضابط فكلها باعثة للدفء ·· وفى وحدتها نجاة للجميــع ·

وظهر حورس فى الافق متجدد النشــاط فايقظ النيام باعثا الامل فى نفوسهم مستكشفا ما حدث ·· ليحكى القصة التى لا يزال يراعا منذ بدء التاريخ ·· ظلم الانسان لاخيه الانسان ·· تجبر القوى ·· وحيرة الضعيف·

ومع الضوء ·· جاء السؤال ·· ما العمل ؟؟ ·· هل سيصلون ·· هل ضــلوا الطريق ·· لابد وأن يكون قريبا من عنــا ·· وجلس البعض فى يأس مكانه ·· وتحرك أخرون ··

وتساءل صديقنا كيف يمكنه المحافظة على قــدرته وحركته ·· لابد وأن يأكل ··· وأدار بصره حوله فلم يجد شيئا ·· الا بعض القواقع تركت فى مجرى سيل ·· وفكر قليلا لابد وإنها تحوى بعض البروتين ·· فمــا المــانع من أكلها ·· شكلها كريه ·· ومع ذلك مد يده وأخذ يكسر بعض القواقع يمتص ما بداخلها ·· ليس طعمها كريها ··· وابتدأوا يتســابقون بعد ذلك فى العثور عليها حتى تحدث المعجزة · فى بعض الاحيان تكون المعجزة أن تكسب شهادة استثمار ·· أو أن يموت لك قريب فى الارجنتين أو أن تكون الفتاة التى تحبها لم ترضع عليك ·· هكذا علمتنا السينما المصرية والجريدة ·· والقصة ·· ولكن أن تكون المعجزة أثرا لسير عربة ·· فهذا شىء جــديد ··

لقــد وجد الجمع ·· أثارا حديثة لعربة ·· معنى هذا أنهم بتتبعهم له سيصــلون الى مكان مأهول أو طريق يحدد لهم حركتهم ·

وساروا على هداه ·· حتى وصلوا الى عدة عربات مضروبة بالصواريخ هل بهاماء · ولم يجدوا الا قليلا من المياه الصدئة فى الرديراتيرات تخاطفوها سريعــا ··

وتتبع أخرون مسارات أخرى ·· ثم عادوا يصيحون الطريق · الطريق ··

سألت صديقى : الا زلت تحلم بأن نكون قوة كبرى باتحادنا ·· الم يكفنا ما حــدث لنــا !!

أجاب وما الذى حدث لنا ٠٠ اربعون عاما من المعاناة ٠٠ مائة عام ٠٠ أن عمر الشعوب يا صديقى لا يحسب بالاعوام القليلة هذه ٠٠ ولا بد أن نحلم واقدامنا على أرض الواقع الصلبة لنطوره ونبنيه على أساسات قوية تحتمل بناءا شامخا ٠٠ ان الاجيال القادمة تطالبنا بما لم يحققه لنا الاباء وعلينا أن نزرع شجرة الزيتون التى لن يأكل ثمارها الا الاحفاد ٠٠

اندفعوا فى اتجاه الطريق ٠٠ لقد كان طريق البحيرات فعلا ٠٠ بالتالى لم يضلوا كثيرا ٠٠ يصبح الباقى للوصول للقنال حوالى ستين كيلومترا أى يمكنهم الوصول خلال يومين ٠٠ وتجدد الامل مع صياح أخرين الماء ٠٠ الماء ٠٠ لقد كان هناك عربات محملة بفناطيس وجراكن ممتلئة بالماء ومعطلة على الطريق ٠٠ شربوا حتى ارتوا ٠٠ وحملوا كل ما استطاعوا حمله من أوعية ممتلئة ٠٠ واستعدوا للحركة ٠٠ واختلفوا ٠٠ جزء منهم رأى السير بمحازاة الطريق ٠٠ وجزء أخر رأى اختراق الوادى وجزء قال فلنصعد ثانية الى الجبل ٠٠ كان الرعب من الجبل اقوى من الرعب من طائرات العدو وقولاته ٠٠٠ خاصة أن ذلك المذيع الثرثار كان لا يزال يتكلم عن القتل والخنق والضرب ٠٠ وأن القوات المصرية قد حصرت القوات الاسرائيلية على الطريق الاوسط ٠٠ وهم على الطريق الجنوبى ٠٠ هم اذن فى أمان ٠٠ المشكلة فقط مشكلة وقت وانتصر الرأى الذى يقول أن يخترقوا الوادى فهو حل متوسط بعيدا عن مغامرة الجبل ٠ وبعيدا عن اغراء الطريق للطيران المعادى ٠ وكما تضع بلورة سكر صغيرة فى محلول مركز فتتجمع حولها بلورات اخرى وتكبر كذلك حدث لهم ٠٠ تجمع حولهم أعداد كبيرة من الجنود والضباط الشاردين فى الجبل ٠٠ وزاد عددهم حتى قارب المائه ٠

حاولوا التفرق لمجموعات صغيرة ٠٠ ولكن كل المحاولات باءت بالفشل أمام غريزة القطيع ٠٠ وتنبه صديقنا آلى عامل جديد استجد ٠٠ نظرات كراهية اطلت من أعين بعض الجنود الجدد للضباط وكأنهم يحملونهم مسئولية ما حدث لهم ٠٠ وتوقع أى تصرف خال من الحكمة ٠٠ كان صديقنا يحمل مبلغا من المال حوالى مائتى جنيها هى حصيلة بضائع بيعت من كانتين الوحدة ٠٠ ورغم أن النقود لا قيمة لها فى مثل هذه المواقف ٠٠ ولا يمكن استخدامها الا أن الأمل فى شراء مفاجىء قد يدفع أحدهم ومن خلال هذه

الفوضى لسلبها ولو على جثة صـــديقنا ‥ فأخفى النقود بين ملابسه الداخلية وجسده ‥‥

كان الجمع يتحرك يحدوه الامل فى النجاة ويغذيه بدلا من الطعام ‥ بعضهم يحلم والبعض الاخر يسخط والبعض يتحامل على نفسه حتى سمعوا صوت محركات طائرة التفتوا جميعا لها ‥ كانت طائرة اسرائيلية ذات محركات تســـير بمنتهى الامان تستكشف المنطقة ٠ كانت نجمـــة داود واضحة عليها ‥

زعق أحدهم ارقدوا جميعا ‥ كان الامل ألا تراهم ٠ ولكنها استدارت لتعود ثانيا فوقهم ‥ ليرقدوا ‥ وهكذا حدث حوار غريب بينهم وبين طائرة الاستطلاع ‥ كلما أعطتهم الطائره مؤخرتها ســاروا ‥ وكلما عادت رقدوا على الارض ‥ ولكن بعض الجنود لم يشعروا بالمسئولية ٠ خاصــة بعدما فقدوا احترامهم لقادتهم فكانوا يتحركون بغض النظر عن مكان الطائرة ‥ وابتدأ يدور بينهم حوار ‥ ترى هل لا خطتهم ‥ هل سترمى جنود مظلات ؟؟ هل هى طائرة استطلاع ‥‥ !! هل هى ناقلة جنود ! لماذا تتحرك بأمان هكذا رغم بيانات الاذاعة بأن الطريق الجنوبى مؤمن ٠ وقطــع حديثهم عثورهم على عربة زيل معطلة فى وسط الوادى ‥ عندما اداروها وجدوها سليمة ‥‥ ووجدوا بها بعض الطعام علب أكل محفوظ ‥ كانوا يأكلون ويحلمون حول العربة ‥

بعضهم كان رأيه أن يركبوا العربة ويتحركوا بها فى اتجاه القنال ٠ باقى حوالى أربعين كيلو مترا تستغرق ساعة ‥ فى نهاية اليوم يصبحون فى الاسماعيلية ‥

البعض الاخر كان يرى أن القوات الاسرائيلية بعيدة ولا خطر الا من الطيران فلينتظروا حتى غروب الشمس ويتحركوا بالعربة ٠ ونصـــحهم أحدهم بالابتعاد عن العربة كى لا يلفتوا النظر اليهم ‥ وكان صـديقنا قد اطمأن ‥ بعد ساعات سيصل الى البر الغربى ‥ سيرسل لاهله تلغرافا من كلمتين « لازلت أعيش » وبعدها سيذهب لرؤيتهم ‥ سيصل ‥ سيصل ‥ يا للمغامرة ‥ رائعة خصوصا لو انتهت بســلام ٠ كان يعجب كيف

أستطاعوا أن ينجوا من الموت ٠٠ ينجوا من الموت وصدمته هذه الفكرة والجيش ٠٠ والحرب ٠٠ والهدف ٠٠ والقضاء على اسرائيل والدفاع عن العروبة ٠٠ ماذا حدث ٠٠ !! كان يريد أن يأكل ٠٠ أن ينام ٠ ترى ما سبب الهزيمة ؟؟ هل اصبحت هزيمة ؟ من ادراه فهو لا يرى الا جزءا صغيرا داميا من الصورة ٠٠ وشعر بالخدر فاسترسل فى أحلامه ٠٠ كان يريد أن يستحم ٠٠٠ أن يحلق ٠٠٠

وفجأة وبنظرة للأفق البعيد تبددت كل الاحلام ٠٠ لقد ظهرت طائرة حربية تطير على ارتفاع منخفض ٠٠ وخلفها أشباح سوداء تتحرك على الارض ٠

سألته : وهل ستتركنا الدول الكبرى ننمو ونناطحها ٠٠ الن تطالبنا بالثمن ٠٠

رد : هى دائما تطالبنا بالثمن وهى دائما لا تتركنا ننمو ولكن هل تتصور أن الحياة مفروشة بالزهور دائما ٠٠ وهل كانت الدول الكبرى منذ الازل دولا كبرى ٠٠ !!

الساعة حوالى السادسة مساء ٨ يونيو والشمس تميل للمغيب وأصدقاؤنا مجموعة من الضباط والجنود المنسحبين عبر سيناء فى طريقهم الى مصر ٠٠ حوالى المائه رجل على يمينهم جبل لا يعرفون ماذا وراءه ٠٠ وعلى يسارهم واد رملى فسيح جاءوا من خلاله ٠٠ وخلفهم يمتد الوادى فى اتجاه مجهول قادم منه أشباح مكدات سوداء تتقدمها طائرة تطير على أرتفاع منخفض ٠٠ وعلى بعد عشرات الامتار منهم عربة زيل معطلة ولكنها أملهم فى أن يتحركوا بها الى القنال ٠٠ وبين الكودى الحشيشية البرية المنخفضة يرقدون فى انتظار الظلام ـ اللحظات تمر ببطء كأنها دهور وهم يكتمون أنفاسهم فى أنتظار القادمين ٠٠ ترى هل هم جيشهم جاء متصورا أنهم مجاميع اسرائيلية هابطة فى الوادى !! أم ترى هم اسرائيليون قادمون للتخلص منهم!

ولاول مرة يكتشف صديقنا انه من الممكن أن يموت فان الاشباح القادمة ستطلق عليهم النار حتى يتعرفوا عليهم ٠٠ وعلى هذا قد يقتل بعضنا بعضا ٠ الموت ٠٠ الموت لاول مرة ٠٠ وفجأة صاح ٠٠

ـ اليهود ·· دبابات اسرائيلية ··

ـ لا ·· انهـا دباباتنا ·

ـ انها ·· لليهود ··· وأنهت المناقشة · اصوات طلقات رشاشـات ومدافع دبابات ·· ومرت عن يمينهم ويسـارهم دبابتان تليهمـا عربتان مدرعتان ·· وارتفعت الطائرة الى اعلى ·· لتدور دورة كاملة فى السماء ·· فلقد أدت دورها ·· وتصاعد من الجمع المختفى بين كدى الحشائش المتصبرة أصـوات عديدة ···

ـ نحن عرب ··· احنا مسـلمين ·

ـ اسـكت ··· دول يهـود ·

ـ يا حبيبتى ··· يا بنتى مين حيربيكى بعدى ·

ـ متنا خلاص ··· أشهد أن لا الله الا الله ···

ـ سـلم يا محمـود ·

ـ ارفـع المنديـل ·

ـ مظلومين والله مظلومين ·

ـ سلم يارب ·· سـلم يارب ·· سـلم ·

ـ أحدهم يجرى نحو العربة فى محاولة يائسة للهرب بها ··

ـ ابعد عن العربة ·· يعقبها طلقة مباشرة تصـيب العربة فتحولها الى كتلة نار ···

طلقات الرصاص ترسمهم ·· أصوات جنازير العربات المدرعة قريبة ومتلاحقة كأنها تسرع متلهفة لتدوس على الاجساد الملتصقة بالارض ···

يقول صـديقنا « كنت أحـاول ان اغوص فى الارض كى تحمينى ·· ولكنها كانت تلفظنى فوقها كأنها أم مجنونة قاسية قذفت بأبنها على شريط السكة الحديد وهى واقفة تضحك لترى هل سيمر القطار القادم فوق ابنها أم على الشريط المقـابل ··· »

تجاوزتهم العربات والتفت امامهم مكونة نصف دائرة اطلقوا عليهم دفعات متتالية من الطلقات ·· ثم قفز الجنود الاسرائيليون من العربات

ينادون بعربية ركيكة « سلم يا مصرى .. قومى .. مفيش حد حنضربه . »
فى الوقت الذى يصبح فيه الانسان وجها لوجه أمام الموت ينتابه شعور غير عادى .. الحقيقة مجردة من جميع الاخفاءات التى يحاول أن يخفيها بهـا فى الظروف الطبيعية .. ويتصرف كل منا ولاول مرة على سجيته وتأخذ الاشياء حجمها .. الطموح .. الرغبة .. الامتلاك . الفخر .. حتى الحياة نفسها .. وهكذا تجرد اصدقاؤنا جميعا واصبحوا عرايا امام انفسهم وامام الاخرين وتحول رجال منهم الى اطفال ينهنهون وتحول بشر شـامخون الى خرق مهلهلة .. وتحول بعض الصامتين الى جبال صلدة شـامخة ...

كان احدهم يبكى أطفاله الذين سـوف يتيتمون .

وآخر يستجدى عطف آسريه باطلاق مجموعة من الشتائم فى كل من يحلو لهم سماع شتائمه فيهم .

وآخر لم يبق له الا تراثه الفكرى المتمثل فى الدين فأخذ يقرأ سـورا من القرآن ويصلى تائبا عن ذنوبه ..

ورابع أخرج صورة زوجته وأخذ يكلمها ويقبلها .. أحضرت لك الشقة والسيارة .. وكل ما طلبت وذهبت أنا ... معاشى سيجعلك ..

وخامس خلع رتبه العسكرية وانهمك فى حفر حفرة ليدفنها فيها وبسرعة خلع سترته لكى يخلع الفانلة والكلسون فاليهود يعرفون الضـباط من ملابسهم الداخلية .

ودار فى نفس صديقنا سؤال عجيب لا يدرى كيف قفز الى قشرة شعوره . ماذا فعل بملابسه المكدسة فى دولابه وبالاجهزة العصرية التى فى منزله .. ومغامراته العاطفية المتعددة .. وقراءاته .. وتعلمه عشرات السـنين .. وسهر الليالى فى الرسم والتصميم حتى حصوله على البكالوريوس .. ودموع الفراق .. وساعات الانتظار .. وصراعه وعنفه .. ثم تنهد وقال .. « مسكينه يا أمى ترى كيف تستقبلين خبر موت ابنك » ... كل الاشياء أصبح لا قيمة لها الان وكل الساعات التى قضاها هباء .. وكل الليـالى تبخرت .. ولن يبقى الا بعض الكتابات التى قد يهتم بها انسان ما ..

آه لو كان له عمر فسيهبه ليترك اثرا فى الحيـاة ٠٠ سيغير حياته بالكامل حتى ٠٠٠

« سـلم يا مصرى ٠٠ قومى مفيش حد حنضربه ٠٠ احنـا مش متوحشين ٠٠ قومى » وقام صـديقنا مع من قاموا ٠٠ الان هو أمـام الاسرائيليين وجها لوجه ٠٠ ها هى ذى اللحظة ٠٠ ولكن فى موقف مخزى يستجدى حيـاته فى نظرات الاعـداء ٠٠ ها هى ذى اللحظـة ٠٠ ولكن يالمهانتها ٠٠ تشجع يا فتى انه القـدر الذى كتبه عليك ذوو الكـآبات الحمراء ٠٠٠ تشجع فان مت فلتمت شجاعا ٠٠ تشجع لو ضعفت فستندم طول عمرك ٠٠ تشجع فلن يجدى أنهيارك شيئا الا لذة عدوك ٠

سألت صديقنا : هل أنت راض عما حدث حتى الان !!

أجاب : لقد قمنا بأقصى ما نستطيع ٠٠٠ ان الحرب عمل لا انسانى مرعب ٠٠ التدمير ٠٠ والقتل ٠٠ والتشوهات البدنية والنفسـية ٠٠ شىء لا يحتمل ٠٠ واذا كان من الممكن أن تسترد حقوقك دون تفريط بالسـلم فبالتاكيد هو أفضل من الحرب ٠٠٠

سألت : هل لتجربتك الشخصية دخل فى وجهة نظرك هذه !!

أجاب : بالتأكيد لا يعرف الوجد الا من يكابده ٠٠٠ ولا الصـبابة الامن يعانيها ٠٠٠

الفصل الثالث

الاســـــر

عندما عاد صديقنا من الاسر كان قد استقر فى روعه من خلال المعاناة الطويلة بأن الهزيمة التى تمت كانت هزيمة مجتمع ·· وأنه لابد من حدوث تغييرات أساسية فى هذا المجتمع لمواجهة الهزيمة ·· وأنها كافية جدا لتجعل كل القوى تتكاتف وتفيق من غيبوبتها ·· كان يقول دائما « لقد كنا نعيش ونحن نتخيل أننا نستند الى حائط صلب ونقف على أرضية متماسكة ·· وكنا نرمى بكل ثقلنا على القيادة ·· متصورين أنها تصنع المعجـزات ·· هكذا علمونا ·· لذلك أخذنا موقف المتفرج وفى أفضل الاحيـــان المتعاطف الساذج ولم نتحمل ابدا مسئولية اتخاذ قرار استنادا على أن القيادة أفضل وتعرف صالحنا أكثر ·· وقرارها سيكون الاصوب وتغاضينا عن أشــياء كثيرة وسلبيات حادة تراكمت ونخرت فى البناء حتى أصبح بناء من قش طار مع أول صدمة »

ولم يستطع ما حدث أن يمحو حماسه وثقته بالثــورة ·· بل كان يتخيل أنه انحراف أو خطأ حدث ويمكن تعديله ·· بتكاتف كل القوى ·· ولكن صدمته كانت كبيرة ··· عندما عاد فوجـــد أن المصريين هربوا من المواجهة ·· جزء منهم هرب عن طريق الامراض الهســتيرية ·· أى تحول مرض نفسى الى جسدى··فمرضوا بالضغط والسكرو أمراض القلب والمعدة·· وجزء أخر هرب بالهجرة ·· وجـــزء هرب بالتجـــاهه الى التطرف الدينى أو التطرف العبثى والاستهتار والغرق فى اللذات الحســـية ·· وحتى الذين لم يهربوا وحاولوا اتخاذ موقف ايجابى لجأوا الى أنماط جـاهزة تعلموها من الصين وفيتنام وكوبا والاتحاد السوفيتى ·· وأنقسـموا الى شراذم صغيرة تتخفى تحت الارض ويدور بينها وبين بعضها صراعات مرعبـة ·· وبينها وبين الحكومة ثقة مفقودة ···

وهكذا عندما تخلخل البناء بحث كل منا عن وسيلته الخاصة للنجاة تماما كما حدث لحظة أسرهم .. عندما تحقق الجميع أنهم أصبحوا أسرى .. انطلقت الاصوات مليش دعـوة .. ملعون أبو الحرب .. احنا مسالمين ..

وكان الاخرون يصيحون ايضا « ايدك على راسـك » .. مين اللى رمى القنبلة على الدبابة ...

واقترب منه شاب فى حدود الخامسة والعشرين أبيض ذو شـعر مجعد طويل يلبس أوفرول أخضر مزركش ويسير بكبرياء وخيلاء شديدين .. وفى نفس الوقت حذر من المفاجآت .

وسـأله : « انت ضـابط » .

سأله وفى نفس الوقت مد يده نحوه فاختطف النظارة البيرسـول وقذف بها لزميل له وقف بعيدا . فتشه ولم يكن معه شىء ذو بال سـوى النقود التى أخفاها ولم يعثر الآخـر عليها . سحبه بعيدا وقال : ارتد .. ايدك قدامك .. اخفض راسـك .

جمعوا الجنود فى مكان والضباط فى مكان اخر كانا صديقنا وضـابط اخـر ثم ابتدأوا يحضرون رشـاشـاتهم لاطـلاقها على الجنـود وقف باقى الضباط وكانوا قد تخلصوا من رتبهم مذعورين .. منبئين عن انهم ضباط .. عرضوهم على صديقنا فأقر ورصوهم بجواره . وزعوا المياه لكل فرد رشـفة من زمزمية معدنية مثلجة .. مـاء ذو طعـم خـاص مخلوط بالماغنيسيوم أو ما شابه ذلك ..

سأله أحدهم باللغة العربية وهو راقد : ماذا تعمل .

رد عليه صديقنا بالانجليزية : مهندس معمـارى .

ثم ابتدأ يتكلم بالانجليزية .. لم يكن يدرى لماذا فعل ذلك .. كل ما شـعر به أنه انطلق يتحدث بالانجليزية .. هل كان يتصـور فى ذلك الوقت انهم لن يفهموا العربية .. أم لانهم أغراب كلمهم بلغة غريبة .. أم أنـه حاول لا شـعوريا أن يفهمهم أنه مثقف مختلف عن الاخـرين ويجب الا يقتلوه بدون سبب ...

ولكن لم يدم هذا الحال طويلا فقد زعق بالعربية ٠٠ وكأن الصوت قادم من انسان اخر غريب عنه ٠ « حرام عليـــكم ٠٠ حتعملوا أيه فيهم » عندما شاهدهم يجهزون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود ٠

التفتوا لصاحب الصياح ليؤدبوه ٠٠ ولم ينقذه منهم الا قدوم عربة جيب مركب بها جهاز لاسلكى وضابط كلمهم بالعبرية ٠٠ فتركوا الجميع ٠ الا واحدا منهم أراد أن ينتهز الفرصة ليأخذ لنفسه بعض الاسلاب ٠٠ فمد يده لينزع خواتم الزواج من الايدى .ولكن لسـوء حظه أنه قد ابتدأ بذلك الضابط الذى أخرج صورة زوجته يقبلها أثناء الموقف فصاح فيه هذه ليست ملكى انهـا ملك المدام وخوفا من الفضيحة تنازل عن رغبته فى الاســلاب ٠٠ قوموا ٠٠٠ تقدم ضابط يدير الطــابور ٠

وتقدم أقدمهم ليدير الطابور ٠٠ طابور من الاسرى !! ومع ذلك فلقد كان يديره كما لو كان فى استعراض ٠٠ بالطبع لم يقصد هــذا ٠٠ ولكنه تعود أن ينادى على الجنود بنفس الطريقة خصوصا لو كان ذلك أمام قائد كبير يريد ارضاءه ٠٠ وهو هنا يحاول ارضاء آسريه ٠

الاسرى متعبون ٠٠ خائفون لدى أى بادرة غير عادية تصدر من الجانب الاخر فهم لا يأمنون لهؤلاء السائرين خلفهم ٠٠ أعدائهم ٠ وجنود الاعــداء فرحون كأنهم مجموعة من أرستقراطى العصور الوسطى خرجوا للصــــيد وعادوا بمجموعة نادرة من الحيوانات سليمة ٠٠

ظل صديقنا يتفحصهم ٠٠ هؤلاء الاعــداء ٠٠ هــؤلاء المنتصرون الاسرون المتحــكمون فى حيــاتهم ٠٠ لا يمكن أن يضــم جيش كــل هــذه المتناقضات فى الملبس والسلاح والشكل واللغة والحركة والتصرف ٠

ملابسهم : مايوه ٠٠ (أى والله مايوه) قميص أحمـــر وبنطلـــون كاكى ٠٠ أوفرول أخضر وحـذاء مظــلات ٠٠ أوفارول رمــادى ٠٠ أوفرول أصفر ٠

أغطية رؤسهم : طاقية صوف مشغولة ٠٠ برنيطه رعاة بقر أمريكية ٠٠ طاقية مصرى ٠

أسلحتهم : خنجر - رشاش عوزى اسرائيلى - رشاش بور سعيد - بندقية بلجيكى - بندقية تشيكى - بندقية رش (أى والله رش) ٠

مجموعة متنافرة لا أساس لها ٠٠ ولا تكوين ٠٠ غريب ٠٠ حل هؤلاء عم أسروهم ابيض أسود ٠٠ أسمر ٠٠ شامى ٠٠ عراقى ٠٠ مغربى ٠٠ يمنى ٠٠ مصرى ٠٠ تأمل صديقنا ثم ضحك وربت على كتفه ٠٠ سأله :

- ألست من الظاهر ؟؟

- نعم

- مدرسة الالهامية ٠

- نعم

- لقد كنت معك فى المدرسة ٠

- ماذا ستفعلون بنا ٠

حظكم رائع ٠٠ صدرت الأوامر الآن فقط بوقف اطلاق النار واخذ أسرى قبل ذلك بدقائق كانت الاوامر اقتل ولا أسرى الا فى أضيق الحدود ٠ ثم دار حوار سريع بين الطرفين ٠٠ كل منهم كان يريد أن يتعرف على الطرف الآخر ٠٠ حاول الاسرائيليون فى البداية تهدئة الاسرى ٠٠ « لا تخافوا نحن لسنا متوحشين ٠٠ ماذا تظنون بنا » ٠

بعد ذلك ابتدات الاسئلة ٠٠ لو كان الوضع بالعكس ماذا كنتم بنا فاعلين ٠ ثم ابتدأت نغمة الفرح والتعالى ٠٠ ما رايكم فى طيراننا ؟؟

كانت فرحة النصر تتلألا فى اعينهم وفى نبرات صوتهم ٠٠ لا يستطيعون اخفاءها ٠ ولا يستطيعون تصديق أنهم نجوا من رميهم فى البحر ٠

كانوا يريدون أن يتلذذوا برؤية رعب أسراهم وخوفهم وضياعهم ٠ لحظات غريبة تلك فى حياة الانسان التى يصبح فيها بلا ثمن ويمكن قتله بسهولة لنزوة فى رأس مجنون ٠ أو للتسلية ٠٠ لو أن جنديين مهوسين

من ضغط الموقف والارهاق تراهنا على أن يصيب أحدهما عين أحد أسراهم اليمنى فى مقابل زجاجة كازوزة ٠٠ لكان من حقهما ٠ عندما كنا نسمع عن أباطره لهم السلطة للاطـاحة برأس أى انســان لسبب واه أو بدون سبب كانت أجسادنا تقشعر ٠٠ فما بالك بأصدقائنا هؤلاء ٠٠ الذين أصبحوا بدون ثمن ٠٠ جردوا فجأة من الحصــانة التى يتمتعون بها طول عمرهم ولم يشعروا بنعمتها وهى الا يموت أى منهم بدون مبرر ٠ وبدون أن يدافع عن نفسه ٠٠٠

كان صديقنا يحلم وهو يتحرك فى طابور الاسرى ٠٠ آه لو كان الأمر بيدى لفرضت الحق والعدل دون دماء ٠٠ ثم أبتسم ٠٠ عدنا للاســاطير والخرافات الشرقية عندما يحلم كل منا بخــاتم سليمان يحركه فيتحقق له أمانيه ٠٠ لا عدل الا مع القوة ٠٠ وفى الوحدة ٠٠ والتدريب ٠٠ والعمل المستمر ٠٠ والقيادة الواعية ٠٠ والانتصار يحتــاج لعرق وتعب وتضحية وايثار وعقـل وبذل وتخطيط ووعى وتجانس بين المحــاربين فى الحيــاة والمعيشة والهدف والمرمى والايمان بالقضـــية التى يحاربون من أجلهـــا وهذا حدث لهم فانتصروا وافتقدناه فها نحن نسير فى طابور الاسرى ٠

عندما قامت أول مظاهرة فى القاهرة بعد الهزيمة ٠٠ وكان صـــديقنا قد عاد من الاسر ٠٠ كانت مظاهرة احتجاج على الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران ٠٠ اندهش صديقنا ٠٠ فلقد كانت أول مظاهرة يشـــهدها منذ أن قامت الثورة ٠٠ أى احتاج الأمر لستة عشر عاما وهزيمة عســكرية حتى يستطيع الانسان المصرى أن يحتـــج ويعلن احتجـــاجه فى مظــاهرة جماهيرية ٠٠ وودلو أنه انضم لها ولكنه خاف ٠٠ خاف عليها من أن يقبض عليه فيقال أن المخابرات الاسرائيلية هى المحركة للمظاهرة فيفسد الهـدف منها ويفسد اسمه أيضا ٠٠ ان هذا الخوف فى نفسه وفى نفوس الاخرين كان يغريه بالتأمل ٠٠ وكان يقول هــذا لجنــوده ٠٠ أنتم تخافوننى وأقصى ما استطيع ان أفعله هو أن أسجنكم لكن ماذا ســـتفعلون مع اعدائكم وهم يســـتطيعون ما هو أعن ٠٠ أن يقتلوكم ٠٠ لا تخف منى ٠٠ كى لاتخاف من عدوك فتستطيع أن تحارب ٠٠ الانسان القادر هو الانسان الحر المتحرر من المخاوف ٠٠ الآمن على حيــاته ولقمة عيشـــه وعمله وحريته ٠٠ فيدافع عنها ٠٠

أحضروا لهم عربة مغلقة وركبوا فيها ٠٠ أو ركب من تبقى من الجزرة حوالى الخمسين ٠٠ والباقى تركوهم جثثا أو أشباه جثث بين كودى الحشيش ٠ قفلت العربة من الخلف بأنزال الكبود المشمع واظلمت الدنيا ٠٠ وأصبح كل منهم مع نفسه وفى مواجهتها وتصاعدت الاحداث لا يعرف من القائل ومن المتلقى ٠٠٠

- ابعد يا أخ شويه ٠
- يا بنى هنا مكان الضباط
- هو هنا كمان ضباط ومتى ضباط ٠٠ كلنا أسرى فى أيديهم ومفيش حد أرجل من حد ٠
- آه لك حق الراجل كان ورانا نفسه ٠
- الوحيد اللى فيكم الرائد الذى صرخ علشانا ٠ يا أخى راجل فعلا لا قال كلام فارغ ولا اتهز زى الثانيين ٠
- لولاه كنا متنا ٠٠

كانت هذه الكلمات نياشين علقت على صدر صديقنا رغم أن قائلها لا ينتظر مكافأة على ذلك ورغم أنه لم يتصنع لتقال له ٠٠ وأبتسم ٠٠ حتى فى أحلك الظروف يستطيع الانسان أن يرضى عن نفسه ٠٠ ولكن ماذا فعل ليرضى عن نفسه ٠٠ لم يخلع رتبه وينكرها ٠٠ ثم يعود ليتمسح بها ٠ دافع عن الجنود بأضعف الايمان وهو الصراخ ٠٠ لم يتكلم بدون سبب ولم يسمع آسريه ما يحلو لهم ٠٠ وتعلم من ذلك درسا ألا يتخلى عن قيمه حتى أمام الموت وليمت رافع الرأس ويتحدثون عنه ويستمدون من صمودة قوة ٠٠ خير من أن يبقى ويرى نظرات الاستياء والاحتقار فى عيون الاخرين ٠٠ ان العيون ترصد كل العيون وتقوى وتضعف بها ٠ وعليه أن يكون مصدر قوة لنفسه وللاخرين فى أزمتهم ٠٠ ووجد يده تمتد لتربت على رأس ما تبكى ٠٠ لا تبك يا رجل ٠٠ لا تحزن ٠٠ لقد اديت واجبك ٠ ولنستفد من الدرس ٠٠ ان جبن وقذارة واستهتار الاخرين تهمنا جميعا لان حياتنا مرتبطة بهم وبتصرفاتهم ٠٠ فلا نتركهم يلعبوا بأقدارنا بعد الان ٠٠ لو ٠٠ لو قدرت لنا الحياة ٠

وقفت السيارة أمام مبنى ٠٠ ضوء الشمس اختفى تماما وحل الظلام مجموعة من الجنود الاسرائيليين وأمامهم برميل ممتلىء بالماء وكوز ٠٠ قفز

الاسرى بالتتالى من العربة •• وتم تفتيش كل منهم •• جيوبه •• ملابسه •• ويخلع حذاءه وشرابه •• ثم يشرب كوز ماء •• ويدخل المبنى • الاضواء خافتة •• ونسمة هواء باردي تلفح كل من ينزل من العربة فيرتعش •• أصوات تنطق لغة غريبة على الاذن •• كأنه كابوس أو احد أفلام فلينى •• يفرك عينيه لعله نائم •• ثم يتيقن انه يعيش هذا الحدث عندما تلمسه أيدى حقيقية لتفتيشه •• يشعر بالارهاق الشديد أمله فى الحياة الان أن يرقد لينام •• لا يعثر المفتشون على النقود هذه المرة أيضا ••• يدخل الى المبنى •• الاضاءه قوية •• يطلب مقابلة ضابط •••

ـ • • • • • • • •

ـ عندى أقوال خاصة •

ـ • • • • • • • •

ـ معى مائتان من الجنيهات المصرية أريد أن احتفظ بها معك •

ـ • • • • • • • •

ـ انها مرتبى عن شهرين •

ـ • • • • • • • •

ـ هل تريد الحق أم كلاما يناسب الموقف

ـ • • • • • • • •

ـ نعم احبه لقد فعل لنا الكثير •• ابتداء من الاستقلال وتأميم القنال •• حتى بناء السد العالى •

ـ فعلا عبد الناصر لا نستطيع ان ننكر أنه زعيم عظيم •• ولكن غلطته الوحيدة أنه أغلق مضيق تيران •

لماذا قال هذا الكلام فى هذا الموقف بالذات ••وبعد أسره بمدة بسيطة ••• لا يدرى •• هل هو عناد قومى لم يكبح •• هل هو رد فعل للشعور بالنقص ••• هل عن ايمان ساحق •• هل ليكتسب احترام عدوه بشجاعته أم كان للكلمات التى قيلت عنه فى ظلام العربة اثر • أم لجميع هذه الاعتبارات •

اشار له الضابط للمكان الذى سينام فيه •• كان صالة اسكواتش راكت فى مبنى بسيناء لا بد وانه مطار •• فلا يلعب الاسكواتش فى سيناء الا الطيارون •• وفيه يوجد منصة أو بلكون للمراقبة معلق بها كشافات

قوية مسلطة على عدد من الاسرى المصريين الراقدين على الأرض كل اثنين منهم ملتفان ببطانية والحراس اليهود بجوار الكشافات ممسكون برشاشاتهم ينادون « كله ينام » بتهديد ·· ولم يكن الاسرى فى حاجة لهذا التهديد فسرعان ما أستغرق الجميع فى النوم ··

يقولون فى المثل الشعبى الجوعان يحلم بسوق العيش ·· كان صديقنا يحلم بأنه ينام على سريره بالقاهرة مريضا يتأوه ·· ووالدته تضع كفها على جبهته ·· عندما هزه زميله أو شريكه فى بطانيته ليستيقظ ·· كان الضوء الطبيعى يملأ المكان ··· وكان معظم النائمين قد استيقظوا واستطاع أن يتبينهم جيدا ·· كان معظمهم من الضباط برتب مختلفه رواد ونقباء وملازمون ·· وبعض المقدمين كانوا يجلسون على الأرض مقرفصين فى استسلام ·· انتهت نظرات الرعب من أعينهم ·· وحل محلها نظرات هى خليط من الاستسلام والترقب ·· وكان جندى اسرائيلى طويل الشعر على موضه البيتلز قوى يرتدى ملابس ملتصقة بجسده ويتصرف كنجوم السينما ·· يجمع البطاطين ويزجر الاسرى آمرا اياهم بالجلوس بجوار الحائط · وكان أخر يمر عليهم بقطع من البسكويت والجبن الذى أستولوا عليه من مخازن الجيش المصرى كوجبة أفطار ·

ورغم أن معظمهم لم يتناول طعاما منذ مدة الا أن أغلبهم أعاد الاكل كماهو ورفض المزيد ·· كانهم متفقون على ألا يأكلوا ·· الأعناق تتجه لأعلى ·· ففى المنصة نساء ·· لم يروا نساء منذ شهر مجندات اسرائيل يطللن عليهم ·· كانهن ينظرن الى حيوانات غريبة مجموعة قرود فى أقفاص بحديقة الحيوان ·· أو تل قرود بجبلاية القرود ·

لا بل الآخرون هم الذين يتفرجون عليهن كانهن ممثلات سينما خارجات من عند الكوافير لتوهن ·· أحمر الشفاه ·· الملابس الملتصقه بالجسد ·· الصدور النافرة المتمردة على قمصانهن ·· الميني جيب ·· آه هذا جيش العاهرات ·· لقد كان الامل فى امتلاك واحدة منهن سببا قويا للحرب لعديد من الضباط والجنود ··

ها هن يتسلين بالفرجة على رجال مصر الاشاوس ·· لا بل وايضا يقذفن قطع الشكولاته لهم ·· تماما كما نفعل مع قردة حديقة الحيوان ··

العجيب أن بعض الاسرى أخذ الحلوى وفكها وابتلعها بين نظرات زملائه ... حتى الانسـان عندما يحبس يمكن أن يتصرف كالقـرد ...

رقيب أسرائيلى يسأل .. هل هناك من يحتاج لطبيب .. وأجـاب بالايجاب اكثر من شخص .. وحضر الطبيب .. كشف عليهم .. تادية واجب .. وواجـب ثقيـل فهـم من سـاعات كانوا قاتليه ... أعطـاهم بعض الاقراص المسكنة أو المهدئة .. كى يترك انطباعا بانسانيتهم ولكنه للاسف كان طبيبا وليس ممثلا فلم يجد الدور ...

انتصف النهار .. ثم نودى على صديقنا .. أعطاه رقيب اسرائيلى نقوده .. كان يعدهم له بالعبرية آحاد .. أشنين .. ثالوث . مائتى ليره .. ليكتشف لاول مرة قرب اللغة العبرية من العربية .

سأله .. ماذا سأفعل بها .. رد الاخـر . اعطيها لمن سيستلمكم فى المعسكر الاخـر ..

عربات لورى مجهزة من الداخل بمقاعد للجلوس .. ركبها أسرانا وعندما طالبوا بالمـاء قالوا لهم هناك .. عندما طالبوا بالطعام .. قالوا لهم أيضا هناك .. اقفلت العربات من الخلف كعادتهم فى نقل الاسرى أصبح الضوء قليلا .. المقـاعد متقاربة لدرجة أصـطدام أرجل الجالسـين متقابلين .. صديقنا يواجه رائدا .. يبتسم ابتسامة خفيفة .. قسمات وجهه تقول « عزيز قوم ذل » .. صامت كأنه لم يتكلم أبدا .... سـأله :

ـ سيادتك منين

ـ مدفعيه (بأختصـار شـديد)

ـ زعـلان

ـ لا فرحان قالها بقرف وتهكم ـ

وشـعر صديقنا بأنه كان سخيفا .. ولكن الرد كان اقسى .. وأصبح السكوت ـ أفضل عمل .. ولكن السكة طالت ـ سأله :

ـ الى أين

ـ علمى علمك

وكان هذا الرد نهاية لاى محاولة لفتح حديث آخر فسكت ثم سرح ثم هاجمته أفكاره ·· ترى ماذا سيفعلون بهم ·· نزع الاظافر ·· تكسير الاسنان ·· شد الشعر ·

هكذا على الاقل يفعلون فى معارضيهم فى مصر ··· وخصوصا من يقع منهم بين أيدى رجال السجن الحربى ··

حقا اذا كانوا فى مصر يفعلون هـذا فى المعارضين مجرد معارضين فماذا سيفعل اليهود بأسراهم ·· أو قل أعدائهم ·· ونزع نفسه من أفكاره ·· أين يستطيع الانسان أن يعيش ·· كل العالم تحول الى غابة مرعبة ·· أكثر ضراوة من غابات الانسان الاول ·

وحك ذقنه فهو لم يتعود على اطلاقها بهذه الطريقة ·· شعره أيضا اتسخ واصبح متربا ·· يريد أن يستحم أن ينظف نفسه ·

ترى ماذا سيقولون عنه أهله ·· أصدقاؤه ·· قائد الكتيبة ·· ورئيس العمليات الهاربان ·· وشعر بمرارة ·· ترى هل سيعبر اليهود القنال ·· هل سيصلون للقاهرة ·· يقولون وقف اطلاق نار ·· ترى الى أى حد وقف القتال ···

كشف غطاء العربة ·· غابت الشمس وعم الظلام ·· قفز من العربة ·· تابلته لفحه البرد نفسها ·· الى أين !! يضع يده فى جيب بنطلونه ويتحرك بكسل ··· على الجانبين يقف جنود اسرائيليون أحدهم يزعق ويطوح برجله فى الهواء ليضربه بالشلوت يجرى فتصدم قدمه بمن يأتى فى الطابور بعده ·· يضحك رغم المأساة · كعكة ضخمة على الارض ملتفة مثل أصبع الكنافة ·· تتكون من رجال نائمين على الأرض عشرات ·· مئات الاسرى ·· حتى ليخيل لك أن كل الجيش المصرى تم اسره ياخذ دوره فى الكعكه ·· المكان محاط بكشافات ضخمة من كل اتجاه ·· كانها تضىء حلقة سيرك ·· وصوت الموتورات عال والحراس يطلقون الرصاص فوق مستوى الرءوس الراقدة مباشرة وهم يصيحون « ناموا كلكم »

ان الناظر لهذا المنظر يتخيل أنها ابادة جماعية فى معسكر من معسكرات النازى وأن اليهود ينفسون عن عقدهم القديمة ··

ولكن لم يمنع هذا بعض الهمسات التى تجاوبت من أطراف الكعكه ..

- ....

- طـر مطـرحـك .

- أريد أن أشـــرب .

- مـا فى ميـــه ..

- آه ... آه ....

- اســـكتى ....

ووجد صديقنا فوق رجليه المثنيتين من البرد رأســا صفراء تتــاوه ربت على الرأس .. فوجد وجها متورما من الضرب ..

قال - عطشـــان حمــوت

- اسكت الا ترى الرصـــاص ؟

آه .. آه .. آه .. آه .

كان الصوت يؤلمــه .. حتى فقد رغبته فى الحياة . فصاح ليخفـف عنــه ...

- يوجد مريض هنـــا ...

وكان الرد - اسكتى ..

- انه يموت .. كمحاولة اخيرة متسترا بالظلام ..

وجاء الرد - تعالى . بلهجة التوعد والتهديد .

وذهب صديقنا للحارس فى نوبه شجاعة مفاجئة .. أو قل فى محاولة دفينة للانتحار والتخلص من قسوة الحياة . ولكن وللعجب اشار الاخر الى دورق مياه وقال :

- خذى من هنـــا ميـــه

- لا يوجد به الا قليــــل

- خذى من هنا الباقى .. وأشــار لدورق أخر ..

أخذ الكمية المتوفرة فى الدورقين فلم يكفيا ملء نصف كوب .. وذهب للرأس الصفراء يسقيها . رفع رأسه على رجليه وابتدأ يسقيه .. وفجأة امتدت يد أخرى تخطف الكوب .. صرخ ابعد ايدك الرجل يموت .. فهل كان من المعقل أن يضحى ويغامر لكى يسرق انتهازى الماء ويحرم منه المريض.

وهكذا مضت ليلة كئيبة يعجب كل من عاشها كيف مضت. حقا ان الانسان آلة رائعة متكاملة .. ففى الاوقات التى تصبح فيها حياته مهددة بالفناء .. تنبعث من داخله قوى خفية تحميه وتمده بقوة لا نهائية من التحمل والتكيف .. منها الاحلام .

الفجر يبزغ ثانية .. أشعة الشمس تدفء الاجساد .. وها هم يرون بأعينهم ماكانوا يلمسونه فقط ليلا .. الرأس الصفراء غلام لم يتجاوز العشرين .. زملاءه مازالوا يلهون أمام الامريكين وجروبى وفى حلقات الرقص وجهه كله كدمات كأنما هو قد انهى لتوه ماتش ملاكمة وفى نحافته وشعره الاصفر الطويل وذقنه التى مازالت بكرا أحساس بالشقاوة واللامبالاة ..

على الجانب الاخر نتوء عال هو كرش مقدم مازال نائما . من الناحية الاخرى زميل نقص وزنه خلال هذه الايام بصورة ملفتة .. ماذا حدث ؟؟ .

شعور طويلة .. ذقون غير حليقة .. تراب يكسو الوجوه والملابس والشعر .... كأنها أشباح خرجت من قبور السنين تلعن العالم ..

وهؤلاء لم يكفهم ما أصاب جنود مصر .. فاحضروا مجنداتهم المزوقات ليتفرجن عليهم الغريب أن القلوب الرقيقة والعيون الحساسة لم تدمع لسحق الانسان لاخيه الانسان واذلاله ...

ترى لو أتيحت لهن الفرصة لحضور حفل فى نادى الضباط .. هل كن يرين فى هؤلاء الرجال شيئا يدعو للتسلية ... !!

ارتفعت الشمس الى منتصف السماء .. وازدادت الحرارة .. وتصبب العرق .. وجفت الحلوق .. وفقد الرجال اتزانهم فهتفوا :

... يحيا أشكول (أخص .. أخص) ..

... يحيا موشى ديان (مش معقول) ..

... نريد أن نشرب (آه ..) ..

النسوة يسألن .. النسوة يبتسمن .. الرجال يضحكون .. فناطيس المياه تحضر .. المياه البـاردة تملأ الحلوق .. تضغط على الانوف .. تختلط بالرمال لتكون طينا على الجباة .. والوجوه ..

ـ اصعدوا للعـرابات .

عربات لورى مكشوفة مثل التي تستخدم في نقل الرمل والزلط

ابتدأوا يرصـون الاسرى داخلها بأن يجلس صف قرفصاء ثم يأخذ كل فرد في الصف زميلا أخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا آخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا أخر .. وهكذا وضع غريب وطريقة أغرب للنقل يصعب أن تستخدم حتى في شحن الحيوانات فقد يهتم صاحبها بالاتنفق على الاقل .

ـ انزل اركب الاتوبيس .

أتوبيس سياحى فاخر .. شىء غريب من الضد للضد مباشرة ما معنى هذا ؟؟ واصبح أصدقاؤنا سياحا .. مع سـائق أنيق يتكلم الانجليزية ووظيفته مهندس معمارى ... مثل صديقنا .

أعطاه علبة سـجائر .. أخذ سيجارة منهـا ثم امتدت يد من الخلف فاختطفت العلبة .. رائد ذو عينين زرقاوين نارى .. يحتفظ بالعلبة لنفسه .

السـائق يلاحـظ ما حدث .. فيعطيه لبانا يفرقه على من حـوله من الزملاء في حذر من ذى العينين الزرقاوين .

زجاجة ويسكى صغيرة .. رشـفة منها قد تدفئه .. الزجاجة يتم تداولهـا بسـرعة .

ـ نحن نحب السـلام « آه يا عقرب أى سـلام هـذا »

ـ . . . .

ـ انا جميع أعمالى متوقفه بسبب الحرب « ونحن ماذا فعلتم بنا ... »

ـ . . . .

ـ بلدنا متقدمة « بالمـدفع والطـائرة .... »

ـ . . . .

وابتدأ غسيل المخ .. بأحدث الطرق العلميه .. القسوة الشديدة . يعقبها اللين والاعتذار بقلة الامكانيات والمحافظة على الامن .. هكذا نفذها الالمـان

.. وهكذا قام بها أدوات التعذيب فى المعتقلات السياسية .. الدعاية نصف الحرب . واستجاب البعض احدهم قال بسعادة غير متوقعة ....

ـ اليهود فى الراديو كانوا دائما ما يقولون .. سيقضى الاسرى عندنا اجمل صيف على ضفاف البحر المتوسط فى حيفا .

ـ والله ناس محترمين ينقلوننا فى أتوبيسات سياحية .

وانفرجت الستائر قليلا .. أطل منها صديقنا .. انه يعرف هذا الطريق انه الطريق الى العريش .. وها هى محطة الابطال ونصب الجندى المجهول .. بجوار النصب عربة جيب مضروبة تتدلى منها جثة متفحمة سـوداء من فعل النابلم .. أكيد هذه جثة ضابط فجراب الطبنجة يتدلى من وسطه .. الكلاب تنهش الجثة .. قطار مضروب بالنابلم .. جثث لا أول لها ولا أخر وجوه محروقة يكسوها الرعب .. الرائحة النتنة تزكم الانوف المرافق يلاحظ الامتعاض الذى على الوجه .. يقفل الستائر ويتكلم ....

ـ نحن لا نريد الا أن نعيش فقط
ـ . . . . . . (الخنادق ممتلئه بالجثث .)
ـ نحن نحب السـلام .
ـ . . . . . . (دبابات معطلة داخل حقول الغام)
ـ لماذا تكرهوننا نحن نحبكم
ـ . . . . . . (عربات مشتعلة حتى اللحظة .)
ـ اقفل السـتائر ...
ـ لمـاذا . . . . . ؟؟
ـ أوامر . . . . .

ولكن حب الاستطلاع تغلب على الخوف قفلوا الستائر وتركوا اجزاء منها تسمح بمشاهدة محدودة .. قرب الشيخ زويد .. كانت خسائرهم .. دبابات محروقة .. سيارات مشتعلة وقطارا محملا بالخسائر ..

الحرب على الجانبين .. ولكنهم يحطمون أسراهم بالسماح لهم برؤية خسـائر الجيش المصرى .. ويمنعونهم من رؤية خسـائر الجيش الاسرائيلى ليتخيلوا أن الحرب قد حدثت بدون خسائر من جانبهم .

لقد بدأ غســـيل المخ فعلا احذروا أيها الاحباب احذروا ·· رفح ·· غـزه ويتجه الاتوبيس الى الطريق الممنوع طالمـا نظروا اليه من قبل وتساءلوا ترى ما الذى خلف هذا الطريق ·· لقد أصبحوا الان فى اسرائيل ·· الليـل يرخى سدوله ويخفى المعـالم ·· العربة تسـير بسرعة ·· الدفء والكراسى المريحة ·· والنوم يهاجم معظم أصدقائنا بعد معاناة طويلة فى الليالى السابقة ·

عندما عاد صديقنا من الأسر ووجد ان معظم اهله المصرين قـــد هـربو من المواجهة سواء بالمرض أو الهجرة او التطرف أو اللامبالاه والتملل ·· اهتز ··· كانت صدمته فى بلده أكبر كثيرا من صدمته فى أسره ·· وكاد أن يفقد الأمل ··· فأصبح يجرى خلف أى هاتف ·· حتى ولو كان شاعرا او منشـدا يلتف حوله بعض الشـباب يصخبون وينفثون عن مشـاعرهم أو مجموعة من الشباب الصغير الذين تخيلوا أنهم قادرون على تعديل ما اعوج بالخطب والشعارات ·· وغاص ·· لاذنيه يشاهد ·· ويتكلم · ويناقش ·· حتى اكتشف أن هذا أيضا هروب ·· ولكن ما كان يحزنه ويضنيه ·· هو الى اين ·· وكيف يمكن اجتيـاز الازمة ·· وهرب هو أيضـا ·· هرب بدخوله مستشفى القوات المسلحة قسم الامراض العصبية ·· كل ما فعـله أن أخرج ما بداخله للاطباء قال لهم الحقيقة وما يشعر به من أزمة ·· فحجزوه للعـلاج وهناك عرفته ·· (شاب رومانسى) ·· يرتدى روب دى شامبر أحمر ·· وبيده راديو ترانزستور يستمع من خلاله الى الموسيقى وبجواره عشرات الكتب يقرأها ليفهم ·· كتب فى علم النفس ·· والتاريخ ·· والادب ·· والسياسة ·· كان لا يتكلم الا قليـــلا · وينصت كثيرا ·· وفى بعض الاحيان يكتب ·· وأعطانى ما كتب ورقات متناثرات أثارتنى الى درجة كبيرة ·· وكان لابد من استكمال أحداثها ·· لذلك فلقد داومت على الجلوس معه واستثارته بأسئلتى ودونت ملاحظاتى على هذه الاسئلة ·· حتى تم الجلاء ·· فزرته لاعرف ماذا تغير فيه بعد أن جلا آخر جندى اسرائيلى – وهكذا ولدت هذه القصة ··

صحا أصدقاؤنا على ضجة ·· فوجدوا أن الاتوبيس يتحرك فى مدينة ما ··· عرفوا بعد ذلك انها بئر سبع ·· مبانى صغيرة ذات أسقف منحدرة مغطاة بالقرميد الاحمر على الطريقة الانجليزية ·· أو الأوروبية من كل منزل تظهر مدخنة بعضها يخرج منها الدخان دليل على أن بداخلها عائلات تتمتع بالدفء والطعام الساخن سينما ملصق عليها افيشات أفـلام حديثة تشبه

الافيشات التى كانت ملصقة أمام سينما كايرو وكان الفيلم المعروض « صوت الموسيقى » ‏‏٠٠ الأولاد والبنات حول السينما فى انتظار الدخول أو الخروج ‏‏٠٠ البنات يرتدين الميكروجيب ويصففن شعرهن بطريقة ديل الحصان ٠٠ نفس المناظر والملامح التى يمكنك مشاهدتها فى مدينة ما فى أى بلد فى أى مكان من العالم ٠٠٠

الاتوبيس يقف داخل محطه بنزين ٠٠ يدخلون من الشباك خرطوما من مياه تتخاطفه الايدى ٠٠ مريض يئن راقد بقاع العربة ٠٠ فقد شرب بوله ثم شرب ويبكى لتسكين الالم ٠٠ ويطلب ماء بالحاح ٠٠

الحارس يسبه ٠٠ احد الضباط يحاول تهدئته اسكت يا شيخ محمد الحارس يضربه بكعب البندقية ٠٠ يحاول أحدهم اعطاءه خرطوم المياه لفض المشكلة الحارس يضرب الاخر أيضا بكعب البندقية ٠٠ يسود السكون العربة بعد ذلك ٠٠ السائق يعود ومعه علبة سجائر توزع — العربة تتقدم ٠٠ ثم تقف ثانية ٠٠ المدينة فى مهرجان وسعادة ٠ يلتف حول العربة مجموعة من البنات يصحن ٠٠ واحدة منهن تدخل من الباب تبصق على الراكبين ٠ فيبعدها الحارس ٠

العربة تتحرك على طريق صحراوى حوله معسكرات ٠٠ثم تقف أمام معسكر منها عبارة عن مربعات من الارض الفضاء تحيطها الاسلاك الشائكة وتفصل المربعات طرق مخططة على شكل رقعة شطرنج ٠٠ يدخلهم الحراس أحد المربعات ويعيدون تفتيشهم ولاول مره يسجل أسماء الاسرى ٠

(أسمك — تاريخ ميلادك — وحدتك — هل معك امانات ٠٠٠)

ينقلون الى مربع من المربعات الفارغة ٠٠ الهواء اكثر برودة ٠٠ ثم يظهر الفجر سريعا ٠٠٠ فالنهار بحرارته ٠

قائد المعسكر قصير متغطرس ٠٠ ابيض ٠٠ يدق الأرض بقدميه بقوة اله من آلهة الرومان ٠٠ أو جنرال المانى نازى ٠٠ كلماته مغتصبة ولكن لها تأثير السحر ٠٠٠

— ماذا تريدون ٠٠٠ ؟!

ـ خيـــام .
ـ خيمه للضـــباط فقط .
ـ مياه ـ أكل ـ دورة مياه .
. . . .

حرارة الشمس تزداد .. والعطش .. والجوع .. والتصرفات النازية أعطت انطباعا بأن الهدف من هذا المعسكر هو افناء الاسرى وتمر الساعات .. نريد طبيبا لمكان الجنود يسرع أحد الاطباء ويعود ويضحك بسخرية ...

ـ أحدهم غرق .. فى وسط الصحراء .. فلقد وضع رأسه فى الجردل وضغط عليه زملاؤه فغرق ..

هتافات من مربعات الجنود .. يحيا موشى ديان .. كان الحراس يقذفون السجائر والبرتقال .. والجنــود تتخاطفها وتتصــارع عليها .. كل حارس كان معه آله تصوير يسجل هذه الكوميديا .. أو قل تراجيديا هزيمة الانسان . والضباط أيضا .. أهدوا رتبهم فى مقابل الســـجائر والصابون واللبان والشيكولاته .. بعضهم تمادى فسمح بالتقاط صـــور له مع الاعداء ...

أحضر الاسرون بعـــد ذلك الطعـــام .. قوالب جبنه وأنابيب مربى وأرغفه عيش ضخمه كالسيجار .. وكلها اسرائيلية فى هذه المرة . وتطوع بعض الضباط لتوزيع الطعام على الجنود .. وبعدها تعالت الشـــتائم .. كل ما لم يستطع الجنود أن يقولوه لضباطهم من قبل قالوه فى ذلك اليوم .. ياحرامية تسرقون أكلنا حتى هنا ... ابتعدوا عنا .. اليهود أكثر عدلا .. ولم يستطع الاخرون الرد .. أولا لانه لا يوجد سـجن أو حجز فشـــلاق أو ضرب أو حرمان من الاجازات .. وثانيا : لانها حقائق فان بعض الضباط كونوا وسريعا شلة منتفعين تخفى كل ما تستطيع توفيره أو الحصـــول عليه من طعام ثم تتقاسمه فى الخفاء ... ياللحسرة .. لقد هزمنا ..

مر النهار ببطء شديد .. وجاء الليل وفى هذه الايام تلاحظ أشـــياء لم تكن لتلاحظها من قبل .. مواقع الشمس فى السماء وحركة الظـلال .. اختلاف درجات الحــــرارة .. وهكذا .. وكان الجنود الاسرائيليون قد

مدوا خطوط مياه حتى كل مربع بواسطة مواسير فى نهايتها مجموعة حنفيات . وحفر الجنود المصريون حفره غطيت جوانبها بالخشب والخيش واستعملت كحورة مياه .. وفرشوا خيمة كبيرة للضباط ... فأصبحوا يعيشون فى مربع ٢٠ x ٢٠ متر محاط بالسلك الشائك والاعداء .

ونام الضباط من الارهاق .. وجوههم مغطاة بطبقة كثيفة من التراب مغلوبون على أمرهم استسلموا . وتصاعدت رائحة دخان سجائر غريبة تشبه السجائر العربية وملأت الخيمة .. فتتبعها بعض الضباط .. حتى وجدوا مصدرها ...

ـ من أين .

ـ أعطانى اياها الحارس .

ـ نفس من فضلك

ـ خدوا حلام واحده وابتعدوا عنى ..

والتف عشرة من الضباط حول سيجارة كريهة الرائحة .. يدخنون .. الهذه الدرجة تستعبد العادة الانسان ..

أحدهم يهمس .. سننتقل الى معسكر أخر .

ـ كيف عرفت .

من الحارس صديقى .. لقد كان كومسيونجى فى مصر .. ويحب المصريين وكرمهم ويتكلم عن الفطير المشلتت والعسل النحل والزبدة ..

ـ وماذا قال لك صديقك هذا .. !!

سننقل الى معسكر جديد ـ فى مكان ما ـ به حجرات ومياه ساخنة وبارده وسراير وملايات والاكل فى ميز .. وسجائر .. وكل ما سنطلبه سيجاب .

ـ اليهود قالوا هذا الكلام فى اذاعتهم اثناء الحرب .

ـ انهم لا يكرهوننا .. انهم يكرهون نظام الحكم .

ورد أخر بأستفزاز ـ ماذا حدث لكم هل نسيتم أننا بين أيدى أعداء وهم سيفعلون بنا ما يشاءون . هـذا جزء من مخطط . وأسكته أكثر من

صـوت ـ بلاش دوشـه ٠٠ ألم تكفينا محـاضراتكم وكلامكم المزوق ٠٠ ألم تربعينيك الاتوبيسات ومستوى الاكل ٠٠٠

واحتار صديقنا ٠٠ أى الأطراف صحيحة ٠ ثم تنبه أنه متشـدد لا يقبل أى نقاش والأعجب من ذلك انه يحكم أحكاما مسبقة على هؤلاء القوم ٠٠ الا يجوز أنهم بشر فعـلا وانسـانيون ٠٠ الا يجوز أنهم واقعون تحت تأثير دعاية وفكر غير صحيح ٠٠ هل يضع نفسه فى قوقعة ويغلقهـا عليه فلا يرى أو يسمع أو يفهم ٠٠ الا يجب أن ينتهز فرصـة قربه من اعدائه ويتعرف عليهم بشكل أفضل ومن خلال ملاحظاته الذاتيه ٠

كل ما فى الأمر أنه اعتاد أن يتلقى من القيادة ٠٠ ماذا يضر لو أنه تلقى من رأسه هو ٠٠ أليس هذا الحارس يشـبه والده ٠٠ انه يبتسم بود لماذا تحول هذا البرىء الى أداة فى أيدى مجموعة من الاستعماريين مثل موشى ديان يسـتخدمونه لضربهم وقهرهم وأقنع صـديقنا نفسه بأن يخوض التجربة يرى ويسمع ويفهم ولا يحكم احكاما مسبقة على الجميع ولكن يحذر فهو بين أيدى اعدائه ٠

طلبه أحدهم من معسكر الجنود بواسطة الحراس ٠٠ فذهب لرؤيته ٠٠ كان أحد صف ضباطه ٠٠

ـ سـلامتك ٠

ـ سأموت يا فندم

ـ لا كلها كام يوم وتبقى زى الحصان

ـ وصيتك أولادى

ـ سترجع لهم بالسلامة ٠

ـ مش معقول حيموتونا ٠

ـ أصمد سير حلونا قريبا لمسكر أفضل وستعالج هناك ٠

ـ ربنا يسمع منك ٠٠ أولادى وصيتك ٠

وجاءت أول وجبة سـاخنة يذوقونها منذ شـهر ٠٠ جردل ممتلىء بالبطاطس واللحم كل عشره لهم جزء ٠٠ الطعـام لذيذ ولكنه قليـل ٠٠ واسترخى أصدقاؤنا ٠٠٠ وابتدأوا يتكلمون ٠

ـ الناس دى بتموتنا ببطء ‥ صـباحا وانتم نائمون على الأرض تأملت وجوهكم فشعرت برعب من المنظر ‥ التراب والأرض والشعر الطويل والذقون غير الحليقة والعيشة اللاآدمية …

ـ وهل تظن أنهم سيلفوننا بحرير ٠

ـ العساكر مبسوطة …

ـ والله غلابة ٠ على الأقل لدينا خيمة ‥ وهم لهم الشمس والهواء والحر نهارا والبرد والندى ليلا … ـ

ـ لم يحدث تغيير كبير فى حياتهم ‥ هذه عيشتهم دائما ‥ المهم اننا لم نتعود على ذلك ٠

ـ بهذا الشكل سنموت ولن يحدث لهم شىء ٠

ـ ألسنا رجالا مثلهم ‥ يجب أن نعيش ٠

ـ ولكننا متعلمون ٠

ـ ان لم يفدك العلم فى التكيف الاسرع والافضل فلا أهمية له ٠

ـ هل ستبقى للابد هنا ٠

ـ الاتفاقيات الدولية تنص على ان كل ضـابط له سريره وملابسـه واكله وسجائره ومصروف ايده ٠

ـ طظ بالاتفـــاقيات الدولية ‥ منذ متى احترم الاسرائيليون اتفاقيات دوليـــة ٠

ـ لكن دى سمعة دولية ٠

ـ منذ متى ايضا اهتموا بالسمعة الدولية لذلك ضربونا بالنـابلم

ـ لا تكن ظالمـا فهم يحاولون التعاون ولكنها الامكانيات ٠

ـ ثانيا امكانيات ‥ ألم تشبع من هذه الكلمة التى نعلق عليها عجزنا ٠

ـ هل رأيت الاتوبيسات التى أحضرونا فيهـا ٠

ـ وهل رأيت عربات الزلط التى كنا سنركب فيها ؟

ـ انهم فى منتهى الذكاء صوروا لنا انهم قادرون على شحننا كالبهائم ثم أركبونا اتوبيسات سياحية ٠

ـ لتعذر أى تصرّف حقير يتصرفونه معك بعد ذلك وترجعـه الى نقص الامكانيات ٠ ولكن حسن النية متوفر ٠

ـ لو أننا أسرناهم ماذا كنا سنفعل بهم ؟

ـ تدفن رأسك فى التراب ‥ كنا ذبحناهم طبعا ٠

ـ ومن ادراك أنهم لم يذبحوا غيرنا •

سأل أحد شلة المنتفعين عن موعد رحيلهم الى المعسكر الجديد ٠٠ فقيل خلال ثلاثة او اربعة ايام وعندما ناقشه بعض زملائه فى مدى العلاقة بينه وبين الحراس رد •

ـ هس ٠٠ لا أريد كلام أكثر من اللازم ٠٠ ستقولون عميل ٠٠ موافق ٠٠ عميل عميل ٠٠ عندما أعود بلغ عنى •

وانفلت آخرون كأنما كان هذا الحديث اشارة البدء ٠٠

ـ لماذا نحاربهم

ـ اذا لم نكن فى مستوى قدرتهم فلماذا نعاديهم •

ثم تندر آخرون على أنفسهم

ـ نحن اقوى طيران فى الشرق الاوسط ـ سنقضى على اسرائيل فى ٤٨ ساعة

ـ اضرب ٠٠ اضرب ٠٠ اضرب ٠٠ لجل الصغار • لجل الكبار

ـ انهم متقدمون جدا ٠٠ مدوا المواسير فى دقائق ٠٠ شوف لو كان عندنا كان أخد وقت اد ايه •

كانت الصدمة قد هزت ايمان الجميع ثقتهم فى انفسهم وبدون استثناء ٠٠ وجعلتهم يراجعون مبادئهم المتوارثة ٠٠ وكلما كانت درجة الاقتناع سطحية ٠٠٠ كلما كان الانبهار أكبر • فاصبحوا يقدرون العدو باكثر مما يجب ويبخسون أنفسهم حقها أكثر مما يجب أيضا •

وهكذا فان الجنود بايمانهم الاجوف النابع من تعصب دينى شيفونى سرعان ما حدث انهيارهم ودفعهم هذا للهتاف لقادة أعدائهم • والضباط بعنترياتهم الجوفاء أيضا تعرضوا لهزات متفاوتة الدرجات من الانهيار ٠٠ تتراوح بين التعاون التام مع العدو الاملس وخدمته فى سبيل بعض الامتيازات وبين مراجعة موقفهم من القضية والاستعداد لرؤية الموقف باعتبارات جديدة • وهذا ما حدث لصديقنا •

أصبح مستعدا لسماع وجهة النظر الاخرى والتعرف على العدو بروح محايدة جديدة بحيث لا تمس كرامته أو كرامة وطنه ٠٠ وتنبهت غريزه الاستطلاع لديه ليحاول أن يعرف ويفهم ويستفيد من التجربة الجديدة أقصى استفادة ٠٠

وفى سبيل ذلك ابتدأ يراجع قيمه وأفكاره القديمة فى ضوء آتون النار الذى وجد نفسه داخله مرغما ٠

صباحا ٠٠ جاء البشير ٠٠ سترحلون وانتقلوا من يد الى يد حتى وصلوا الى العربات ٠٠ عربات نقل الزلط ٠٠ ثانية ولكن فى هذه المرة تسحنوا فيها فعلا بطريقة لا انسانية للغاية جلس كل منهم مترفصا ٠٠ فاتحا رجليه ليدخل بينهما زميل آخر ووضعت على عينى كل منهم عصابة من الشاش وانقطن كان صديقنا فى أول صف ملاصق لجدار العربة ويجلس بمحازاة رأسه فوق الكابينة حارسان اسرائيليان بيدهما رشاشات وتحركت العربة وتعالى الصياح ستتكسر رجلاى ٠٠ يا أولاد الكلب الله يخرب بيتكم وتخيل كل منهم أنه سيكون ضحية زملائه كما حدث مع غريق الصحراء ٠٠ فانهالوا لعنا بعضهم لبعض ٠٠ وكلما طالت المسافة ٠٠ كلما زاد العذاب ــ حاول بعضهم الوقوف أو خلع العصابة ولكن الحراس زجروهم ٠

الهواء بارد ٠٠ ثم أصبح محملا برائحة زهو البرتقال ٠٠ اكيد يمرون الان بين بيارات البرتقال الفلسطينية التى طالما سمعوا عنها ٠ صياح المارة يصلهم ٠٠ لقد دخلوا مدينة ٠٠ أصوات موتسيكلات وعربات تحيطهم ٠٠ انهم يزفون عارهم ٠٠ ويمتعون مدينتهم بالمنظر المخزى لرجال مصر الصناديد ٠٠ صياح لفتيات ــ شتائم للنبى محمد ماله محمد وأحداث تمت بعده بالف وثلاثمائة عام ــ شتائم لعبد الناصر ــ شتائم لام كلثوم ٠٠ شىء غريب أن يعرف رجل الشارع ما يوجعهم لهذه الدرجة ٠٠ الاصوات تضعف وتعود رائحة البرتقال ٠٠ لابد وأن المنظر جميل ٠٠ كانوا يشعرونه من نسمات الهواء الرطبة المعطرة برائحة الحدائق ٠٠ أحدهم يعرى العصابة ليرى ٠٠ عجيب هذا الانسان يخاطر بحياته فى سبيل أن يرى ٠٠ ولكن معظمهم لا يملك شجاعته أو استهتاره فهم يعرفون الا ثمن لهم ٠٠ ولذلك فهم حريصون الا يعطوهم المبرر لاغتيالهم الذى خلع العصابة يصف لهم المنظر ٠

نحن فى قول عربات ٠٠ امامنا ميكروباس يركبه الحراس اليهود وبعض المصريين ٠٠٠ آه شلة المنتفعين ٠٠ الشجر على الجانبين أخضر وكثيف (نعم ٠٠ نحن فى الربيع) والورود والزهور تملأ منتصف الطريق وعلى الجانبين ٠٠ (آه ٠٠ انها الجنة ٠٠) العربات تجرى حولنا بسرعة ٠ ياه ٠٠ سيدات بالمايوهات البكيني فى العربات المكشوفة ٠٠٠ (لابد

وانهم بقرب البحر) ‥ العربات تقف ‥ بنات صغيرات ـ يندمعن تجاه الميكروباس ويقدمن زجاجات الذازوزه للحـراس ‥ الله الله ‥ الزجاجات منغيشة من قطرات المـاء والبرودة ‥ يا نهار اسـود ٠ وطى راسك طوبة جاية ويحدث هرج فى العربة فالجمع الاعمى يحاول أن يتوقى طوبة قادمة من مكان ما لا يعرفه ويتنبه الحراس لخطر الموقف فيسرعون بالحركة ‥

سـاعات طويلة تمر ببطء كل دقيقة تمضى بدون أخطار يحمدون الله عليها ‥ والاخطار تحيطهم من كل جانب ‥ حارس متهور او مدنى متحمس يقذف بطوبة ‥ او ضـغط الاجسـاد بعضها على بعض ٠ مع مرور الوقت قل الحذر وابتدأت أعداد متزايدة منهم تخلع العصابات ‥ وظهرت أسـوار عالية فى وسطها بوابة يتجمع حولها عشرات من الشبان والشابات بالميكروجبب والمـايوهات والشـعر المسترسـل أو البيتلز تهتف باللغة العربية شعارات معادية وكلمات بذيئة لا تسـمع فى أحط الاماكن يتقذفون القادمين فى ذلهم بالطماطم وعلب الصفيح الفارغه ٠

ودخلت العربات من البوابة وسمح لهم رسميا بخلع العصابات ووجدوا أنفسهم فى الجنة ‥٠ حقـا ‥٠

أعداد كبيرة من الاشـجار تشـبه حديقه قصر المنتزه فى الاسكندريه أحواض الزهور والحشائش ‥ والشـوارع المسفلتة النظيفة وفى خلفية الصورة جبل عال أخضر مزروع كله يظهر منه فنطاس مياه ضخم ‥ ويتناثر عليه مجموعات من المنازل الصغيرة التى لا يمكن تمييزها بسهولة ‥ ونسمات هواء رطبة محملة برائحة البحر والزهور وصوت حريمى رقيق يتكلم بلغة غريبة من الميكرفون ٠ قد يكون هذا منظرا عاديا فى الظروف الطبيعية ولكن لانسان عاش حوالى الشهر فى الصحراء لا يرى الا التراب واللون الاصفر يعتبر المنظر مفاجأة مؤثرة ‥

لقد كان هذا معسـكر عتليت المكان الذى أعـده الاسرائيليون للاسرى المصريين ـ ليعيشوا فيه أجمل أيام صيف ٦٧ على حد قولهم فى أذاعة اسرئيل٠

الفصل الرابع

عتليت

آن الاوان لكى أحدثكم عن نفسى قليلا أنا الكاتب .. كما سبق وذكرت لكم لقد تقابلت مع صدقينا أول مرة فى مستشفى للقوات المسلحة بقسم الامراض النفسية وكنت فى ذلك الوقت نقيبا طبيبا يعمل بالقسم .. وكان صديقنا رائدا مهندسا حضر ذات يوم يشكو رغبته فى أن يطلق الرصاص على قادة كتيبته واللواء الذى يعمل بهما وعندما تحدثنا معه اكتشفنا أننا أمام حالة خاصة ليست ككل الحالات التى نقابلها وانه ذكى متفهم ولكنه مصاب باكتئاب نفسى شديد .. وأن لديه ما يقوله ... بعد أن عانى من الاسر .. وشدنى صديقى اليه كحالة مرضية تستحق المناقشة وكانسان ذى وجهة نظر تمسنا جميعا .. فصارت بيننا صداقة غريبة .. هى خليط من ثقة مريض بطبيبه وعلاقة مجروحين بخنجر واحد .. فرغم كونى طبيبا نفسيا متخصصا بالقوات المسلحة .. الا اننى ايضا انسان مصرى مصاب وان كنت اكثر قدرة على فهم مشاكلى وأحاسيسى لذلك فلقد تتبعت حالته حتى بعد أن ترك القوات المسلحة .. وكان يزورنى فى عيادتى فى بعض الاحيان .. وكنت أسعى اليه فى بعض الاحيان .. وشفى صديقى .. ولكن أنتم تعرفون ان كلا منا مريض بشكل او بآخر بنسب مختلفة .. عندما أقول شفى صديقى فأقصد أنه أصبح يحمل النسب الطبيعيه لانسان يعيش فى مجتمع عصرى .

وفى الفصل القادم سأنقل لكم ما خطه بيده من خلال مذكراته عن عتليت التى سلمها لى ولن أتدخل الا فى القليل فهذا الفصل لا يقرا الا كما كتبه صاحبه.

عتليت قرية بجوار حيفا على شاطىء البحر الابيض المتوسط ٠٠ واهم ما يميزها هذا المعسكر الكبير الذى بناه الانجليز اثناء احتلالهم لفلسطين فهو بذلك يشبه معسكراتنا على القناة ٠٠ فى الاسماعيلية والسويس ٠٠ المبانى المبنية بالخشب والاسقف المنحدرة ٠٠ ودورات المياه الجماعية ذات الحوائط الانترنيت ٠

والمعسكر قريب جدا من البحر بحيث نستطيع سماع صوت الامواج فى الليالى الهادئة ٠٠ ويفصله عن البحر حقول الغام محاطة بالاسلاك الشائكة ٠٠ أو قل أرض فضاء عليها يافطة بالانجليزية والعبرية تدل على وجود حقول الغـــام ٠٠

والمعسكر مقسم من الداخل الى معسكرات فرعية كل قسم محاط أيضا بأسوار أسلاك شائكة وكل معسكر فرعى يتكون من عدة عنابر مبنية من الخشب كل عنبر يتكون من ٤ حجرات اثنتان منهما كبيرتان وهما اللتان على الطرفين والاخريان اصغر قليلا ٠٠ ولكل حجرة باب وعدة شبابيك تفتح على شوارع فرعية مزروعة أو كانت مزروعة يوما ما ٠٠ والارضيات مبلطة موزايكو ٠٠ وفى مرحلة متقدمة وضعوا قضبان حديد لسد الشبابيك مع اتاحة الفرصة لفتحها ليلا ٠٠

والمعسكر الفرعى المكون من عشر عنابر يخدمه مجموعه من الحمامات ودورات المياه المقامة بالخشب والانترنيت والمعسكر يضاء بالكهرباء ٠٠ ومحاط بأبراج مراقبة تتبادلها الخدمات المسلحة برشاشات بلجيكية ومعلق بجوار كل برج كشاف كهربائى يدور طول الليل لكشف الطرق الرئيسية والفرعية الكثيرة التى تربط أجزاء المعسكر المختلفة ٠

ولاستكمال الحراسة تسير دوريات خدمة راكبة عربات جيب مكشوفة ٠٠٠ ولقد خصصت المعسكرات الفرعية لتضم الاسرى المصريين والسوريين والاردنيين ٠٠ بشكل نوعى ٠٠ فللجنود ٤ معسكرات والضباط الصغار

من ملازم حتى رائد لهم معسكر والضباط الكبار من مقدم حتى لواء لهم معسكر آخر .. والمدنيون لهم معسكر خاص ..

ويضم معسكر عتليت بالاضافه لذلك عنابر للحراس الاسرائيليين ومطبخا لاعداد الطعام للاسرى وآخر للاسرائيليين .. ومطعما لهم ومكاتب الاستجواب بعضها أنشىء على عجل من الخيش .. كذلك يوجد بالمعسكر مستشفى ميدانية لعلاج المرضى تحتوى على عيادة باطنية وعيادة أسنان واجزخانة وحجرات للمرضى .. ومعداتها عتيقة جدا ..

وللمعسكر بوابة خارجية أو أكثر من بوابة ومحاط بسور مبانى عال وأبراج حراسة كالابراج السابقة .. ويدار هذا المعسكر الكبير بواسطة هيئة الادارة .. القائد ومدير المخابرات والاذاعة بواسطة ميكرفونات معلقة بانحاء المعسكر ..

والعمل جار ليل نهار لعمل انشاءات جديدة وتغييرات فى المعسكر بتحسين أسوار وشق طرق جديدة .

ويقول الاسرائيليون .. أن الانجليز أثناء الوصاية على فلسطين منعوا اليهود من الهجرة الا فى حدود ضيقة .. ولكن لتدفق الاعداد الكبيرة من المهاجرين اضطروا للقبض عليهم وسجنهم فى هذا المعسكر .. ولقد اضطرت العصابات الصهيونية (وهذا تعبيرهم الحرفى) .. فى هذا الوقت لمهاجمة هذا المعسكر أكثر من مرة وتهريب اليهود المعتقلين فيه لداخل البلاد .. ثم تحول المعسكر بعد ذلك الى معسكر استقبال للمهاجرين بعد قيام الحكومة الاسرائيلية يمضون فيه مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أشهر لاعدادهم للحياة فى اسرائيل عن طريق تعليمهم اللغة العبرية وأهداف قيام الدولة .. والخطوط الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية .. ولقد استقبل هذا المعسكر أسرى حرب ٥٦ وحرب ٦٧ واستعمل فى الفترة بين الحربين كمعسكر تدريب الشبيبه من ١٢ : ١٥ سنه أثناء الاجازات الصيفية .. وفى آخر المدة التى قضيناها كانوا يعدونه ليكون معسكرا ثابتا للواء الجر لانى الاسرائيلى أقدم لواءات جيش الدفاع ..

هذه هى عتليت وهذا هو معسكر عتليت الذى قضينا فيه حوالى الستة أشهر ·· معسكر اعتقال بجوار حيفا فى حضن جبل الكرمل مزروع بعناية بالاشجار ومحاط بالابراج من كل جهة وفى كل مكان ··· وتقيم معنا فيه قوة اسرائيلية من الرجال والنساء ·

جلسنا فى صفوف متتالية واضعين أيدينا فوق رءوسنا بتراخ ·· ننظر حولنا باستغراب ·· وأستطلاع ·· وبعد الصدمة الاولى استطعنا أن نميز أن الصوت الانثوى ينادى من خلال ميكرفون باللغة العبرية ·· ليسير العمل فى المعسكر وبالتالى نستطيع أن نتصور مدى ضخامته ··

نودى علينا ·· ثم أعطى كل منا رقما أصبح لصيقا به بعد ذلك طول فترة الاسر · الاسير رقم ٥١٧٦٣ هذا هو رقمى ··

وابتدأوا فى العمل منذ اللحظة الاولى التى وصلنا فيها ·· كل منا حمل لوح اردواز عليه رقمه باللغة الانجليزية ثم التقطت لنا صور للحفظ فى ملفاتنا ··

وانتقلنا بعد ذلك لملء الاستمارات ··

اسمك ···· ؟؟

وحدتك ··· ؟؟

سنك ···· ؟؟

ديانتك ····

متى أسرت ···· ؟؟

أين ···· ؟؟

ثم انتقلنا الى مكان آخر لنسلم فيه الامانات ·· وسلمت نقودى وأخذت ايصالا باللغة العبرية ·· ثم انتقلنا الى غرفة التطهير ·

نخلع ملابسنا ···· ورششنا ببودره التطهير ···

ثم انتقلنا الى غرفة الدمغ ·· حيث دمغت ملابسنا بالدوكو ·· مربع أصفر على كل ركبة للبنطلون · ومربع آخر على الظهر وعلى صدر السترة علامة بهذا الشكل ـــــ وكذلك على غطاء الرأس ··

وأستلم كل منا بطانيتين قديمتين توحيان بأن القمل والبق يجريان داخلهما وان لم نجدهما أبدا ٠٠ ووعاء للاكل من الالمنيوم سميناه سفرطاس ٠٠ ولا أدرى من أين جاء هذا الاسم وهل له علاقة بالاسم الحقيقى أم لا ٠٠ وملعقة ٠٠ أصبحنا الان أسرى حقيقيين ٠٠ لنا رقم ومعنا عهدة ٠٠ والتقطت لنا صور كنت أتمنى أن أراها فبالتأكيد كانت تستحق المشاهده ٠٠ وجلستا بدون وضع الايدى فوق الرءوس فى انتظار باقى الزملاء ٠

مر علينا مجموعات من الجنود الاسرائيليين ٠٠ شباب صغير السن يحملون ادوات أكل تشبه أدواتنا ٠٠ بعضهم يحمل زجاجات غازوزة مثلجة ٠٠ برتقال وليمون ٠٠ والاخرون يقضمون فى برتقالة كبيرة ٠٠ والكل لا يهتم بنا فعندهم منا الكثيرون ٠٠

الظل مريح ٠٠ لاشك أن متاعبنا ستصبح أقل ٠٠ ان الوصف الذى سمعناه قد يحمل جزءا من لحقيقة ٠٠ الاسرة ٠٠والمياه البارده والساخنة ٠٠ والمطعم ٠٠٠ وأدوات التسلية ٠٠ معنى هذا انهم يريدوننا الا نكرههم ٠٠ محاولة للتقرب ٠٠ بل محاولة للتأثير ٠٠ لهذا شحنونا فى عربات الزلط وبهذه الطريقة اللا انسانية ٠٠ لكى نصل الى ما يريدوننا ان نفهمه ٠٠ وهو أننا نعيش فى جنة ٠٠ لا ان العربات كان المقصود بها استعراض أسراهم وخزينا وعارنا ٠٠ وقد يكون للضغط قبل الاستجواب ٠٠ وقد يكون لترك انطباع عن المصريين بأنهم مجموعة من البهائم المتخلفة لدى الشباب الاسرائيلى ٠٠ قد يكون ٠٠٠

نحن الان فى طريقنا الى المكان الخاص بنا ٠٠ خلف السور يقف مجموعة من الزملاء ٠٠ حضروا قبلنا ٠٠ نظراتهم غريبة ٠٠ خليط من الترحيب والحزن والرثاء ٠٠ حركاتهم خليط من اليأس والكسل ٠٠ لابد أننى أعرف منهم الكثيرين ٠٠ الوجوه لا أرى فيها من أعرف ٠٠ أين أقاربى ٠٠ أين أصدقائى ٠٠ لعلى واجد أحدهم هنا ٠ هنا خير من الموت ٠٠ وهل لا يوجد حل آخر ٠٠ الاسر ٠٠ أو الموت ٠٠ نسبة ضئيلة للنجاة ٠

أحدهم ينادينى ٠٠٠ زميل قديم ٠٠٠ بالحضن ٠

ــ الحمد لله على السلامة ٠٠٠

ــ أى سلامة هذه ٠٠٠

ـ برضه هنا أحسن ...

ـ كيف الحال .... ؟؟

ـ يعنى ....

ـ بتاكلوا كويس ....

ـ يعنى ....

ـ أين تنام .... ؟؟

ـ هنا ....

ـ على الارض .... !!

ـ نعم ....

ثم أشرت لادوات الاكل وسألت ...

ـ وما هذا .... ؟؟

ـ هذا تملؤه ماء .. لان الماء ينقطع طول اليوم وأثناء القفل ....

مستغرب ـ قفل .... !!

ـ بعد الساعه ٥ بيقفلوا علينا الابواب حتى الصباح ...

ـ وهذه لتأخذ فيها الارز ... وهذه للخضار ...

ـ ألا يوجد مطعم .... ؟؟

ـ يا سلام ... سيأسرونك فى الهيلتون ان شاء الله ....

ـ ومن الذى يغسلها ... ؟؟

ـ انت بالطبع ...

ـ والهدوم ... ؟؟

ـ انت برضه ...

ـ هل يوجد صابون ...

ـ لا ....

ـ دقنى طويلة عايز أحلق وعايز استحم ...

قال ضابطنا ـ أصبر يا اخى .. ستعرف كل شىء .. ابحث عن مكان لتنام فيه اولا وبعد ذلك سنرى . دخلنا حوالى عشرين ضابطا الى حجرة من الحجرات الكبيرة .. كل منا فرش لنفسه بطانية على الارض . وأدار الاخرى على هيئة مخدة .. وجلسنا ينظر بعضنا لبعض .

الوجوه اصابها خيبة الامل ·· أين الميز ·· ؟ اين السراير ·· ؟ الحمامات · ؟ على كل حال احسن من التراب ··· والارض ···

ذهبت لدورة المياه ·· يا للقذارة ·· لا تطاق صفان متقابلان من الفتحات تحتها خندق وعلى المستعمل أن يجلس أمام الاخرين يؤدى حاجته ويرى الاخرين ويرونه ·· ويسمع الاصوات ويشم الروائح ·· منظر لا انسانى ···

سألت زميلى – من هؤلاء ···· ؟

– أردنيون ··· وفى الناحية الاخرى سوريون ···

– هل يمكن التكلم معهم ····

– ممكن ·· ولكن احذر الكلام هنا ·· معظمهم جواسيس ينقلون الكلام

– كيف عرفت ···· ؟

– يقولون ···

رعب فقدان الثقة ·· ذل··ملل··انتظار ·· تفكير ·· خوف على الاهل ·· توتر شديد هذه هى الحياة هنا ···

ومن الان بهتت الاحداث ·· أصبحت صورة مرسومه بالطريقة التأثيرية ··· اذا نظرت لتفصيلاتها لا تجد شيئا ·· ولكن من على بعد تستطيع أن تحدد أشكالا ··· كأننا نعيش فى عالم ثابت يخالف عالم المتغيرات الخارجى ·· ولكن ·· هل يوجد ثبات فى هذه الحياة ··· ؟

لقد كانت هناك تغييرات لا نشعرها ·· كأننا فى مركب بعرض البحر ·· لا نرى الا الماء من كل جانب فى الخارج ·· ولا نرى الا انفسنا ·· نفس الوجوه ·· ونفس الاشكال من الداخل ·· ويمر يوم ·· يومان ونشعر أن المركب لا تتحرك ·· ولكنها تتحرك فعلا وحتما سنصل الى شكل آخر ·· متغير ·· بعد ساعة ·· بعد شهر ·· بعد سنة ·· ولكن حتما سيحدث تغيير ·· لان الارض تدور ·· ومع دورتها تتجدد الحياة وتتغير ·· هل شعرت طول حياتك بأن الارض تدور ·· انا اشعر الان ·· بأن الارض تدور ··· اشعر بأن الارض تدور ·· وهذا أملى ·· والا سأبقى هنا للابد ··

جلست على بطانيتى المفروشه .. فرفصت .. رقدت .. إعتدلت .. جلست .. ربعت .. ماذا أفعـــل .. ؟ .. هل ســـابقى هكذا مهمتى النوم .. والنوم .. والنوم .. تنابلة السلطان الذين كنا نسمع عنهم فى الحكايات .. أريد أن أحلق .. أن اغسل رأسى ووجهى .. أن أستحم .. أن آكل ...

وخرجت من الحجرة الى الفناء الخارجى .. أدخل الجنـــود وعاءين كبيرين من البطاطس واللحم والارز .. اندفع الضباط كل يحمل فى يده أدوات أكله لاخذ نصيبه .. كل منهم يحاول أن يحصـــل على أكبر جزء من الطعام .. الضباط تتضارب .. تتشاتم للوصـول للاكـل .. الاكـل يقارب على الانتهاء .. رائحة الطعام تحرك أحشائى ... أفرز كمية هائلة من اللعاب .. أبصق .. الضباط يزداد هيـــاجهم كلما قلت الكمية ... الجنود الاسرائيليون يتجمعون خلف الاسوار يتفرجون علينا .. ضـــابط ذو رتبـة كبيـرة يصـــيح فى الضـــباط .. انتم همـج .. احنـا ناس متعلمين .. وعسكريون تعلمنا النظـام حتى فى الاسر نقف طـــابور .. يوقفهم فى طابور ويقف فى أول الصف لاخذ نصيبه ... ينصرف تعـــود الفوضى ثانيا كما كانت .. ماذا حدث للرجال .. نحن فى غابة .. لكى تعيش لابد وأن يكون لك قدر هائل من العضلات .. والصـــوت القـــوى العالى .. والبجاحة الكافية لرد شتائم الاخرين يأقذع منها .. هل معنى ذلك أن الانسان يرتد الى طبيعة الغابة والتوحش مع أول فرصـــة تواتيه للتخلص من قيود المدنية المفروضة عليه .. أم هل هى طبيعة شـــعبنا وأن الحضارة لدينا قشرية تزول بسرعة مع أول اختبار .. هل كل شـــعوب العالم بهذه الطريقة يتصرفون .. لو كان هؤلاء أسرى انجليز .. أمريكان .. روس .. فرنسيين .. هل ... ؟؟

اسئلة كثيرة صدمتنى وأنا أناضل للوصول الى قدور الطعام لاخـذ حبات قليـــلة من الارز والبطاطس وقطعة لحم .. أهدىء بهـــا صراخ معدتى .. وضـعت الادوات بجـوارى بعد ما فرغت من الاكل وحـاولت أن أتابـع حديثـا دائرا بين الرائد عـادل والمـلازم محمـد وهـو ضـابط من كتيبته ...

ـ هو مفيش أكل يا محمد ولا أيه ... ؟
ـ زحمة يافندم على القزان ...
ـ طيب م تاخد تجيب لى أكلى ...
ـ والله يضربونى .. يفتكروا أنى حاكل مرتين ...
ـ يعنى لازم أروح بنفسى .. أيه الغلب ده ...
الرائد توفيق يتدخل فى الحديث ...
ـ لو لقيت أكل .. الاكل خلص خلاص ...
ـ يعنى أيه .. تعينى مين اللى اكله ...
ـ فوضى شـــديدة ...

يخرج ثم يعود متحسرا هائجا .. الشعب الهمج ده .. تصور فعلا الحل ناصية .. لا .. لازم يتنظم المعسكر ده .. اذا م كناش عارفين ننظمه اليهود ينظموه .. يرضـى مين انى أفضل جعان .. ويتجمع الرواد فى حجرة من الحجرات للمناقشة .. الحجرة مزدحمة جـدا .. أصـــوات عالية حرقهـا الجوع .. فصغار الضباط بفتوتهم استطاعوا الحصـول على أكبر جزء وتركوا الكبار بدون أكل ...

المناقشـــة تزداد سـخونة ...
ـ أنا دفعـــة ٥٢ ...
ـ لكن أنا فى أول الدفعة ...
ـ رقم اقدميتك كام ...
ـ يبقى صفوت أقدم الضباط ...
ـ لا عبد الله الاقدم ...
ـ أنا ياسيدى متنازل عن اقدميتى ...
ـ خلاص صفوت ينظم الموضوع بتاع الاكل ...
ـ أنا لا أتحمل المسئولية منفردا .. يجب أن نقسمها بالتساوى ..
ـ ياصفوت لازم تقوم بدورك ...
ـ أنا مقلتش حاجة .. لكن تتحملوا المسئولية معايا .. احنـا هنا كلنا أســرى ...
ـ يرضيك العيال ياكلوا أكلنا ...
ـ نقسم المعسكر لمجمـوعات ويتولى القيـــادة فى كل مجمـوعة أقدم رائد ...

- والتعيين ياصـــفوت ...

- المشكلة مش مشكلة تعيين .. المشكلة اننـا أمام نظر وسـمع العدو ... ولابد أن نظهر بمظهر مشرف ..

- العدو اختبرنا جيدا فى الايام السابقة ويعرف من نحن ...

- مش مبرر اننـا اتأسرنا وانهـزمنا اننا نستسـلم للفوضى .. شرف بلدنا وحضـارتنا متوقف على مظهرنا هنـا .. لابد من السيطرة الكاملة على المعسكر لذلك أقترح أن يصبح أقدم رتبه فى كل حجرة مسئولا عن حجرته .. وأقدم رتبة فى كل بلوك مسئولا عن بلوكه .. وتقسم البلوكات الامامية بقيادة والخلفية بقيادة ..

- ما لزوم كل هذه القيادات ...

- لزومهـا اننـا نبقى بنى آدمين مش وحـوش .. بلدنا عـرفت التقسيمات الادارية من خمسة آلاف سنه ...

- والتعيين ياصفوت ...

- أقدم ضابط فى البلوكات الامامية يعاونه طقم توزيع رئيس شئون ادارية وضباط للتوزيع .. رئيس الشئون الادارية يستلم تعيين البلوكات والضباط توزعه تحت اشرافه ..

- طيب موافقين .. الرائد يحيى يصـبح مسـئولا عن البلوكات الخلفية ..

- والرائد فريد يصبح رئيس الشئون الادارية للبلوكات الامامية ...

- وأنا شـايف ان الفوضى التى نعيش فيها نتيجة لقلة الوعى ... ومن رأيى اننا نعمـل ضابطا للتوجيه المعنوى والرائد ثروت أقدر الموجودين فهو ...

- موافقون ... موافقون ...

وانفض الاجتماع بعد ما تكونت الاسـس التى سـتحكم المعسـكر وتديره .. هذا الشكل أكثر تمدنا .. والا أصبحنا وحوشا نتصـارع .. ولكن ترى هل ستنجح هيئة الادارة الجديدة ..

الساعة الخامسة .. العشاء .. قزان به طعـام أبيض .. الرائد فريد يستلم القزان ويستلم خيارا وطماطم وبصـلا .. وأرغفة طـويلة

متضخمة تشبه عيش التوست .. ضباط الشئون الادارية وأطقم التوزيع تستلم الطعام .. الضباط يتجمعون حولهم .. الرائد يحيى يصرخ .. الضباط تتشاجر معه .. يدورون على الحجرات .. الضباط تتجمع عند كل حجرة .. تتدافع .. تتصايح لم ينسوا درس الغذاء .. العشاء ملعقتين من الطعام الابيض وخياره أو طماطماية أو بصلاية .. ورغيف عيش للاكل على ثلاث وجبات ...

الطعام الابيض له طعم الجبن .. أو اللبن الرايب .. أو اللبن الزبادى .. نتناقش طويلا حول ما هو .. الرائد توفيق يقول أنه شربة جبنة .. الرائد عادل يخطف طمطماية كبيرة .. لقد كان الرائد الذى اختطف علبة السجائر فى العربة .. وجوه كثيرة أراها لاول مرة .. احاول أن أحفظ أسماءهم ...

الجنود الاسرائيليون يدخلون المعسكر .. يصفقون بأيديهم .. يحملون رشاشاتهم مصوبة نحونا .. آن وقت القفل الضباط يدخلون حجراتهم .. الجنود الاسرائيليون يتممون على الضباط بالحجرات .. يقفلون الابواب من الخارج بالاقفال .. التعليمات أن تبقى الاضاءه طول الليل بالحجرات .. لا تطفىء الانوار .. الليل يحل .. الشيخ محمد الذى شرب بوله يقوم ليصلى .. أحاديث ثنائية أسمع منها خرم .. أبو عجيلة .. اللواء العاشر .. اللواء المدرع .. العقيد .. العميد .. الرائد .. الطيران .. الحرب .. اليهود .. القتل .. العطش .. الموت .. الاسر .. أصوات فى الحجرة المجاوره .. الله .. الله .. الله .. حلقة ذكر .. أدعية .

ــ ما هذا هل ستقاوم اليهود بالذكر ..

ــ ابتسامات خفيفة لا تصل الى ضحكات .. نتثاءب ــ أريد أن أنام .

ــ لكن قائد الكتيبة ورئيس العمليات راحوا فين ... ؟

ــ هربوا زى الباقين ...

ــ ولا الضابط اللى أخذ العربية وجرى ...

ــ ربنا ينتقم منهم ... فهم السبب ...

ويمر الليل بطيئا نتقيأ فيه ما حدث لنـــا فى ســـيناء ·· وكيف أسرونا ·· وكيف نجونا من الموت وكيف خانوا ·· وكيف ·· وكيف ·· حتى نسقط من التعب نائمين ··

فى السادسة صباحا ·· يفتح الحراس الابواب ·· ويتممون علينا ·· ثم يتركوننا لنذهب لدورات المياه ·· الماء يسمح به ساعتين صباحا ·· وســاعتين قبـل قفـل البوابة ·· وحول الحنفيات نتجمع لنغســل أوعيتنا وملابسنا ونملأ الاوعية الخاصة بالماء ··· ثم نرتب بطانياتنا ونجلس فى الحجرات لنعود الى اساطيرنا القديمة عن الحرب ··

تعرفت به ملازم أول شاب ·· أسمر ·· طيب ·· رياضى ·· أسمه بيومى ·· منذ تخرج من الكلية الحربية وهو يعمل باليمن ضابط استطلاع·· كان ذكيا ولماحا ·· كان يقص لى قصته ·· لقد أحضرونا من اليمن ·· ركبنا القطار المتجه للقاهرة ···· بمهماتنا وكل ما احضرناه من اليمن ·· الثلاجات ·· والريكوردرات ·· والتوينزات ··· وفجأة صدرت الاوامر لسائق القطار بالدوران والعودة ·· ثم اتجه الى ســـيناء ·· فالعريش ومنها ذهبت رئاســة اللواء وكتيبة الى منطقة بجوار الحسنة اسمها خرم ··

– مين قائد اللواء ··· ؟

– العميد خيرى ···

– انت كنت فى اللواء ١٢٠ ··· ؟

– آه ··· ···

– انت ضابط استطلاع ··· ؟

– آه ··· ···

– منذ رأيتك وأنا احاول أن أتذكر أين رأيتك قبلا ·· الم تستلم منى المطارات التى أعددتها لطائرات المشـــير ··

– آه ·· آه ·· فعـلا ·· تذكرتك ·· بعد ذلك ضربتنا الطـائرات الاسرائيليه بالنابلم ···

– وكانت لنا كتيبة متأخرة ·· اصطادوها عند الكيلو ١٦١ ·· وهى فى طريقها لخرم ·· لم ينج منها احد ···

- فعــلا ٠٠ قالو ان خرم كانت مضروبه بالنابلم ٠٠٠
- يوم ٦ يونيو العميد خيرى ورئيس الاركان ذهبوا لقيادة الجيش أخذوا أمر الانسحاب فأرسلوه لنا مع سائق عربة الاستطلاع لنخبر الوحدات ٠٠ وكلفنى قائد الاستطلاع بتبليغ الكتائب ٠٠ ضللت الطريق ولم أستطع العودة فأول مرة أدخل سيناء ٠٠ وأخيرا ٠٠ قبضوا علينا بدون مقاومة ٠٠ ولا طلقة ٠٠٠ !
- نفس القصة ٠٠ العميد خيرى فعــلا لم يكن مقتنعا منذ البداية بما يحدث ٠٠

زهقت من حديث الحرب والهرب والانسحاب ٠٠ ومع ذلك لم أستطع أن أتخلص من سماع القصص صباحا ومساء ٠٠ كان لابد أن نتكلم ٠٠ كان لابد وأن نشتكى ٠٠

أنا قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات فى اللواء ١١٨ ٠٠ كان علينا حماية المثلث عند الكيلو ١٦١ ٠٠ أنا سريتى ممتازة ٠٠ كانت السرية الاولى فى الفرقة ٠٠ فى كل الاختبارات كنت أحسن قائد سرية مدفعية مضــادة للدبابات ٠٠ كنت تدخل مكتبى نفسك تتفتح ٠٠ داهنه زيت وفارشــه بأرضيات خشب بتاعة العساكر ٠٠ كانوا زيادة فى العهدة ٠٠ ومجلد المكتب بورق ضرب نار ٠٠ كنت ضــابطا ممتازا ٠٠ والله ٠٠ لكن الجيش ٠٠ غريبة ٠٠ تصور قالوا انسحبوا الى مكسر الفناجيل ٠٠ أرض كلها رمــل وغرز العربيات غرزت ٠٠٠زقيت المدافع بأيدى ٠٠ ونصــبنا المدافع ٠٠ مواتير العربيات فوتت عربيات خفيفة بتشد المدفع بصــعوبة ٠٠ فى الغرز لازم تفــوت ٠٠ المهــم ٠٠ الجنــود فى الخــط الاول انســحبوا ٠٠ من أبو عجيلة ٠٠ غرقانين دم ٠٠ مفيش فايدة ٠٠ الخطوط تنهار بسرعة ٠٠ جنودى روحهم المعنوية انهــارت ٠٠ وفى وســط الهيصة دى ٠٠ قالوا لا ٠٠ ارجعوا تانى ٠٠ ازاى نرجع ٠٠ السرية انفرطت ٠٠ لم أســتطع السيطرة عليها ٠٠ نصف المدافع فى الغرز ٠٠٠والجنود فقدت حماسها ٠٠ والقيادات فقدت سيطرتها علينا ٠٠٠ سهرنا طول الليــل نســمع الضرب والطلقات الكاشفة ٠٠ قائد كتيبة المشــاة الذى كنا نعــاونه مشى ٠ الناس كلهــا انسحبت بأوامر ٠٠ بدون أوامر ٠٠ لا أعرف ٠٠ لم أجد فى مركز القيــادة قائدا واحدا ٠٠ رجعت ٠٠ حرقت أوراقى ٠٠ ولكن نسيت شــانون كان

به مذكرات فرقة قادة السرايا ٠٠ ومذكرات طبعتها مدرسة المشـــاه ٠٠. ومذكرات فرقه المساحة ٠٠ كانت ممتازة كنت مجلدها ٠٠ ومهتم بهـا ٠٠ نسيتها فى الشانون ٠٠

سألته ـ انت قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات ٠٠ فى ايدك أقوى سلاح لضرب الدبابات التى أرعبتنا كلنا ٠٠ المفروض الاتخاف منها ٠٠. ما الذى أخافك ٠٠ لمـــاذا لم تمت فوق مدفعك ٠٠ لمـــاذا لم تنتظر حتى تستعمل مدفعك ٠٠ على الاقل كنت ستضرب دبابة ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ٠٠ أى حاجة يشعرون اننا بنقاوم ٠٠. هذا شـغلك ٠٠ حياتك ٠٠ ليه ٠٠ ؟؟

وايه يعنى دبابة ٠٠ وايه يعـنى لمـا نقـاوم ما كـان سـيحدث انى ساموت أنا وطقمى بعد أول طلقة ٠٠ حتى دون أن نصيب ٠٠ فى المدفعية شىء اسمه تصحيح ٠٠ بنضرب أول قذيفة ٠٠ وبعد ذلك نصحح عليها ٠٠ المفروض أن نعمل فى وسـط مجمـــوعة تحمينا ٠٠ تضرب معانا ٠٠ المدفع له لهب قوى جدا يكشف موقعه من أول طلقة ٠٠ ونضرب بعد ذلك ٠٠ وإذا كان القادة هربوا هل سأكون اكثر منهم حماسا ٠٠ كلهم هربوا ٠٠ كفاية الويل الذى وجدناه طول الطريق ٠٠٠

مشيت ٠٠ أخذت معى زمزمية وزجاجة كولونيا ٠٠ وعلب فول ٠٠ وغيارين فى شنطة ٠٠ الطريق أعرفه جيدا ٠٠ اذا استمريت فى السير سأصل الى الاسماعيلية ٠٠ مشينا انا وآخرون ٠٠ حوالى عشرين كيلو ٠٠ الدبابات ضربت كلها ٠٠ اوغرزت ٠٠ الورشة كانت محروقة ٠٠ قلنا نستريح قليلا فيها ٠٠ دخل اليهود بعرباتهم ضربوا المعسكر كله أسرونا ٠٠ بينهم بنات زى القمر ٠٠ منهن واحده قربت منى وسألتنى انت من الظاهر طلع عليه ؟ولع سيجاره من سجايره ٠٠ نمنا على الارض ٠٠ العربات تدور وتتجه نحونا بسرعة من بعيد ٠٠وتفرمل عندنا ٠٠ قبلنا ببوصات ٠٠ كنت بتكلم انجليزى زى البلبل البنت احضرت لى كوبا من الليمونادة المثلجة ٠٠ استجوبونى ٠٠ قلت أنى ملازم جديد لا أعرف شيئا ٠٠ ضربنى بعصاية فيها مسـامير ٠٠ عندهم خريطة لسيناء بالكامل مكتوب عليها بالعبرى ٠٠ كانت أياما سوداء ٠٠

أنا كنت فى لواء مدفعية ٠٠ بين خرم والمطله ٠٠ كنا مجموعة اللواء ياقوت ٠٠٠ أقدم الاسرى ٠ معانا هنا ٠٠ كنا ثلاثة لواءات مدفعية ولواءين

مشـاة احتياط ·· كان واجبنا مصيدة للدبابات اليهودية ·· كنا فى مكان لا يعرف عنه شيئا ·· لم نر الحرب يوم ٥ ، ٦ يونيو ·· وكأننا لواءات لجيش آخر ·· يوم ٧ يونيو اتصلت بنا القيادة من وهران الساعة ٤ ظهرا·
، وهران ·· القيادة سقطت صباح يوم ٧ يونيو الساعة ١١ على وجه التحديد

ــ انتظـر حتى تعـرف باقى الحكـاية ·· الو ·· ياقوت ·· هـل تستطيع الانسـحاب الى الحسنه ·· قلنا ·· نسـتطيع ···

بعد نصف سـاعه ··· الو ·· الوياقوت طريق تمادة مؤمن انسحب عليه ·· اللواء ياقوت الحقيقة عمـل انسحاب تكتيكى كما هو موجود فى الكتب ·· بعد آخر ضوء ··· لواءات المشـاة أولا ·· وبعدها لواءات المدفعية ·· والاضاءة مقيدة ·· وخرجنا من حفرنا ·· وانطلقنا فى الطريق لتمادة ·· وبالقرب من تمادة ·· وجدنا سدا ترابيا ·· وباعث ضـوء ·· ورشـاش متوسـط ومدفع هاون ·· عندما اقترب القول من السد ·· تسلطت علينـا اضـواء البورجتكور ·· يخلنا فى دور من الفوضى العجيبة ·· الهـاون والرشـاش ابتدأ فى الضرب والناس لم يستطع أى قائد أن يسيطر عليهم ·· دلهم ضغطوا على السد · وابتدأو يضربون بعضهم بعضـا ·· وانتهت تماما السـيطرة على اللواءات الاحتيـاط ··

قائد اللواء مسكين ·· كان واقفا فوق عربته الجيب ينادى ويصرخ ·· ولكن لا مجيب ·· تداخلت اللواءات بعضها داخل بعض ·· وأخيرا ·· فك أحدهم مدفع وعمره وأطلقه فى أتجاه البروجكتور ·· طلقتين ·· احضرنا بعد ذلك بلدوزر ·· فتح ثغرة فى السـد وتحركنا ثانيا على الطريق ·· لكن فى فوضى غريبة ·· بعد حوالى مائة أو مائتين من الامتار وجدنا سـدا آخـر ·· ونفس الطقم ·· وهذه المرة كانت كافية لينفرط عقد خمسة لواءات ــ كان من المفروض أن تكون مصيدة دبابات ·· وفى داخل الصحراء المحيطة بطريق تماده وعلى الجانبيين ·· انطلق كل منا يبحث عن طريق للعودة ·· وفى اليوم التالى كانوا يجمعوننا مثل السمان المنهك بعد رحلة طويلة ·· ويسقط فى أول شبكة مفرودة على الشـاطىء ··

ــ مش معقول الناس دى كانت فهمانا بالشكل ده ····

ــ ولاد ·· عرفوا انهم لو هاجمونا فى خنادقنـا ·· كنا كبدناهم

خسائر شديدة . كانوا خسروا .. فكروا يدمروننا بأيدينا ..
هذه هى الحرب الحديثة ... بالطبع لا يوجد مبرر لاقول ان الاشارة
التى ارسلتها القيادة فى الحقيقة ارسلتها القيادة الاسرائيليه من
مركز قيادتنا وعلى أجهزة اشارتنا بعد ما انسحبت القيادة وتركت
الاجهزة والخرائط .. والشفرة .

- منتصرون .. بيتكرون ويخططون .. وينفذون بجراءة .. كنت
قائدا لسرية مهندسى اللواء العاشر مشاة .. وهو لواء مستقر منذ مدة
طويلة فى القسيمة .. يوم ٤ قرروا تغيير مواقعنا وتكثيف حقول الالغام
لذلك أخذت ٥ عربات لصرف الغام من العريش وفرصة اكلمهم فى البيت
من السنترال .. صرفت الالغام ونمت الليلة فى النادى .. صباحا كلمتهم
من سنترال العريش وفى الطريق للقسيمة هاجمنا الطيران .. قفزت خارج
العربة وبعد ذلك بدقائق أنفجرت عربة تلو الاخرى .. قنابل ذرية .. تخيل
عربة محملة بالالغام وتنفجر .. ضللت الطريق فى الصحراء .. حتى ورمت
قدماى من المشى .. وكدت أموت من العطش .. التقطتنى دورية اسرائيلية
قلت لهم أشرب .. قالوا أمش لن نسقيك .... قلت لهم لازم أشرب ..
خذونى معكم او أسقونى .. وتشبثت بهم .. حتى أخذونى ..

انت كنت ستموت من العطش .. انا كنت سأموت من الشرب ..
كنت قائدا لنقطة مياه قرب عين الجديرات بالقسيمة كل الناس بتشرب
من عندى .. حتى يوم انسحبوا جميعا ولم يخبرونى أنهم ينسحبون ..
تتولش رمية . فى الزنقة يعرفوننى وفى المصلحة يتركوننى المهم دخلت المدرعات
الاسرائيلية القسيمة .. وقبضوا على .. سالنى قائد المدرعات فين التنكات
.. انا فاكر تنكات المساء .. أشرت له عليها .. قال لى لا التنكات ..
وأخيرا فهمت أنه يقصد المدرعات عندما أخذنى لاحدها وأشار لى عليها ..
ثم قال أين التنكات الخاصة بكم .. قلت له .. لا أعرف انسحبوا وتركونى
.. أخذنى لفناطيس المياه تخيل انها مسممة .. وأجبرنى على الشرب
من كل فنطاس وكميات كبيرة حتى كدت أن أموت من كثرة الشرب ...

أما نحن فقد كنا فى ابو عجيلة .. كنت قائد الورشة فى نهاية ابو
عجيلة ... وابو عجيلة محصنة جدا .. ولا يمكن اختراقها من المواجهة
ابدا .. طلب القائد تدعيم لواء مدرع .. واجابت القيادة أنه قادم لنا لواء
..واتفقنا أن اشارة التعارف هى أن يدخل مضيئا أنواره ...

- ودخل مضـيئا أنواره حتى وصـل الى الورشـة فأطلق المدفعية ..
فلقد التقطت القوات الاسرائيلية الاشـارة ودفعت لواءا مدرعا مضيئا أنواره
استقبلناه بالاحضان ورد علينا بالنيـران ....

وهكذا مضت الايام الاولى من الاسر كل منا يتكلم عن مأسـاته ..
متصورا أنها المـأساة الوحيدة .. ولا يمل من سردها أبدا .. حتى حفظنا
جميعا كل القصص ... حتى التصرفات الصغيرة منها ..و كنا نجد لذة
فى الرواية ولذة فى السماع ونسهر حتى أوقات متأخرة من الليل نعذب أنفسنا
.. بين الاهات والزفرات الحارة الحزينة .... واصبحنا نكملها عنـدما
يسردها صاحبها .. ثم سـاد بيننا صمت مفاجىء عن رواية اساطير الحرب..

خـلال الاسـبوع الاول لم تحدث أحداث هامة عـدا تنظيم الادارة
للمعسكر واعتيادنا على النظام الجديد سـوى بيان المخابرات الاول ..
وهـذا البيـان له قصـة ...

فى نهاية الاسبوع الاول وحوالى السـابعة ارتفعت أصوات الميكرفونات
على غـير العـاده ليتكلم المذيع باللغة العربية فى صوت ضخم قائلا « أيهـا
الضباط والجنود بالجيش المصرى اليكم هذا البيان .. » ثم صوت الرئيس
عبد الناصر .. يقول « لقد فقدنا اكثر من ثمانين فى المـائه من معدات الجيش
وانه لم يكن موجودا من يدافع عن قناة السويس » .. ثم صـوت المذيـع
ينعى الجيش المصرى ويرجع ذلك الى شخصية الرئيس العدوانية النزقة ..
ثم نسمع صوت عبد الناصر قائلا « أنا المسـئول عن كل ما حـدث » ..
ويتركنا البيان معـلقين .. لا نعـرف ماذا يحدث فى بلدنا .. هـل حقـا
عبد الناصر الذى قال هذا الكلام .. هل هذه مسرحية متقنة .. هل معنى
ذلك أن الجيش قد تدمر .. وأن اليهود قادرون فعـلا على الوصـول الى
القاهرة .. وتذكرنا ما كانت الاذاعه الاسرائيلية تذيعه فى بداية الحـرب
كانوا يوجهون نداء يقول « أيهـا الجندى المصرى نحن لا نريد بك أذى ..
عندما تشاهد جنود جيش الدفاع الاسرائيلى الق سلاحك وارفع يديك
أمامك وجنـود جيش الدفاع لديهـم الاوامر بأن لا يصـيبوك بضرر ..
وستقضى فصل صيف ممتع على ضفاف البحر المتوسـط فى ضيافتنا) نداء
يحمل قدرا هائلا من الصفاقة لمن يسـتمع اليه فى بداية الحرب .. ولا يترك
الا ابتسامة خفيفة اذا كنت مؤدبا ... ولكنه يصبح شيئا يمكن التفكير
فيه بعـد الاسـر ...

ودارت المناقشـات بعد انتهاء البيان ·· معنى ذلك أننا هزمنا فعـلا ·· هذا اعتراف صريح من عبد الناصر ·· وكأننا فوجئنا بالهزيمة ·· وكأننا لم نعش المأساه ·· ·· كان عندنا أمل ·· أى أمل ·· وانتهى · · لكن هل عبد الناصر هو المسئول الوحيد عما حدث بالتأكيد هو شريك ·· ولكن النظام بالكامل مسـئول ·· الجيش ·· والاعلام ··· ومجلس الامة الذى حل نفسـه فى وقت الشـدة ·· والاتحاد الاشـتراكى الذى لا وجود له ·· ونحن ايضـا ·· مسـئولون ···.

رد أخر ــ يابنى دول مجانين ·· أصيبوا بجنون العظمة ·· وطغوا وفسـدوا هذه هى النتيجة ·· شـمس بدران ده ·· كان ·· الاها ·· كان متحكما تماما فى كل شىء ·· النظام كله يجب أن يتغير ·· يجب أن نعود لديننا ·· ولتعاليمه ·· والأخلاقه ·· فين عبد الناصر ·· من سيدنا عمـر ·· سيدنا عمر ·· كان عنده جلابية واحدة ·· كان بينام تحت الشجرة ونعله تحت رأسـه · · « عدلت فأمنت فسـلمت فنمت يا عمر » ··

ــ يا أخى هو ده وقت مواعظ ·· المهم أيه الحل ··· ؟؟

ــ الحل تناموا وتتركونا ننام ·· يا ناس ياهوه الواحد لا يستطيع أن ينام سـاعتين ··

وبعد هذا البيان بأيام قليلة اذيع البيان الثـانى ·· وكان حديثـا مسجلا بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين ·· بالتليفون اللاسلكى ··

ــ الانجليز والامريكان هم اللى سـاعدوهم والا الامريكان بس ··

ــ الانجليز والامريكـان ··

ــ على كل حال ·· شـد حيل جلالتك ·· احنا مبسوطين من الموقف المشرف لجلالتك ·· وهى الحرب كده ·· خسـارة ومكسب ·· ثم ··· ··· (كـلام غير مفهوم) · ·

ــ جلالتك تصدر بيانا واحنا نصدر بيانا وحنقول للسـوريين كمان يصدرون بيانا علشـان نحمى الموضوع ··

ثم يتلوه المذيع معلقا على هذه المحادثة ·· بأن الانجليز والامريكان لم يحاربوا معهم وأن الحرب كانت بواسطة جيش الدفاع الاسرائيلى ·· ونتيجتها ·· نتيجه لقوة تدريبه وعظمة قيادته ·· وأن موضوع التدخـل الخارجى ما هو الا محاولة للتخلص من الازمة ·

ودارت المناقشات واحتدمت فلقد كنا كمن يعيش فى سرداب مظلم من العالم ... عجيب أمر انسان هذا العصر .. ان تعوده على أن يستيقظ كل يوم فيقرأ أخبارا جديدة عن العالم .. أو يفتح الراديو فيعرف ما يدور بأقصى الارض أمر جديد عليه حضاريا ... ومع ذلك فانقطاع الجريدة أو نشرة الاخبار تشعرنا بأننا نعيش فى سرداب مظلم مقطوع عن العالم .. كيف كان يعيش البشر قبل وسائل الاعلام ياترى ..

لذلك جددت هذه البيانات أوجاعنا .. واجبرتنا على التفكير وكثرت المنازعات والمناقشات ...

- ليس هذا صوت عبد الناصر ...
- لا .. صوته وأنا سمعته من قبل فى الراديو .. نفس المكالمة ...
- يريدوننا .. أن نفهم أنهم انتصروا منفردين ...
- هذا حقيقى .. هل رأيت طيارة انجليزية أو امريكية ...
- نحن بين أيدى أعداء تذكروا ذلك ...
- عايز عبد الناصر يكرر مسرحية ٥٦ ويخرج منتصرا ويحول الهزيمة والانسحاب لنصر .
- هل فقدنا الثقة تماما فى بلدنا ..

هكذا كانت حياتنا .. فى الاسابيع الاولى .. وكلما هدأنا قليلا حركتنا المخابرات الاسرائيلية ..

فى يوم .. صحونا لنجد فى لوحة الاعلانات فى مدخل المعسكر صورة زنكوغرافية لجريدة الاهرام .. وفيها مقال لمحمد حسنين هيكل من سلسلة مقالاته « بصراحه » يقول فيه أن الجيش الاسرائيلى كان يحارب بطرق علمية أكسبته النصر وهى طرق عالمية معروفة فى الحرب من حشد ومناورة وتثبيت وتطويق .. وأن القيادات المصرية اصابها الذعر والارتباك فلم تستطع الصمود ....

وبعد ذلك بأيام قليله وضعوا مقال لاحمد بهاء الدين فى المصور .. عن ضرورة قيام دولة عصرية فى مصر .. وأن السبب فى الهزيمة أننا لم نكن نأخذ امورنا بمقاييس الدولة العصرية .. وانه مستحيل أن يؤمن عامل بالاشتراكية التى يتحدث عنها رئيس مجلس الاداره ذو العربه وجهاز التكييف

والملابس المستوردة ·· وأنه لكى يؤمن الشعب بضرورة شـد الحزام لابد وأن يرى شـد الحزام هذا عمليا على قيادات العمل السياسى والمهنى ··

وكانت هذه المقالات أيضا ·· تولد مناقشات حادة جدا ·· فلم نكن نتصـور أنه وفى نهاية حرب كهذه يستطيع كاتب مهما كان أن يقول ما يقولانه ·· البعض قال أنها نسـخ مزوره ويدلل على أنه بعد الانفصال طبعت سوريا صورة مزورة من جريدة الاخبـار تحمل خـبر حدوث انقـلاب فى مصر ·· ووفاة عبد الناصر والمشير ·· مما حدا بجلال هريدى أن يضعف ويسـب الحكم وفسـاده فى التليفزيون السـورى ·

ويرد أخرون ·· بل هو أسلوب هيكل فعـلا وأسـلوب بهـاء الدين وهذه ليست بكذبة ··

- ممكن تقليد الاسـلوب ···
- الكـلام معقـول ···
- وهل معقول ان يكتب فى مصر ···
- من أدراك ما يحدث الان فى مصر ···
- لقد تاثرت بدعاية العدو ·· وفقدتم روحكم المعنوية ···
- وانت مغلق الفكر ولا تريد أن تفهـم ···
- سنعود فى يوم ما ·· ونعرف الحقيقة ····
- سـنتقابل ····· !!

وكان النقاش لا ينتهى ·· حلقات مناقشة متتالية ·· لكل منا وجهة نظر ·· وقدرة على التحليل والفهم والعناد ···

وفى الايام الاخيرة من الاسابيع الاولى ·· احضروا لنا كتابا كتبه مندوبو وكالات الانباء يحكى قصـة النصر العسكرى الاسرائيلى ·· حوالى عشر نسـخ ·· وتركوها فى غرفة القيادة ·· ذهبت لاستعير نسـخة ·· فرفض الرائد صفوت اقدم الضباط ·· واحالنى للرائد ثروت الذى حاول أن يفهمنى بأنها كتب مسـممة لافكارنا ·· ثرت ثورة شـديدة ·· قائلا ·· لـماذا تنصب من نفسـك وصيا على فكرى ·· لـماذا تتخيل أن قدرتك على الفهم تفوق قدرتى ·· أرجوك اعطنى كتابا ··

ـ هل تتحمل مسئوليته في مصر ...
ـ أتحملها .. هات الكتاب ....

وقرأته ـ كان يقص قصة الحرب .. والمعارك المختلفة .. مبالغا فيها .. ومحاولا ـ في نفس الوقت أن يدعى بأن الجيش الاسرائيلي خاض معركة حقيقية وأنه لولا كفاءته التي لا تداني .. لما حقق النصر ..

وكنت دائما ما أقول .. حقا انه حقق نصرا يفوق أقصى تصورات اللواء مرد خاى قائد الطيران جنونا .. ولكن السبب لاننا أيضا فقنا أقصى التصورات جنونا في الفوضى وعدم التخطيط والارتجال والغرور ... ان الانتصار الاسرائيلي في حقيقته هزيمة عربية ... فقط ...

تشبعنا في الايام الاولى .. حتى كدنا ننفجر يأسا وحزنا ...
لا حديث سوى حديث المعركة ولا تصور الا تصورها .. ولا شيء سوى ماذا حدث لنا .. حتى يوم ٦٧/٦/٢٣ .. حدث تغيير خطير .. فأجهزتنا العصبية لم تعد تحتمل التوتر التي ما لا نهاية .. ولذلك فلقد حدث الضد .. سهرنا طول الليل نحكي نكتا ونضحك ... ونضحك .. ونضحك بأصوات عالية كأننا في حفل سمر .. محاولين لا شعوريا أن ننسى مأساتنا .. وكانت هذه الليلة .. وبصورة متفاوتة في الحجرات المختلفة انتشرت موجات الضحك واللامبالاة .. وابتدأنا نلاحظ الصوت الانثوى الذي ينادى في الميكروفون .. وأصبح مثيرا جدا .. ومثيرا لخيالات لا نهائية .. وابتدأنا نلاحظ مرور المجندات الاسرائيليات في الشارع الامامي في طريقهن للمطعم والعكس .. البنت السمينة .. والبنت الطويلة .. والبنت أم شعر أصفر .. والتي تحرك مؤخرتها .. والتي .. الخ ...

واصبحنا نطالب باذاعة ترفيهية ولو لساعات .. نريد موسيقى .. اغاني .. وهنا كانت المخابرات الاسرائيلية قد أتمت فترة الانضاج .. ووصلت فعلا الى اللحظة التي تستطيع فيها أن تقابلنا وجها لوجه .. بل لقد أمدونا بصابون وأمواس حلاقة .. حقا لكل ثمانية عشر ضابطا موسى وقطعة صابون صغيرة .. ولكنه تطور يربطنا باسانيتنا بشكل أو آخر ...

حلقت ذقنى ٠٠ لاول مرة ٠٠ حلقهـا لى زميل اذ لم نجـد مرايا للحلاقة ٠٠٠ وأخذت حماما باردا وغسلت أوفرولى ثم لبسته ٠٠ وشعرت أن حالتى النفسية اصبحت رائعة ٠٠ فاليوم لاول مرة أشعر بانسانيتى ٠٠ وسمعت نداء ٠٠ ٥٧٦٣ ٠٠ هـذا رقمى ٠٠

ـ أفنـدم ٠٠

ـ مطلوب للاستجواب ٠٠

وذهبت لاجلس أمام أول مستجوب ٠٠ ماذا سيحدث ياترى ٠٠٠ ؟

الموقف يخالف تماما لما تخيـلته ٠٠ أدوات التعذيب ٠٠ والمعذبون الغلاظ ذوو العضلات المفتولة ٠٠ لا وجود لهم ٠٠ وحل محلهم رجل بسبط رفيق ملامحه عادية تشبه ملامح أى فلسطينى طيب ومهذب ٠٠

كان ضابطا فى الجيش الاسرائيلى ويرتدى ملابس نقيب ذى الثلاث عصايات الصغيرة على الكتافة ٠٠٠ هذه هى اللحظة التى حاولت تخيلهـا كثيرا منذ أن قبضوا على لاول مرة ٠٠٠ جاء ميعـاد اختبارى ٠٠ اجمـع شجاعتك يافتى ٠٠ لملم نفسـك ٠٠٠ فلتفرض احترامك عليه ٠٠ لست أقل منه فى شىء ٠٠

نظر الى باندهاش ٠٠ وقال :

ـ أنت مصرى ٠٠٠

ـ نعـم ٠٠٠

ـ لا ٠٠٠ ملامحك تدل على انك لست مصريا ٠٠٠

ـ لماذا ٠٠٠ ؟

ـ لا أعرف ٠٠ ولكن عندى احساس بأنك لست مصريا ٠٠٠

كان من الممكن ان تغضبنى هذه الاسئلة ٠٠ لولا أننى تعودت عليها ٠٠ فكثيرون يقولون لى مثل هذا الكلام ٠٠

ـ مصرى ٠٠ أبا ٠٠ وأما ٠٠ وجدودا ٠٠

قلتها وأنا ابتسم لماذا ياترى بدأ حديثه بهذه البداية الغريبة ٠٠ قد يكون لاننى اول مصرى يقابله وذقنه محلوقة وملابسه نظيفة ٠٠ وحالته النفسية مرتفعة ٠٠ مجرد مصـادفة ٠٠ وقد يكـون لان ملامحى أقرب للشاميين ٠٠ وقد يكون ٠٠

ـ اسمك .. وحدتك .. تاريخ ميلادك ...
أسئلة عادية تماما ومسموح لنا بالرد عليها مفصلا ...
ـ ما رأيك فى الحرب ... ؟؟
ـ شىء سىء جدا .. أن يقتل انســان .. انسانا أخر .. أو أن يهدم انســان أعمال وعرق اناس آخرين ...
ـ ولماذا تحارب ... ؟؟
ـ لانكم اجبرتمونا على الحــرب ...
ـ لقد ابتدأتم الحرب باغلاق مضيق تيران ...
ـ الحرب أبتدأت بتصف الطيران للمطارات ...
ـ يا حبيبى مضيق تيران يشكل حيـــاة أو موتا بالنســبة لنا .. ومستحيل أن تغلقوه وتجمعوا فى سيناء الآف المقاتلين ولا نقوم باجراء وقائى .. بذلك تصبحون أنتم البادئين بالحرب .. ويؤكد ذلك سحبكم للبوليس الدولى ...
ـ كان ذلك بسبب حشدكم لقواتكم امام سوريا ...
ـ والله ... والله ... لم نحشد قوات .. لقد أخذنا سفراء جميع الدول على الحدود وأطلعناهم على الوضــع وطلبنا من ســفير روســيا أن يذهب ولكنه رفض .
ـ حشدتم قواتكم امام سوريا ...
ـ ماذا أقول أكثر مما قلت .. ستعود لبلدكم وتعرف أننا لم نحشد.. بالمناسبة هل والداك أحياء ...
ـ نعــــم ...
ـ أوحشـــــوك ...
ـ متعودان على ذلك .. وانا متعود على أن أعيش بعيدا لمدد طويلة ..
ـ ربنا يرجعك لهم بالسلامة ...
ـ أرجو ذلك ...
ـ كلامى العربى كويس ... ؟
ـ ليس رديئا ...
ـ تعلمته من أصدقاء فلسطينيين هنا ...
ـ لك أصدقاء عرب ... ؟
ـ كثيرون ...

وكيف يعيشون ... ؟

ـ كويس .. بنعمل لهم مدارس ومستشفيات .. ونعطيهم عملا .. ولكن احمد سعيد وهيكل .. والكلام الكثير .. يجعلهم باستمرار غير راضين ..

ـ أحمد سعيد وهيكل فقط .. وأرضهم ومنازلهم .. وحياتهم ...

ـ من بقى منهم تركنا له أرضه .. وتركنا له وظيفته وعائلته .. ولكن الذى ترك ارضه اخذناها لتعميرها ...

ـ ولماذا ترك أرضه .. لانه خاف على حياته منكم ...

ـ والله فكرتك مش مضبوطة بالنسبة لهذا الموضوع .. فى سنة ٤٧ احنا خرجنا بعربات معلق عليها ميكروفونات .. وكانت تنادى لا تغادروا أماكنكم ... لن نؤذيكم .. لكن زعماءهم قالوا لهم أسبوع أو أكثر وتدخل الجيوش العربية وينتهى الموقف ولذلك تركوا الارض على أمل الرجوع فوق مدرعات الجيوش العربية .. ما ذنبنا فى هذا (لم أكن أعرف تفاصيل هذا الموضوع جيدا ولذلك فلم استطع الرد وحاولت أن اتخلص من المأزق فسألته) .

ـ انت متزوج ... ؟

ـ نعم ... وزوجتى فنانه ...

ـ أى نوع من الفن ... ؟

ـ رسامة ...

ـ بترسم كلاسيك .. أم مودرن ... ؟

ـ مودرن ... انت بتحب الرسم .. تعرف ترسم ... ؟

ـ افهم ... واتذوق ...

ـ بتحب السيرياليزم ... ؟

ـ ولماذا السيرياليزم بالذات .. افضل التكعيبية والتأثيرية .. والتعبيرية ..

ـ انت بتفهم كويس فى الرسم .. احنا عندنا مدارس ورسامين كبار ...

ـ ونحن ايضا ...

ـ انتم بلدكم فنونها قديمة .. من خمسة آلاف سنة .. أما الان فهى متخلفة ..

ـ معلوماتك غير صحيحة تماما ·· فلدينا كليات فنون ومعـــاهد موسيقى وباليه ومسرح وسينما وأساتذة لهم معارض ·· وينالون جوائز كثيرة فى المعارض العالمية تصوير ·· ونحت ·· وعمارة ··

ـ قد يكون هذا صحيحا ··· ولكن الموسيقى ضعيفة ···

ـ لماذا ··· لدينا موسـيقى كلاســيك ·· وموســيقى حديثة ·· واوركســترا سيموفونى

بدهشــه ـ هل تعرف الموسيقى الكلاسيك ··· ؟

ـ بالتأكيد ···

باختبار ـ من من المؤلفين تحب ··· ؟

ـ تشيكوفسكى ··· ريمسكى كورسكوف ·· بتهوفن ·· موتسارت·· خاتشاتوريان ·· باخ ···

ـ هل تسمع لباخ ···· ؟

ـ نعم ·· سبستيان باخ ···

ـ شىء غريب ··· الم اقــل لك انك لست مصريا ·· المصرى يحب ام كلثوم ·· وعبد المطلب ··

ـ وما الغريب ·· نحن شــعب له حضارة عمرها أكثر من خمسة آلاف سنه ·· من عندنا نشأت الحضارة ··· نحن الذين علمنا العالم ·· ومرتان ·· فى البداية وفى العصر الاسلامى ···

وابتدأت نظراته تتغير ·· لم تعد نظرات الدهشــة ·· ولم تعد نظرة تواضع من انسان متقدم لاخر متخلف من شعب متخلف ·· وســعدت لهذا التغيير فلقد فرضت عليه أحترامى نجحت فى تحـويله من مســتجوب الى متعجب ·· وخطرت لى فكرة لماذا لا ابعــده عن الهــدف الذى أحضرنى من اجله ··· وفى نفس الوقت أقنعه بأننا لسنا شعبا متخلفا لاننا هزمنـــا أعجبتنى هذه الفكرة ·· وحاولت أدارة الحديث كلما حــاول أن يفرعه الى الناحية العسكرية الى حديث آخـر ·· عن الفلســفة ·· والعــلوم ·· والفنون ·· والاجتماع ·· والسياسة والتاريخ ·· والحضارة ·· أفــرع عديدة متنوعة كانت تزيد نظرات الاحترام الممزوجة بالدهشة كلما تكلمت عن سارتر ··· وهيجل ·· وبرتراند رسل ·· وفرويد ·· وداروين ·· حتى حضر من ينبئه بانتهاء الوقت ·· وتركنى ولم يأخذ المعــلومات ·· التى يريدها ·· وخرجت لاحاسب نفسى ·· ما الذى فعلته ·· هل هــذا وقت

استعراض معلومات .. هل ما فعلته كان صوابا .. ؟ أم خطأ .. ؟ لماذا تصرفت بهذه الطريقة . اعزاز وطنى .. محاولة للتغلب على الشعور بالنقص عن طريق الاستعراض ... فخ نصبه بمهارة رجل المخابرات ليتعرف من أنا .. قد يكون .. ولكننى تعلمت درسا .. وهو ألا أخاف المستجوب .. هو رجل .. وأنا رجل .. ولا فارق ...

وفى هذه الفترة تغيرت الحياة فى المعسكر تماما .. فلقد ردم الاسرائيليون دورة المياه المفتوحة والتى أستعملناها فى بداية حضورنا للمعسكر .. وفتحوا دورة المياه الاساسية .. وهى دورات تشبه اى دورة فى معسكر مصرى .. ولكنها قذرة جدا .. وسمحوا لنا بأذاعة ترفيهيه صباحا لمدة ساعتين .. ومساء قبل أغلاق العنابر .. وكانت أول أغنية نستمع اليها فى أسرنا .. أغنية لمحمد عبد المطلب .. وأنا مالى .. وأنا مالى .. عمر الايام م حتحلالى طول م أنت بعيد عنى يا غالى .. وصحنا جميعا كأننا متفقون .. أولاد الكلب ...

ثم أغانى لام كلثوم .. فات الميعاد .. وبقينا بعاد ..

متصبرنيش ... م خلاص ... أنا فاض بيه ومليت ..

وأغانى لشاديه .. سلامات ... سلامات يا غايب عنى ...

كلها أغانى تزيد الحنين الى الوطن .. وتزيد التساؤلات .. متى سنعود ... لتكون شرخا فى أعصابنا .. وتزيد توترنا ...

وفى بعض الاحيان كانوا يذيعون بعض الموسيقى الراقصة قبل فترة الغذاء ... والمجندات الاسرائيليات ذاهبات الى المطعم .. يرقصن وهن ما شيات .. (تاكيلا .. ورقصات أخرى ..)

وزادت الدعوات للاستجواب .. وأمدوا مكتبة المعسكر بكتب أخرى تتحدث عن النصر العسكرى الاسرائيلى ثم مجلة نيوزويك الامريكية .. وهى تحكى قصة الانتصار .. مصورة موشى ديان .. فى المقال الرئيسى وعنوانه « الرجل الذى حول القطط الى سباع » ... والمقصود بالقطط

هم جنود الجيش الاسرائيلي الاحتياط فى الاغلب ·· وهى اشارة الى انهم مسالمون ·· ولكن فى وقت المعركة يتحولون الى سباع تحت قيادة السبع الاكبـــر ··

كذلك وفى هذه الايام احضروا لنا كروت صغيرة لنكتب عليها مالا يزيد عن عشرين كلمه لاهالينا ·· وكان خطـــابى الاول ·· « مازلت أعيش على ظهر الارض » ·· وفى هذه الفترة أيضا ·· أحضروا لنا مجـــلات جنسية امريكية كلها صور جنسية عارية ··

وهكذا خففوا الضغوط قليلا ·· فأصبح فى استطاعتنا اغلاق النـــور فى المســاء دون تهديدات ·· ولم نعد نستمع الى الطلقات الليلية للحراس ··· وصاحب ذلك تطور فى الطريقة التى نعيش بها ·· انتهى حديث الحرب ·· أو قل الى حد كبير ·· وابتدأنا فى الحديث عن وســـيلة للترفيه وقضــاء الوقت ·· وتحولت الاحاديث تدريجيا الى الحـــديث عن الســـينما ·· والجنس ··· والنكت الجنسية ·· والمغامرات العاطفية · والاغانى الخليعة كل يحاول أن يعوض النقص الذى أصابه بالمبالغة فى مغامراته ·· بالاضافة لمــا دار فى الاستجوابات · ثم ابتدأنا فى عمل كتاشين من علب السجائر ·· وشطرنج من لبابة العيش ···

فى الاستجواب الثانى ·· طبقت ما تعلمته من الاستجواب الاول ·· الملابس المنظيفة ·· وحـــلاقة الذقن ·· والابتســـامه الواثقة ·· واستقبلنى فى هذه المره لجنة ·· ضابط ومترجم ومتفرج ·· وأوراق كثيرة ·· استجواب عسكرى هذه المرة ···

ـ ماذا كنت تعمل ··· ؟

ـ ضـــــابطا ···

ـ أى كتيبه ··· ؟

ـ كتيبة مهندسيين ··

ـ معلوماتك الهندسية ··

سؤال مباشر بماذا أرد ·· لا استطيع اللف او الدوران حوله ···

ـ أنا ·· انا دخلت الجيش منذ مدة قريبه ···

ـ ماذا تعـــرف ···؟

ـ أعرف كل شىء ·· ولكننى لا أتقن شيئا ·· معرفة سريعة ···

ـ أنت رائد ... معنى ذلك انك مسئول ... ؟

ـ المهندسون يصبحون روادا سريعا ...

ـ مدة عملـــك ... ؟

ـ ســـنه ...

ـ وفى خلال هذه السنة تصبح رائدا ... ؟ !

ـ أضافوالى مدة خدمتى السابقة فى وظيفة مدنية ...

ـ ما نوع تخصصك ... ؟

ـ معمــــارى ...

ـ بتبنى عمارات فى الجيش ... ؟

ـ مبانى صغيرة .. بوابة .. مخزن .. سلاخليك .. سجن ..

ـ واين كنت تعمل وانت مدنى ... ؟

ـ فى سيناء .. نفذت كل المبانى الموجودة هنـــاك .. فى العريش ورفـح والشيخ زويد وبير العبد .. المدرسة الابتدائى هناك .. ومدرسة الصنايع فى العريش .. قطع خديثى بصراحة ...

ـ ما معلوماتك عن رص حقول الالغام ... ؟

ـ مش فاهم ... !!! محاولا أن اعطى نفسى فرصة للتفكير ...

ـ كيف ترص حقل الغام بواسطة الافراد .. بواسطة معدات ... ؟

ـ بواسطة الافراد ...

ـ وما الطريقة ... ؟

ـ عـــادى ...

ـ ازاى بتسجلها ... ؟

ـ فى الســـجل ...

ـ ايه اللى بتكتبه ... ؟

ـ املأ الخانات الموجودة ...

ـ مش عيب عليك تبقى رائد طويل وعريض وتكذب ...

ـ كيـــف ... ؟

وفتح درج مكتبه وأخرج مذكرات الفرقة الاساسية وكتاب الالغام .. وقـــال :

ـ هذا هو المستوى الذى تدرسه •• وهذا هو كتابكم •• لمــاذا تكذب •• ؟

أخذتنى المفاجأة بصورة لم أتوقعها •• ولكننى اسـتجمعت نفسى سريعا وضحكت قائلا ••

ـ فى الحقيقة •• اللى بيرص الالغام كتائب متخصصة •• أما أنا فلم أرصها أبدا ••

ـ كيف تعمل طريق ••• ؟

ـ بالجريدر •• والبلدوزر •••

ـ وعندما تكون مفككة ••• ؟

ـ نضــع طـوب وزلـــط •••

ـ ألا توجد طـرق أخرى ••• ؟

ـ توجد طرق كثيرة •• تعرفهــا كتائب الطرق •••

ـ وماذا تعـرف أنت ••• ؟

ـ أعـرف كل شـــىء ••••

ـ ماذا كنت تعمل •• فى الجيش ••• ؟

ـ لم أعمل أكثر من سنة •••

ـ فى هذه السنة ماذا عملت ••• ؟

ـ كنت فى الكلية الحربية ثلاثة شـهور •• والباقى فى المدرسة •••

ـ التى فى الحلمية ••• ؟

ـ نعم •• أخذت فيها الموجود فى هذه الكراسـة •• ووصلت كتيبتى منــذ شـــهرين فقــط

ـ ماذا عمـلت هنـــاك •••• ؟

ـ بنيت بوابة •• وميز للضباط •••

ـ العمـل العسكرى •••

ـ مفـــيش •••

وهكذا درنا فى دائرة مفرغة •• ننتهى من حيث بدأنا •• وكان يتخلل الحديث أسئلة عن حالتى النفسية وأهلى •• وهل تريد أن تراهم (بلهجة تهديدية) كأنما يقول لى اننى لن أراهم الا اذا تكلمت •• ومع اننى فهمت ماذا تعنى هذه اللهجـة •• ومع علمى أيضــا بأن تفاصـيل عملى مكتوبة فى الدفاتر والكتاب اللذين أمامه •• الا اننى لم أستطع أن أنطقها لعـدو بلسانى •• بنفسى •• تطوعا •• حتى بدون ضغط •• حقا هو يعـرفهـا

جيدا .. ولكن من يعلم لماذا يسألنى هذه الاسئلة .. وطغى هذا السؤال على قشرة عقلى .... فسألته ...

ـ امامك الكتاب والمذكرات .. وتستطيع أن تعرف منها الاجابات الصحيحة ... على كل سؤال تفصيليا .. فلماذا تسألنى .. ؟

فوجىء بالسؤال وتردد قليلا ثم قال :

ـ مجرد اجراء روتينى لأتأكد من انك مهندس ..

شىء غريب لا يمكن أن يكون اجراء روتينياً .. المقصود شىء أخر .. لا أعلمه .. اكتشفته بعد ذلك عندما داومت على التفكير .. وبعد عدة ظواهر أخرى ربطتها ببعضها ببعض أهمها انهم يبحثون عن المهندسين الذين رصوا حقول الالغام .. ليساعدوهم فى أزالتها .. وهنا فهمت لماذا يصرون على حقول الالغام .. ويعود لها بعد عدة اسئلة .. لقد نجوت ان الاصرار على مصلحة الوطن الفطرية ما هو الا أصرار على المصلحة الشخصية ضمنيا ... لو أننى اعتبرت الكتاب والمذكرة ببساطة سببا لان اتكلم لأصبحت مثل الفتاة التى يعتدى عليها غصبا بواسطة مجنون او سكران فتتحول الى بائعة هوى .. الم تغتصب .. ؟ .. ما الداعى للشرف الان .. الم تقع فى أيديهم الكتب والمذكرات ما الداعى للسكوت الان .. ولكننى لو فعلت ذلك لكان جزائى يتناسب مع مقدار قصر نظرى .. لكان جزائى أن أقف الايام الطوال .. اساعد العدو على التخلص من الالغام التى نصبتها له .. لكان جزائى الاستنكار من نفسى ومن مجتمعى وقومى .. وازدرائهم لى .. ا م لبائعة الهوى التى أعتدى عليها يوما غصبا بواسطة مجنون ..

ومنذ هذا الاستجواب ومع انتهائه .. انتهى تماما سؤالى عن المعلومات العسكرية ولا اعرف السبب .. بل الاعجب أن كل المستجوبين بعد ذلك كانوا يعاملونى على أننى ضابط احتياط ..

جاءنا زميل بعد الاستجواب مصفر الوجه منفعلا أنفعالا شديدا ..

ـ ماذا حدث ..... ؟

ـ أولاد الكلب ....

ـ ماذا حدث .... ؟

ـ سـألونى عن جهـاز لاسلكى معين فاستعبطت ٠٠ احضروا كلبـا ضخما ووضـعوه أمامى ٠٠ أيدى الكلب فوق كتفى ٠٠ ودخلت سيدة مجندة اسرائيلية وبصقت فى وجهى ٠٠ وقالت لى ٠٠٠٠ هـل انت رجـل ٠٠٠

ـ ياه ٠٠٠٠ وبعـد ٠٠٠٠

ـ ركبنا فى عربة جيب حتى البحـر ٠٠ نزل منها جنديان وحفـروا حفرة عميقة على الشـاطىء قالوا لى دى مقبرتك ٠٠ سـندفنك هنـــا ٠٠٠

ـ مش معقـول ٠٠٠٠ !!

ـ بعد ذلك أرجعونى وقالوا ٠٠ فكر وستتكلم ثانية الساعة الرابعة٠٠ ٠٠٠٠٠٠

وهاج الزملاء ٠٠ قد يتعرض اى منا لهـذا الاستفزاز ٠٠ وذهب الرائد صفوت الى قائد المعسكر ٠٠ وقائد المستجوبين ٠٠ مقدما احتجاجا ٠٠ ألم تقولوا انكم لن تضغطوا على احد فى استجواب ٠٠ ألم تقولوا انكم لسـتم برابرة لتستجوبوا بهذه الطريقة ٠٠ سـنقدم احتجاجا للصـليب الاحمـر ٠٠ وكانت النتيجـة اعتذار عمـا حدث ٠٠ وانتهت القصـة ٠٠ وأن ظلت تتداول مـدة طـويلة ٠٠

زميل اخر جاءنا يضرب كفا بكف ٠٠ هل تتخيلون ٠٠ قلت لهم اننى رئيس عمليات كتيبه فقالوا لى لا أسمك كذا ٠٠ ووظيفتك كذا ٠٠ ثم أخرج ورقة من مكتبه وقال وهذه امضـاؤك ٠٠ ثم فرد خريطة رسمتها للدفـاع المضـاد للطيران فى منطقة أبو عجيـلة وقال لى ٠٠ وهـذه خريطتك ٠٠٠ أحضروا الخريطة التى رسمتها ٠٠٠

وكذلك أحضروا لبعض الزملاء ٠٠ خرائط مصورة بالطائرات لمناطق ايواء القوات فى القاهرة وعلى القنال وأخذوا يضعون على الاماكن اسـماءها ٠٠ وخاصة مصانع وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات ٠٠٠

اصبحت لحياتنا ما يشبه الشكل المستقر حتى بداية شـهر يوليو ٠٠ اغانى وبعض الموسيقى ٠٠ ثم استجد فى نهاية المدة نشرة الاخبار فى تمام الثانية عشر من صوت اسرائيل أو الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية

أو ما يشبه ذلك .. وسمحوا لنا بخطاب كل شهر وكارت كل خمسة عشر يوما .. وأغرقوا المعسكر بجليدتين يوميتين .. احداهما باللغة الانجليزية وتسمى الجورزلمبوست وهى جريدة ناطقة باسم الحكومة الاسرائيلية .. وأخرى باللغة العربية وأسمها جريدة « اليوم » وهى تصدر للمناطق المحتلة

والجورزيلم بوست جريدة غير مبتذلة بالمقارنة بجريدة اليوم .. وان كانت موجهة ومعبرة عن وجهة النظر الاسرائيلية فى جميع القضايا .. وتصادف مرور خمسين عاما على مؤتمر بازل ونبوءة هرتزل بقيام دولة اليهود فى فلسطين بعد خمسين عاما .. ولذلك أصدرت الجريدة ملحقا خاصا عن نشأة اسرائيل .. ومنها عرفنا بقرارات مجلس الامن والسفير يارنج والانواط التى منحت للجنود والضباط الاسرائيلين ومعظمها نتيجة للعمل الباسل الذى قاموا به لانقاذ جريح أو احضار جثة زميل اثناء القتال ...

أما جريدة اليوم فهى جريدة ، مبتذلة وحقيرة جدا .. لا تتورع عن (الحكم فى مصر خصوصا وتشويش الحياة فى الدول العربية عامة .. ونقد (لاشتراكية اللبن المخلوط بالماء فى مصر) والتشكيك فى احتمال تدرة الجيش المصرى على استعادة كفاءته القتالية فى المدى القريب وحددت بناء على رأى قائد عسكرى أمريكي بأن أقل مدة لذلك هى أربع سنوات .. وكان من النادر أن تمسك عددا ولا تجد فيه سبا مباشرا لعبد الناصر ...

وهذه الجريدة رفضتها العناصر الواعية بالمعسكر وقبلتها بعض العناصر المهزوزة التى كان يحلو لها قراءتها واستعذاب آلام الاهانة ...

واستقر نظام الحكم المحلى للمعسكر وأصبح لهيئة القيادة حجرة كبيرة يسكنها حوالى خمسة ضباط يخص كل منهم مكان أكبر .. وأصبحوا يتمتعون ببعض الامتيازات الصغيرة فى هذه الظروف جعلتهم متميزين عنا .. فهم لا ينظفون حجرتهم أو يغسلون أدوات أكلهم .. أو ملابسهم .. بل يقوم بها بعض الجنود المصريين المخصصين لخدمتهم وكميات أكلهم أكبر كثيرا .. ولكنها حياتنا ومجتمعنا .. نقلناها معنا الى الاسر ...

وتحولت أحاديث الضباط كما قلت بعيدا عن الحرب .. وزادت التحرشات ... والمشاجرات السباب لأتفه الاسباب بين الضباط ..

وانتشرت النكات التى تروج لها المخابرات الاسرائيلية ٠٠ مثلا قولوا لعين الشمس ما تحماش ٠٠ لحسن دا جيشنا المصرى راجع ماشى ٠٠٠

كذلك حدث تغيير هام ٠٠ وهو عودة الاسرى الاردنيين ٠٠ والسوريين ٠٠ ولم يبق بالمعسكر سوانا ٠٠ أسرى ٠٠٠

والان فلنحاول أن نتصور سويا ٠٠ يوما من ايامنا فى المعسكر ٠٠ فى الحجره رقم ١٠ ٠٠ حيث ينام ستة عشر ضابطا ما بين رائد وملازم حديث التخرج ٠٠٠

الساعه السابعه صباحا :

أحدهم يستيقظ ويضحك بصوت عال ٠٠ ثم يصمت فجأة ٠٠ ويزغد الضابط المجاور له ٠٠ قائلا ٠٠

ـ انظر اليسوا أمواتا ٠٠ احنا خلاص متنا ياسادة ٠٠

آخر ـ اصطبح وقول يا صبح ٠٠ من الصبح وانت تنعق كده ٠٠

آخر ـ هو الواحد ميقدرش ينام ساعة ٠٠٠٠

آخر ـ قوم ياسى زفت أغسل الاوانى النهارده دورك فى الغسيل والفطار زمانه جاى ٠٠

آخر ـ علشان خاطرى اغسلهم بدلا منى ٠٠ انا تعبان وقرفان ٠٠٠

آخر ـ هو انت الوحيد الذى لك أهل ٠٠ م كلنا متجوزين ولنا أولاد ونسوان وأباء وامهات ٠٠٠٠

ـ أنا متصور أن الصليب الاحمر الذى أخذ خطاباتنا مزور ٠٠ ولم يرسلوا الخطابات

ـ السوريون والأردنيون مشيوا ٠٠ ليه احنا فاضلين ٠٠٠

ـ البنى آدم فى مصر لا ثمن له ٠٠٠ ولا قيمة ٠٠

ـ لو أن بيننا ابن وزير والا اخو واحد كبير كان زماننا فى مصر ٠٠٠

ـ حتى دى عايزه وسايط ٠٠٠٠ ؟

ـ سلفنى صابونتك اغسل وشى ٠٠٠

جنديان يحملان قزانا كبيرا ومعهما ضابط يقفون على باب الحجرة ٠٠

ـ الفطار يا حضرات كل واحد ياخد أكله ٠٠٠

ـ أين كوزى ٠٠ عايز أخذ شاى ٠٠٠ انتم متغاظين من كوزى لانكم لا تملكون مثله ٠٠٠

ـ بطل بقى ‥ كوزك مرمى وراء جزمتك …
ـ ارمى الدبش بتاعك … يا فتاح يا عليم ‥
ـ لا ‥ العيشة معاكم متنفعش أنا حاشوف ناس غيركم ‥
ـ قوم يا عاطف … عشان تاكل …
ـ سيبه ده سهران طول الليل بيولع سيجارة من سيجارة …
ـ هى دى سجاير دى ‥ قش ملفوف فى ورق …
ـ فينك ياكيلوباترا …
ـ احنا ياجماعة لازم نشغل وقتنا بحاجة مش معقول كده حنموت من الملل والفراغ .
ـ والله الواحد منكم لويؤدى تعليمات دينه عمره ما حيلاقى فراغ ‥ صل واقرأ القرآن وستجد السكينة …
ـ من أين نحضر القرآن … ؟
ـ سأطلبه من المستجوب عندما أذهب له …
ـ قل لى يا سيدى انت بتروح كتير هناك ليه … ؟
ـ ناس بتحبنى ‥ أنت مالك ‥ على الأقل بشرب سيجارة نظيفة وكازوزه مثلجة وشاى فى كباية …
ـ تعال أعلمك البوكر …
ـ انت متصور ان الكوتشينه بتاعتك دى كوتشينه …
ـ مش أحسن من مفيش …
ـ تعال نتمشى فى الخارج …
ـ تعال نزور الدكاتره ‥ فى حجرتهم …
ـ أنت يا واد انت قد أولادى ‥ انت نسيت انى قائد كتيبتك … ؟
ـ يا عم لما نروح لمصر ابقى حاكمنى ‥ هنا كلنا أسرى …
ـ عيب يا محمد ده القائد بتاعك برضه …
ـ والنبى تسكت يا فندم ‥ أصلك متعرفهوش ‥ انا عارفه كويس
ـ … يخرب بيتك كل ده علشان طمطمايه ياولد …
ـ آه كل مرة ياخد الطمطمايه الكبيرة ‥ ويسيب الصغيرة لى ‥
ـ طمطماية أيه ياولد ‥ الطمطماية دى ملهاش قيمة ‥ شوف الواد الدنى ‥
ـ فى مصر عندك الفدادين والعمارات والفلوس فى البنك ‥ لكن هنا الطمطماية هى العمارات والفلوس ‥ خلى فدادينك تنفعك …

ـ برضه الأصل غالب ·· من يوم ما دخل الحربية أولاد الشحاتين وهى كده · على أيامنا كنت تحب تتفرج على أيام الجمعة والزيارات ·· أحسن العربيات · وبوفيهات التورتات والجاتوهات ·· وأميرات مصر وجميلاتها ·· وفرقة مزيكة باللبس الرسمى ·· ناس اعينهم مليانة ·· مش أولاد الشحاتين اللى بيتكلموا عن طمطماية ·· روح النهارده شوف الكلية الحربية ·· تلاقى البوابين والسمكرية هم الزوار ·· لدرجة أن أى افندى محترم يتكسف يزور قريبه ···

ـ يا عم بطلوا سرح بقه عايز تفهمنا انك ابن باشا ·· انت دخلت الحربيه سنه ٥٣ ·

ـ آه لكن أخويا دخل ٤٩ ·· ومادام أخويا قبل ٤٩ كنت حقبل أنا كمان لو كان الوضع زى ما هوه ···

ـ ياريت والله كان أحسن ··

ـ هس ·· هس ·· كان زمانك النهارده خالى شغل ··

ـ مش أحسن من الرمية المهببه دى ··

ـ ان شاء الله حيعوضوك كويس بعد ما ترجع ···

ـ الاسرى فى ٥٦ أخذوا مرتباتهم بالكامل وشهرين مكافاه ·· وهدايا وحفلات وتعويضات ····

ـ لكننا فى ٥٦ كنا منتصرين مش زى الخيبة السودة دى ···

ـ يا عم انتصار أيه ونيلة أيه ·· انت بتصدق يعنى لو كان الانجلير والفرنسيين عايزين يموتونا واحد ·· واحد ·· كنا حنقدر عليهم ··

ـ انتم لسه عمالين تتكلموا ·· أنا استحميت وانتم عمالين تتخانقوا

ـ استحميت فين ··· ؟

ـ على الحنفيه ···

ـ قدام الناس كده ···· ؟

ـ اذا كنت بقضى حاجتى قدام الناس ·· حيغلب علينا أن نستحمى أمامهم ·· ولا فى النظافة لا ··· فاضل الواحد يحلق ·· وأحط الكولونيا التمام ··· والبودرة ·· واسرح شعرى ·· وتلبس الجلابية الدبلان بتاعة أخوك شلبى ·· يا سيد متحلمش ·· أحنا هنا كوم زبالة ··· دى مزبلة ·· عايش فيها خنازير ··

ـ يا جماعة ·· يا جماعة ·· الواحد يعنى ميعرفش ينام ···

ـ قوم يا معلم الساعة بقيت الحادية عشرة ٠٠٠

ـ قوم بينا نسمع الاخبار ٠٠٠

ـ خليك أنت علشان تاخذ لنا الاكل ٠٠ غسلت مكان الفطور ٠٠٠ ؟

ـ الميه انقطعت قبل م الحق ٠٠٠

ـ يا أخى حتفضل كسلان كده لامتى ٠٠ مش قادر حتى تخدم نفسك

ـ أصله ابن بهوات ٠٠ كان عنده ثلاث مراسلات فى المكتب يا سيدى

ـ نصف السرية كانت مراسلاته ٠٠٠

ـ هو حد وصلنا لعتليت الا اللى زيه ٠٠٠

الســاعه الثانية ظهـرا :

ـ الضباط يخرجون من حجراتهم ٠٠ ويتدفقون الى واجهة المعسكر أمام السور حيث يوجد الميكروفون ليستمعوا الى نشرة الاخبار ٠٠

تعليقات مختلفه على الاخبار ٠٠ كل كلمة تفسر لاكثر من معنى ٠٠ مناقشات متوترة ٠

الغذاء ٠٠ علب الخضار المحفوظ التى أخذوها من الحرب وأرزنا أيضا أو مكرونة ٠ لا فاكهة ٠٠ اللحم فى حدود ضيقة على هيئة كفتة أو بلوبيف ٠٠ طابور الغسيل ٠٠ كل يحمل أوانيه ويقف أمام حنفيات المياه فى أنتظار دوره ٠٠٠

الســاعه الان الخامســه :

بعد ساعة ستقفل علينا الأبواب ٠٠ هذه الساعة هى الفرصة الوحيدة للتجول خارج الحجرات حيث يصبح الجو صالحا للمشى ٠٠ كل ثلاثة أفراد أو أربعة ٠٠ يسيرون معا ٠٠ اذا أقتربت منهم تستمع الى كلام متباين ٠٠ فلنقترب من هؤلاء ٠٠٠

ـ الجو جميل جدا ٠٠٠

ـ شايف الالوان فى السما ٠٠٠

ـ الحياة حلوة لكن احنا اللى جايبين القرف لانفسنا ٠٠٠

ـ لماذا لا نعيش فى سلام ٠٠ هل يجب أن نكون دولة عظمى ٠٠٠

ـ والله انا مليش فى الطور أو الطحين كنت مدنى وحتجوز جرونى ٠

ـ انا أتجوزت الشهر الماضى ٠٠ كنا فى شهر العسل ٠٠ مراتى حامل ٠٠ يا عالم ٠٠

ـ والدى كان مريضـــا ·· ترى ماذا حدث له ··· ؟

ـ تلاقيهم ولا حاسين ·· احنا بس اللى طالع عنينا ···

ولنتقرب من هؤلاء ···

ـ انت فاكر اللحن ده ·· ويصفر بفمه ···

ـ آه بالطبع « سترانجراين زى نايت » ···

ـ أعيدها الغنوه دى ····

ـ شـوف كلماتها ·· « اتنين تايهين فى الظـلام ·· يتمنيان الحب والســـعادة ·· شىء ما فى عينيك جذبنى اليك ·· شىء ما فى ابتسامتك أثارنى للغاية ·· شىء ما فى قلبى يقول انت لى ···

ـ أسكت من فضلك لا تقطعنى ·· احنا أصـلنا ذراعنه ·· شـوف الاطفـــال فى الجنـــاين تلاقيهم بيقطفوا الورد ·· حتى الوردة لا تســتطيع ان تعيش فى ســلام ·· الوردة الرقيقة الحلوة ·· احنا شــعب فرعون ··

ـ والله كـلامك مضـــبوط ··

ـ يا جماعة وحياة أبوكم تبطلوا السيرة دى ·· احنا حنفضل نشتم فى نفسنا كده لحد أمتى ···

ـ أصلنا نستحق الشتيمه ·· لازم النكسة دى تغسلنا من الداخل ·· لازم ننقد أنفسنا ونصلح بعض ·· ليه الطفل الصغير يقطف الوردة ·· ويضرب الطوبة فى لوح الزجاج ·· ليه ·· تعرف تقولى·؟

ـ ســمعت اللحن ده « لافام دى مون آميه » ·· زوجه صــديقى ·· احبك ·· أعبدك ·· انت النور الذى آراه ·· انت الحيـــاة ·· أكسبتنى السعادة والمحبة ولكن هناك عيب صـــغير أنك زوجة صديقى »

ـ النـاس دى بتجيب الكلام ده منين ·· ولا اللحن ·· علشـــان كده بيغلبوا ··· مش تعاليلى يا بطـه ···

ولنقترب من مجموعه أخرى ···

ـ وقلتله ادينى بق ميه ···

ـ ·· ·· ··

ـ قاللى لا ·· ليه يابنى ·· ده أنا حموت ·· ابن الكلب يقول لى ·· م هو يا انت " تموت يا أنا اموت ·· احنـــا كده ·· شـــعب مش متعاون ·· لو كان قلبنا على بعض وايدنا فى ايد بعض ·· مكنش حصـــل اللى حصـــل ···

- وحتروح بعيد ليه مشفتش الخناقة اللى حصلت على الأكل أول يوم.
- شـــايف الواد ده ...
- فـــين ...
- التخين ده أبو زنوبه ...
- آه ...
- بس اوعى تقول لحـد ...
- لا ...
- آه .... ده ... احنا لتاسرنا سوا . يوم ٨ يونيو .. جابوه اليهود وقعد يخطب فينا يا حضرات .. أنا ضابط مصرى زيكم .. متخفوش .. احنا خـلاص حترجع بلدنا بعد يوم أو اثنين .. لان اليهود مفيش بينهم وبينا حاجة ... اللى كان بينهم وبين عبد الناصر .. ويسرنى أن أزف لكم الخبر الجميل ده اللى كلنـا بنتمناه .. ان عبد الناصر .. تنحى .. اســـتقال .. مشى وبالشكل ده يصبح مفيش سبب للحرب .. وحترجع تانى لاهلنا واولادنا قريبا جدا ..
- مش معقول .. هو عبد الناصر استقال ... ؟
- آه انت متعرفش .. بس رجع تانى ...
- يا أخى اشاعة اسرائيلية .. احنا سمعناه بيخطب فى ٢٣ يوليو .. وانتم ... عملتم ايه ...
- كنا عايزين نقتله .. لكن ما باليد حيله .. اليهود بيحموه بالسلاح...
- وانت أيه رايك ... ؟
- زى ما قلت احنا شعب ميخافش الا بعنيه .. اللى يتجـــوز أمى اقوله يا عمى .
- ولنقترب من مجموعة رابعة ....
- أنا مش قلت من زمان .. من لا دين له لا شرف له ...
- حقيقى يا أخى البلد اللى تنسى دينها لازم يحصـل لها كده ...
- قول لى يا أستاذ .. أين الدين .. أين الصـلاة .. أين الفضيلة .. هل نعيش فى بلد اسـلامى ونستولى على أرض الناس وفلوسهم ومصانعهم اللى عرقوا وتعبوا فيها .. ربنا قال كده ..

ـ يا اخ والله الواحد كان بينكسف يركب الاتوبيس من الانحلال
٠٠ دى فوضى ٠٠ اخر زمن ٠٠٠
ـ ربنا مش راضى عنا ٠٠ ده انذار من الخالق عز وجل ٠٠٠
ـ لكن م اليهود كفرة ٠٠ لماذا ينصرهم علينا واحنا مسلمين وخير امه٠
ـ مين قالك ٠٠ مش يمكن يكونوا اقرب لله منا ٠٠ مش اليهودية
دين سماوى ٠٠ مش يمكن يكونوا بيطبقوا تعاليم دينهم احسن منا٠
ـ على رأيك ٠٠ على الاقل ما بيسجنوش مسلم علشان بينادى بتعاليم
دينه واحيائها ٠
ـ انت عارف لو الاخوان فى الحرب دى ٠٠ كانوا سيبوهم ٠٠ الواحد
من دول فى ٤٨ كان يطلع على اليهودى زى الوحش ينادى الله أكبر
٠٠ الله اكبر ٠٠ اليهودى يترعب يسيب سلاحه ويهرب ٠٠
سبحانه مغير الاحوال ٠٠٠

وهكذا تدور الاحاديث بين جماعتنا الصغيره كل اثنين كل ثلاثة كل أربعة ٠٠٠ نصبوا انفسهم قضاة ٠٠ وظلوا يرجمون المجتمع ثم يلصقونها بالنكسة ٠٠ بالحرب ٠٠ لقد هزمنا لاننا فراعنه ونماردة ٠٠ ومتخلفين نقطع الورود ٠٠ ولاننا لم نترك الاخوان يقتلوننا فى السينما والمسارح ٠ ولم نتركهم ينسفون لنا الكبارى ومحطات الكهرباء !!!

وتحل ساعة الحبس ٠٠ ويتجه كل منا الى غرفته ٠٠ الى سجنه ٠٠ فيؤدى حاجته أولا ٠٠ ويملأ أوانيه بالماء ٠٠ ويغسل وجهه ورجليه من التراب ٠٠ واخيرا ٠٠ يقف الحراس اليهود يصفقون بأيديهم ٠٠ انتهت الحرية فلندخل إلى الاقفاص ٠٠٠

الاضاءة طول الليل ٠٠ لاضوضاء ٠٠ الشبابيك مغلقة ٠٠ اذا مرض احكم فليناد على الحارس أقدم ضابط بالحجرة ٠٠٠٠
ـ مساء الخير ٠٠ مين أقدم الضباط ٠٠٠
ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠
ـ العدد كام ٠٠٠ ؟
ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

ـ أحاد ·· اثنين ·· ثالوث ·· رباع ·· خمشة ·· ســـباع ··
شســموني ؟··
ـ تصبحوا على خــير ···

وتغلق الابواب بالترابيس ·· ويوضــع عليها الاقفال من الخارج ··

الان نحن فى مواجهة انفسنا ·· وعلينا أن نقضى هذا اليوم ·· بيومى يقلد اليمنيين ·· الشيخ محمد يصلى بؤم المصلين ·· محمود والجنـدى وفايز ومحمد يلعبون بوكر ·· عاطف وعادل يتكلمون ·· حتى نسقط بالتتالى نائمين ·· واحدا ·· تلو الاخر ·· ونضع الجردل الذى نبول فيه ليلا خلف الباب ·· ويطفىء أخر الســاهرين النور ·· وننام ليبدأ يوم جديد ···

وتمر الايام الباقية من شهر يوليو حتى قرب نهايته وفى السبت الاخير من الشهر استدعى للاستجواب حوالى ٢٥ ضـــابطا مجتمعين ·· كانت ألاجراءات مخالفة للاجـــراءات المتبعة ·· أكوام من البنطلونات الجبردين البيج بكل المقاسات ·· قمصان بيضــاء ··· احذية بلاستيك ··

فســألنا ·· ما الموضــوع ··· ؟ وجاءنا الــرد ···

رجل طويل يلبس الملابس المدنية ·· ينادى علينا ·· وكل ٥ ضباط او اربعة او ثلاثة يســلمهم لاخر ··· وهكذا حتى تبقى ٦ ضــباط ·· أنا مهندس ـ وطبيب ـ ونائب أحكام ـ ومهندس مركبات ـ ضابط أشارة ضابط مدفعية ·· يوجد رابط معين يجمعنا اكيد ولكننا لا نشــعر ·· ارتدينا ملابســنا الجديدة ·· واستلمنا الرجل المدنى ومعه اخـر يحمـل حقيبة عرفنا بعد ذلك أن بها طبنجة ·· ركبنا ميكروباس ·· واتجهنا خارج المعسكر نحن فى طريقنا لزيارة أسرائيل ·· أول زيارة للاسرى المصريين ·· الدنيا غريبة بعد السجن الطويل ·· ها نحن نرى عربات مدنية ··· رجــالا ونساء وأطفالا يسرعون بعرباتهم فى اتجاه البحر ·· الميكروباس يقف بعد مدة قليلة ·· يلتفت لنا المرافق ويفرد خريطة لاسرائيل ···

صباح الخير ·· أول موضوع نتكلم فيه هو أننى أريد أن تنسوا أنكم أسرى ·· انتم الان ضيوف لاسرائيل ·· سياح ·· بالمفهوم ده نقدر نفهم بعض ونمضى يوما جميــلا ···

وقد يكون للضغط الشديد وفرصة التخلص منه ولو ليوم سببا لاننا جميعا ابتسمنا وقررنا فعلا أن نعتبر انفسنا سياحا ..

استمر فى كلامه .. هذه خريطة اسرائيل بعد ٥ يونيو .. (سـبـاح ايه الله يخرب بيتك هل هـذا كلام) وكأنه اكتشف ما يدور بفكرنا .. وأضاف الا اذا حل السلام فنحن مستعدون للرجوع الى الحدود السابقة .. وهذا المكان اسمه عتليت .. (كانت المرة الأولى التى نسمع فيها اسم المكان) نحن بجوار حيفا .. هذا جبل الكرمل .. زيارتنا سنصـعد الى جبل الكرمل .. وسنرى حيفا من اعلى ثم سنذهب الى كيبوتز بجوار حيفا وسنزور اخوانا عربا فى الناصرة .. ثم نتناول الغذاء على شاطىء طبرية .. وانطلق الميكروباس .. العربات حولنا تحمل العائلات للبحر .. الرجال والنساء بالمـايوهات فاليوم عطلة .. بلاج حيفا .. الشـماسى الملونة .. المايوهات البكينى .. الجيلاتى .. النظارات .. حياة عـادية .. كأنه لا وجود للحرب هنا .. العربة ترتفع فى طريقهـا الى اعلى الجبـل .. السينمات .. افيشات أفلام رأيناها فى القاهرة .. السيدات البيضاوات بالشورت .. بالميكروجيب .. بالمايوه .. العربات الصغيرة تملأ الجبل .. من هنا الطريق الى الجامعة .. هذا فندق مبنى على أحدث طراز .. مبانى جديدة منشأة على مدرج الجبل .. هنا نفق للمترو يصل الى حيفا أسفل الجبل .. وفوق ربوة عالية تطل على حيفا .. توقف الميكروباس .. نطـل على حيفا من أعلى .. جميله حيفا .. البحر الابيض .. نستنشق الهواء بملء رئتينا .. فناطيس بترول .. قبة ذهبية .. بشير اليهـا المرافق هذه مقبرة زعيم البهائيين . البهائية دين يجمع بين المسيحية والاسـلام مكانه الاصلى ايران .. ثم انتقل لحيفا .. يوجـد بهائيـون فى الدول العربية .. وفى الهند ..

رجل يحتضن فتاة بجوارنا .. منظر يخدر الاعصاب .. هذه مبانى المهجرين الجدد .. كل أسرة لها منزل تمتلكه وتسدد ثمنه على أقساط .. حيفا تشبه اى ثغر لكن جميلة .. الاسكندرية أجمل .. هذه لها طابع .. والأخـرى لها طابع آخـر .. لا .. الاسـكندرية اكثر جمـالا .. وأكثر حضارة .. وهل الاسكندرية على هذه النظافة ونسـبة الخضرة .. هـذه

تمتاز بالجبل المطل على البحـــر ·· حديث دار ســـــرا فى غفـلة عن المرافق ركبنا الميكروباس ·

المرافق ـ هل عندكم ما يشبه ذلك ··· ؟

زميـــل ـ لا ···

آخر ـ بل يوجد ·· المقطم ···

آخر ـ الاسكندرية مثل هذه وأجمل ···

آخر ـ المعادى ومصر الجديدة على نفس المستوى من النظافة ···

المرافق ـ الجبل كان مزروعا أشـجارا ·· لكن الانجليز فى الحـــرب العالمية حرقوه لانه قريب من البحر ويسهل التخفى داخله ·· بالمناسبة هـذا المبنى كان سجنا اقامة الانجليز أيام الاحتلال ·· لليهود ··

ـ الانجليز تركوا لكم البلد ·· وكان لكم حكومة ظل تحكم بجـــوار الحاكم الانجليزى ···

ـ أبدا كان الانجليز مستعمرين ·· ولقـــد حاربناهم ·· والعـــرب حاربوهم وكانوا دائما لا يفرقون بيننا ·· فى يافا ·· كان هنـــاك حى لليهود فى تل أبيب وحى للعرب فى يافا ·· فكان الانجليز يخطفون أطفـــال العرب ليتركوهم فى الحى اليهودى ·· ويخطفون اليهود ويقتلونهم فى الحى العربى ·· كى يزيدوا الاحقاد والتنازع ·· عبد الناصر بنفسه ذكر فى مذكراته أنه تكلم مع اليهود فى الفالوجا وسألهم كيف حاربتم الانجليز ·· نحن أولاد اسحاق ·· وأنتم أولاد أسماعيل ··· والاثنين أولاد ابراهيم ·· وطـول عمرنا بنعيش فى سلام ·· لماذا لا نعيش الان فى سلام سوف ترون أننـــا نبنى ونريد أن نبنى لكن بجوار كل مبنى وبجوار كل مصنع خندق ·· لـــاذا ؟

وصلنا الى الكيبوتزيم ·· مبانى حديثة الطراز ·· يستقبلنا رجـال بســطاء جدا بترحاب ·· الســيدات والفتيـات بالشـــورت والبـــلوزة والصندل ·· مستوى الجمال عالى ·· رجل كبير السن يستقبلنا بترحاب زائد ·· انه السكرتير العام للكيبوتز حاليا ·· هكذا نتعرف عليه ···

ـ اتفضلوا فى حجرة الاجتماعات ···

أطباق برقوق أحمر وأصفر ·· تفـــاح ·· كمثرى ·· نلتف حـــول المـائدة ·· تفضلوا انتاج مزارعنا ·· يتكلم عن لنظام فى الكيبوتز ···

استمعنا اليه واعيننا على البرقوق والتفاح والكمثرى .. فلقد طال حرماننا منها .. ولكن الكرامة البرجوازية كانت تمنعنا من ابداء هـــذه الرغبة صراحة .. لذلك فقد كنا نستمع اليه فارغى الصبر .. نريد أن ينتهي لنبدأ بالالتهام ...

ــ الحياة عندنا ديموقراطية .. كل الناس تشتغل .. كل الناس تعيش نفس العيشة الادارة والقيـــادة بالانتخاب .. وكل زوجين لهما منزل .. الأطفال فى منزل خاص بالاطفال تحت رعاية موحدة .. واكل موحـــد .. الاطفال لا ترى أباءها الا فى العطلات وبعد الظهر ساعتين .. الشابات فى منزل .. والشـــبان فى منزل .. وممكن يتزوجون .. ويكون لهم منـــزل منفصل .. لكنهم عادة يتزوجون من خارج الكيبوتز .. الخدمة فى المطعم بالدور كل فرد له مصروف شخصى شهرى من ٢ : ٣ جنيهات ملابسه على الكيبوتز بالطبع .. الارباح نزيد بها المنشئات ونرفع مستوى المعيشة .. جزءا أخر نعمـل به رحلات للخارج ... الناس تتفسح .. وتتعلم اشـــياء نافعـة للكيبـوتز ..

التعليم حتى المرحلة الثانوية .. وفنى حسب احتياجات الكيبوتز .. وهناك تعليم اكثر من ثانوى أيضا حسب احتياجات ومطالب الكيبوتز ..

ثم شعر بالملل الذى انتابنا .. فانهى محاضرته .. هل تريدون أن تسألوا .. شيئا . ؟

ــ متى أنشىء هذا الكيبوتز ... ؟

ــ سنة ١٩٣٩ .. واسمه .. ضاليا .. ولقد أنشىء بواسطة الوكالة الصهيونية بعد أن اشترتها من اصحابها اليهود وجعلتها ملكا للسكان .. وكان اسمها القديم «« جديرة » وانشائتها سنة ١٨٨٤ ولكنها لم تكن كيبوتز انما أصبحت ملكيات بمفهوم الكيبوتز ١٩٣٩ .

ــ لماذا لا يعيش الاطفال مع أهلهم ... ؟

ــ هنا كلنا نعمل .. الرجال والنساء .. والنساء حصـــلن على حقوقهن المساوية للرجل .. ومن لذلك لا يستطعن أن يتفرغن لأبنائهن .. لذلك تقوم مدرســات مدربات برعاية جميع الاطفــال ..

هامش (ان العائلة فى الكيبوتز تعتبر مجازى الى حد ما٠٠ اذ انه لا توجد حياة عائلية بالمعنى الذى نفهمه ٠٠ ويتضح من مراجعة تاريخ الكيبوتز أن قادة حركة الكيبوتز وروادها كانوا يعتبرون الزواج مؤسسة برجوازية مهترئة أو فاسدة لا تتناسب مع حياة الكيبوتز ومثلها وللقيم الاقتصادية والاجتماعية فيها « توقعت أن تقضى حركة الكيبوتز على الزواج والعائلة بالمعنى التقليدى » (سبيرو صفحة ١١٠) ٠٠ والواقع هو أن تغيير مؤسسة الزواج وضع « الرواد » أمام مشكلة مستعصية زادتها تعقيدا زيادة عدد الرجال على النساء بنسبة ٢ : ١ ٠٠٠ وقاموا بتجارب عديدة منها تعدد الازواج ٠٠٠ وتعدد الزوجات («سبيروا صفحة ١١) ٠٠ وكسروا طوق الحياء الجنسى فاسسوا الحمامات المشتركة ولكنهم لم يلبثوا أن تخلوا عنها ٠٠ وعلى أى حال فقد اعتبروا الجنس مسألة شخصية والزواج مسألة مزاجية ٠٠ لا تحتاج الى اذن أو مراسم من قبل المجتمع سواء فى مطلعها أو نهايتها ٠٠ وحتى يومنا هذا كل ما يحتاجه الزوجان لاعلان زواجهما هو التقدم بطلب غرفة مشتركة ٠٠ والغاء ذلك الترتيب عند الافتراق ـ وبذلك فالرجل والمراه لا يتزوجان بل يصبحان « زوجين » ٠٠ أى اثنين « ٠٠ والمراة لا تحصل على زوج بل على شاب أو رفيق والشاب لا يحصل على زوجة بل رفيقة ٠٠ صديقة ٠٠ ولذلك فالاطفال بهذا المعنى يصبحون ابناء للكيبوتز ٠٠ يعلمهم ويربيهم على الولاء المطلق للدولة والكيبوتز وكراهية الاعداء ٠٠ فاصلا اياهم عن أبويهم ٠٠ وأمثلة ذلك واضحة فى أكثر من قصة من قصص الجيل الجديد الاسرائيلى ٠٠ وخاصة ابنة موشى ديان) ٠٠

ـ ماذا تفعلون للرجل الذى لا يريد أن يعمل ٠٠ أولا يرضى عن العمل الموكل له ٠٠٠ ؟

ـ أولا النصيحة ٠٠ ثم توجيه النظر ٠٠ ثم الطرد بعد « الاجتماع العام

هامش : ان فلسفة الكيبوتز تقوم أساسا على فلسفة ا ٠ و ٠ جوردن (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) صاحب فلسفة « دين العمل » ٠٠ الذى نادى بالعمل كظاهرة خلاقة وقيمة عليا ٠٠ وكان دائما ما يحض على العمل كخلاص للشعب اليهودى « ان شعبا تعود جميع انماط الحياة عدا النمط الطبيعى ـ أى تحقيق الاكتفاء الذاتى عن طريق العمل ـ لن يصبح شعبا حيا عاملا الا اذا بذل اقصى طاقة لتحقيق هذا الهدف ٠٠

ان العمل ليس مجرد العامل الذى يحدد علاقة الانسان بالارض وحقه فيها وحسب ·· بل هو القوة الرئيسية فى بناء حضارة قومية أيضا ان العمل هو مثل انسانى أعلى للمستقبل والمثل الاعلى يشبه الشمس الشافية ·· اننا بحاجة الى متعصبين للعمل متزمتين له بأعلى معانى الكلمة « جوردن » ·· وكان بن جوريون هو الذى وضع هذه الفلسفة موضع التنفيذ واعتبرها خلاصا للشعب اليهودى حتى أنه كان يقضى شهرا من كل سنة فى الكيبوتز يعمل فى الفلاحة ·· وهو يقول سنة ١٩١٥ · « ان عرق الجبين يصنع الوطن القومى ·· سوف نحصل على وطننا القومى بواسطة عملنا وكدحنا ·· ان أرض اسرائيل تصبح ملكنا عندما يكون عمالها وحراسها من صفوفنا » ·· (المصدر بن جوريون بعث اسرائيل ومصيرها ») ·· وفى موضع آخر قال ·· « الحياة فى الكيبوتز صعبة ··· وفيها الكثير من ملامح التقشف فى حياة الجندية وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتها اذا لم يكن العضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعا » ··· « ان تمهيد الارض وخلق الشروط هو من عمل الطلائع ·· طلائع العمل والعلم والبناء مسلحة بارادة قومية ووعى تبشيرى ··· قادرة على أن تدمج مصائرها الفردية فى هدف سام وعارفة كيف تطوع حياتها لتحقيق أحلامها ··· ···

ـ بن جوريون ـ

من هذا نستطيع أن نفهم مدى سذاجة السؤال ·· ومدى الاندهاش الذى أجاب به سكرتير الكيبوتز ·· فالمفروض أن المنضم للكيبوتز طليعة متحمسة مندفعة لبناء الوطن الاسرائيلى القومى ···

ـ هل هذه اشتراكية ماركسية أم اشتراكية اصلاحية أقرب لأوين ··· ؟

وتغابى الرجل ·· فلم يرد على السؤال ·· ثم قمنا لزيارة الكيبوتز ·· بعد ما انهينا على الاطباق الممتلئة أمامنا ···

زرنا منزل عائلة :

حجرتان احداهما للنوم واخرى بها أنترية خفيف جدا ·· مكتبة ·· راديو ·· ثلاجة صغيرة جدا ·· حمام ·· لا مطبخ ·· لا حجرة طعام ·· لا حجرة أطفال لا حجرة استقبال ·· دخلنا اكثر من منزل ·· كلها متشابهة ·· نظيفة تتخللها الشمس والهواء ···

فى طريقنا الى عنبر الاطفال ٠٠ اشار سكرتير الكيبوتز لبعض الاكواخ الخشبية ٠٠ قائلا : هـذة كانت مسـاكننا القديمة فى بداية انشـاء الكيبوتز ٠٠ بالطبع أزلناها وأقمنا مكانها هذه المساكن ٠٠ ولكننا تركنا بعضها لنتذكر دائما ما استطعنا انجازه خـلال هذه السنوات بالعمل ٠٠٠ ولنتطلع الى مستوى أحسن ٠٠٠

عنبر الاطفـال :

حجرات متجاورة ٠٠ بكل حجرة من ٢ الى ٤ أسرة أطفـال ٠٠ تحت كل سرير شبشب صغير ٠٠ فوقه بيجاما ٠٠ حجرة للالعاب ٠٠ حجرة للاكل والدراسـة ٠٠ الاطفـال كلهم فى الخارج يلعبون مع آبائهم يوم عطلة ٠٠ دورة مياه بها مباول ومراحيض صغيرة خاصة بالاطفال ٠٠ وفرش أسنان وفوط ٠٠

فى الطريق الى المركز الثقافى ٠٠٠ المرافق يعلق على ما شاهدنا ٠٠

الطفل يتربى فى بيوت الحضانة منذ أن يرى النور حتى سن الثامنة عشرة وتبدأ الخطوة الاولى بعد الولادة بأيام ٠٠ فيوضـع الطفـل فى بيت الحضانة ٠٠ ويبقى هناك مدة سنة واحدة وتتولى الام ارضاعه بينما تتولى المربيات تربيته ٠٠ وبعد بلوغ الطفل سنته الاولى ينتقل الى الروضة حتى سن الرابعة ٠٠ وفى تلك المرحلة يسمح للابوين باصطحاب طفلهما الى البيت لقضاء بضعة ساعات معهما ٠٠ وفى سن الرابعة ينتقل الطفل الى مدرسـة الاطفال وهى التى زرناها الان ٠٠٠ وتنتهى هذه المرحلة لدى بلوغه السابعة حيث ينتقل الى المدرسة الابتدائية التى تكون بمثابة بيت لهم ايضا حتى سن الثانية عشرة فيعيش فى منازل الشباب حيث يتعلم فى المدرسة الثانوية « أو مؤسـسة التعليم » حتى الثامنة عشرة ٠٠٠ حيث يلتحق بالجيش ٠٠٠

وكنا قد وصلنا الى المركز الثقافى ٠٠ مارين من خـلال مماشى مبلطة ببلاطات كبيرة ومزروعا فيما بينها يحفها من جميع الاتجاهات الاشجار ذات الازهار الملونة ٠٠ بين طوابير النساء والرجال والاطفال القادمة على الطريق يلبسون المايوهات ويحملون على اكتافهم اطفالهم ٠٠ الاطفال صحتهم جيده جدا ٠٠ الدماء تجرى فى وجوههم بشـدة ٠ بعض المجـاميع تغنى ٠٠ دوأد ير ٠٠ وكلاما أخر بالعبرية ٠٠٠

شاب وفتاة فى ركن تحت شجرة يتناجيان .. ولا ينظر لهما سوانا نحن الستة المصريين .. المرافق يبتسم ويقول هذا هو سن الحب ...

المركز الثقافى مبنى من طابقين .. ولذلك فهو اكبر المبانى الموجودة .. به مكتبة هائلة ممتلئة بالكتب العبرية .. بعض اغلفتها توحى انها مترجمة .. مسرح أنيق .. أماكن للقراءة أو لسماع الموسيقى .. السيمفونية التاسعة لبيتهوفن تشدنى .. أقف لاستمع الى الكورال فى الحركة الرابعة .. سكرتير الكيبوتز يعلق .. لم نكن نملك كل هذا منذ ثلاثين سنة .. ولكنه جهد عمل هذه السنين .. لم يساعدنا احد .. بجوار المركز الثقافى حمام سباحه رائع .. حوله الارض مزروعة من كل جانب .. الشبان والشابات يجرون . يلعبون بالكرات الخفيفة .. العجائز مسترخيات على كراسى بلاج يتشمسن .. يعشن فى هدوء .. كأن الحرب فى مكان آخر فى المريخ مثلا .. الاطفال تجرى حولى .. أطفال ذوو شعور صفراء ممتلئين يكاد يخرج من وجوههم الدم .. أربت على رأس احدهم ... فينظر الى بأستغراب ..

هذه هى السعادة .. حقا .. قطعة من الجنة .. بالتأكيد هم سعداء جدا .. يعملون .. يأكلون .. يلهون .. صحتهم جيدة ..

هامش (فى مجال الحديث عن الحياة الاجتماعية علينا الا ننسى أن العمل يستهلك ساعات النهار من الفجر الى الغسق .. وبعد انتهاء ساعات العمل يتجه سكان الكيبوتز الى الحمامات ليغتسلوا ومن ثم يصرفون بعض الوقت فى رؤية أولادهم بمدارسهم ومؤسسات « التعليم الجماعى » حتى وقت العشاء .. والواقع هو أن صالة الطعام العامة هى مركز الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز .. وذلك لاسباب « عقائدية جماعية » ولاسباب (ظرفية تاريخية) تتعلق بظروف السكن وعدم صلاحية الغرف الضيقة لاستقبال الضيوف ..

فى صالة الطعام العامة تجرى المناقشات وتتم اللقاءات بين جميع أفراد الكيبوتز يستمعون الى الراديو — قبل أن تعم الراديوهات — وفى بعض الاحيان يشاهدون الافلام السينمائية والحفلات الموسيقية ولكن مع ذلك لا يزيد هذا على أكثر من مرة فى الاسبوع أما بقية سهرات الاسبوع

فيقضيها الاعضاء باجتماعات اللجان ‥ والاجتماعات العامة ومع أن أجهزة الراديو الخاصة قد كثرت فى الاونة الاخيرة واتجه أعضاء الكيبوتز نحو قضاء بعض السهرات فى مساكنهم الخاصة ‥ الا أن الحياة الاجتماعية بقيت باهته لسبب فقدان الحياة الخاصة وضعف وسائل الترفيه والتسلية وضعف ضيق الدائرة البشرية ‥ ولما كان نظام الكيبوتز نظاما مغلقا فقد كثرت الثرثرة والاصطدامات الشخصية ‥ ولعل العطلة السنويه تشكل متنفسا لضغط الحياة الاجتماعية مع أن مشكلة عدم توفر النقد المخصص للرحلات تحد من امكانية قضاء بعض الوقت خارج الكيبوتز ‥ وخلاصة القول فان الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز تشكل انعكاسا للحياة شبه العسكريه التى يعيشها سكان المستعمرات الجماعية وهى متأثرة بالمقاييس التقشفية والجماعيه التى وضعها مؤسسو حركة الكيبوتز فى مطلع القرن ‥ « الكيبوتز أو المزارع الجماعية فى اسرائيل » عبد الوهاب الكيالي) .

عدنا فى طريقنا الى خارج الكيبوتز ‥ مررنا بالمطعم ‥ صالة واسعة أنيقة جدا ‥ الاضاءة مختفية وهادئة ‥ المناضد مرتبة جيدا وعليها الشوك والمعالق والسكاكين والملاحات والمسطردة ‥ السرفيس ‥ انسات يدفعن أمامهن عربات عليها الاكل الساخن . المطبخ نظيف جدا يعمل بالبخار لا رائحة ‥ لا قاذورات ‥ كأننا فى مستشفى نظيف ‥

زميل – بالطبع كانوا يعلمون بزيارتنا مقدما ···

آخر – حتى لو كانوا يعلمون فالمستوى رائع ···

خرجنا من مكان الايواء ··· ودارت الاحاديث الثنائية بيننا ···

– المستوى رائع ‥ هل تتخيل أن هؤلاء فلاحين ··· ؟

– فلاحين بالشورت والمايوه والشوكة والسكينة ···

الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين فلاحينا وهؤلاء ···

والان الى اماكن العمل ‥ الارض ‥ التى قال عنها أحد قادة التكتلات العمالية الثالثة فى الارض المحتلة فى مجلة يهودية تصدر فى نيويورك « لقد تم شراء الارض التى أقيمت عليها الكيبوتزات بواسطة الهستدروت من الاقطاعيين غير المقيمين وجرى أبعاد الفلاحين العرب الذين كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة أو بدون تعويضات على الاطلاق ‥ وكثيرا ما تعرض الفلاح العربى وعائلته الى الاجلاء القهرى لرفضه النزوح عنها ‥ وكان شبان الكيبوتز المعتيد يسارعون الى طرد الفلاح العربى بالقوة

ويستعينون بالشرطة أحيانا ... كثيرا ما كانت عودة النظام تعنى اهراق دم الفلاح العربى (نيويورك سنة ١٩٦٢ صفحة ١٣) مورد كاى شتاين (الى اتحاد عمال امريكا حول الهستدروت) .

الارض .. مزروعة قطنا _ قطن هنا ... !

ـ اجرينا تجارب حتى وصلنا الى زراعته ..

ـ الزراعة اتوماتيكية ...

ـ كيف عرفت ...؟

ـ خطوط شجيرات القطن فى خط مستقيم كأنها رصت بتيدوليت ..؟

ـ نعم .. عندنا الحرث ميكانيكى كذلك بذر الحبوب والجنى ..

ـ وكيف تحافظون على الخطوط المستقيمة نظيفة بدون حشائش ..

ـ نرش مواد بين الخطـوط تمنع نمو أى مزروعات اخـرى حتى ولو كانت قطنا ... لنعطى الفرصة لشجرة القطن بامتصـاص كل المواد ....!

ـ ولكن هل كل هذا قطن .. مساحات كبيرة ...

ـ لنستطيع رشـها بالطائرات ...

ـ وكيف تروونها ... ؟

ـ بواسطة المواسير والرش .. لان المياه عندنا قليلة لابد أن نستفيد من كل نقطة منها للزراعة .. توصلنا الى قطن مستواه جيد وان كان قطنكم لا ينـافس .

وقفت انظر الى حقول الممتدة الى مدى الرؤية .. وفجأة تخيلت أن القطن قد تحـول الى قطن احمـر .. لانه مصـبوغ بدماء القتلى المدفونين فى هـذه الارض ...

اتجهنا الى مكان تربية الحيوانات .. ابقار فريزيان ... الحـلب اتوماتيكى ثم يعبا فى عربات ثلاجات .. الفراخ .. البيض .. مصنع علب خضار .. الخيل .. جراج الجرارات والعربات . وانتهت الزيارة .. ركبنا الميكروباس مغادرين الكيبوتز فى اتجاه اكمال رحلتنا ...

ـ مستوى حضـارى عالى ...

- هل رأيت مديرية التحرير .. لا تقل عن ذلك ...
- كل العالم أصبح فى هذا المستوى .. عدا ريفنا المتخلف ...
- هل رأيت البنت المرتدية شورت أحمر .. ذات الشعر الاصفر .. كالقمـــر ...
- أولاد الكـلب .. فى منتهى الجمـال ...

الطريق الى الناصرة .. جميل .. هكذا تخيلت الطريق وانا مغمض العينين فى رحلة الوصـــول لعتليت .. الطريق العريض فى منتصفه جزيرة مزروعة على جانبيه بيارات البرتقـال ...

- هل كل هـذه كيبوتزات ... ؟؟

- كيبوتز .. فى اللغة العبرية تعنى جماعة .. مؤنثها (كفوتزا) .. ونستعملها للتقليل أى جماعة صغيرة .. والان تعنى هــذه الكلمة جماعة من الناس يعيشـون ويعملون سويا فى مزرعة جماعية والكيبوتزات عندنا متفاوتة بعضها يضم ٣٠ نسمة والاخرى ١٥٠٠ أما الكفوتزا فهى مستعمرة يقل عدد ساكنها عن ٣٠ نسمه .. والكيبوتز ليس الشكل الوحيد للزراعة عندنا .. فبجوار الكيبوتز والكفوتزا يوجد الموشـاحيم وهى قرية تعاونية يمتلك الارض فيها أصحابها ولكنهم يعيشـون بتسـويق جمـاعى وعمـل جماعى وعندنا قرى ذات ملكية خاصـة ومدارس زراعية بالاضـافة للقـرى العربية .. عنـدنا حـــوالى ٨٣٨ قرية زراعية منها ٥٩٢ قرية جمـــاعية من هذه الـ ٥٩٢ حوالى ٢٢٨ كيبوتز يسكنها حوالى ٨٨ الـف من حوالى نصف مليون .. ولهذا فليست كل الاراضى التى نمر عليها كيبوتزات ...

- وهل العرب يعيشون أيضا فى كيبوتزات ... ؟

- لا فطبيعتهم ترفض الحياة الجماعية كل منهم يريد قطعـة ارض خاصة به ...

هامش :

(يسكن الكيبوتز خليط من اليهود الذين جاءوا من أوربا الشرقية والذين تلقوا التوجيه والتدريب على حياة الكيبوتز قبل مجيئهم الى فلسطين .. ومن يهود أوروبا الوسـطى والغربية (اثر الاضطهاد النازى) ومن الصـابرا اى ابناء المهاجرين المولودين فى فلسطين من اعضاء حركة الكيبوتز فى المـدن .. والجدير بالذكر فى هذا الصـــدد هو ان تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وقائدها الرئيسى كان قد شـدد فى مذكراته على اهمية طـرد الفلاحين العرب من أراضيهم واستنبط لهذه الغاية وسائل متعددة ولعـل

الكيبوتز كانت فى هذا الصدد وسيلة مثالية لاستقدام اعداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم وربطهم بالارض الفلسطينية والتنظيمات العسكرية والعمالية الصهيونية ربطا محكما واجلاء العرب عن أرض فلسطين لذلك لم يسمح اطلاقا لأى عربى بالحياة فى كيبوتز ... وبالتالى لم يسمح للعرب بأقامة كيبوتزات خاصة بهم لانها بذلك تفقد سببها واهميتها العسكرية .. وتربط العرب بارضهم فى شكل متماسك لا يريدونه ...)

زميل يضربنى ضربات سريعة من أسفل المقعد لارى طائرات تندفع من بين الحقول وترتفع لأعلى .. هنا مطار سرى .. المرافق يحاول أن يلفت نظرنا لشىء آخر فيقدم لنا سجائر من علبته ...

وصلنا الناصرة .. مدينة عربية فعلا .. المبانى القديمة من دور أو دورين على الاكثر .. الشوارع الضيقة المتلئة بالاطفال ذوى الجلاليب .. القهاوى الكثيرة ذات الكراسى القش والنراجيل .. عربات الفول والطعمية والكوببة ورائحة الزيت المحروق ... الحلويات الشامية .. الراديو العالى .. اكوام برتقال وليمون وخضروات ...

ـ مثل اى مدينة عربية .. الناصرة ...

ـ هنا بشرت الملائكة السيدة مريم بميلاد المسيح ...

هذه كنيسة البشارة .. هنا مكان الحقل الذى حول فيه المسيح الماء الى نبيذ ... وأردف .. والله العرب مش عايزين يغيروا الطابع بتاع بلدهم رغم انهم أغنياء لكن الواحد يفضل يحوش عن أن يبنى لنفسه بيتا ويفرشه ..

الميكروباس يسرع فى اتجاه الناصرة الجديدة .. بلد نظيف .. فيلات على الطراز الحديث .. الشوارع واسعة ونظيفة .. المنازل من أعلى الجبل تطل على منظر رائع للسهل . المرافق يتفق مع أحد السكان الاسرائيليين على أننا سنعود له حوالى الساعة الرابعة . الميكروباس يتجه الى بحيرة طبرية .. نقف داخل محطة بنزين .. صاحبها عربى ..

ـ مين دول ... ؟

ـ اصدقاء من القاهرة ...

ـ اهلا .. اهلا .. كيف الحال فى القاهرة ... ؟

ـ الحمد لله ٠٠ كيف حالكم أنتم ٠٠٠٠ ؟

ـ والله كويس ٠٠ احنا عايشين فى بلدنا ٠٠ الخير كتير والحياة عظيمة ولا يوجد ضغط أو أى مشاكل ٠٠ والله احنا ما كنا نريد أن يتطور الموضوع لهذه الدرجة ٠

ثم حاول أن يكمل بسرعة خطبته التى أعدها مسبقا ٠٠ ولكن المرافق من مقدرتنا الذهنية على الفهم فأشار للسائق بالتحرك قائلا متشكرين يا أخى ٠٠٠

ـ والله احنا عايزينهم معانا شوية ٠٠٠

اكتشف أننا ننظر له باستهزاء وفى نفس الوقت باستنكار لمحاولته التقليل

ـ متشكرين لدينا أعمال أخرى هامة ٠٠

طبرية بحيرة مياه عذبة ٠٠ هادئة جدا ٠٠ الجو جميل وان زادت الرطوبة قليلا لان مستوى منسوب الأرض تحت منسوب البحر فهى أكثر نقطة منخفضة على الارض ٠٠ والرطوبة والحرارة تسمح بزراعة الموز ٠٠ وصيد الاسماك وتربية الحيوانات والطيور الداجنة ٠٠ كذلك السياحة بفتح كازينوهات أو فيلات للتصييف وهذه الاعمال التى يعيش عليها الاعداد المتلاصقة من الكيبوتزات ٠٠٠

سنزور كيبوتز منها ٠٠ كيبوتز دجانيا وهو اول كيبوتز أنشىء فى فلسطين سنة ١٩١٠ ٠٠ كان أول مكان زرناه هو المطعم ٠٠ صالة واسعة تشبه السابقة ٠٠ ولكنها أقل رفاهية فى الواجهة الامامية شباك واسع له كونتر ٠٠ يطل على المطبخ ٠٠ وفى نفس الصالة صفت مناضد خشبية كبيرة حولها كراسى خفيفة ٠٠ والمناضد مغطاة بمفارش بسيطة ٠٠ والطراز المعمارى لهذه الصالة يرجع بأنها منشأة منذ مدة طويلة ٠٠ شاب وفتاة يدخلان لرويتنا بدافع حب الاستطلاع ٠٠ الشاب يربى شعره على هيئة البيتلز والفتاة تطلق شعرها الاصفر الطويل فى اهمال وترتدى بلوزة حمراء وشورت أبيض قصير جدا تبدو مثل ممثلات السينما ٠٠ ننظر لهما نحن أيضا باستطلاع ٠٠٠

المرافق يشرح لنا ـ هؤلاء الشباب من الدول الاسكندنافية ٠٠ يحضرون لقضاء العطلة ويعملون مثل باقى أفراد الكيبوتز ٠٠ بالطبع لا يأخذون

مرتبات .. فاذا اعجبتهم الحياة عاشــوا معهم .. وان لم تعجبهم يعودون .. ولكن عادة ما يبقون فشكل الحياة هنا يجذبهم كثيرا ..

هــامش

ان الاسلوب المتبع فى اختيار الاعضاء الجدد يعتمد على مبدأ التجربة .. أى أن الراغبين فى الانتساب يقضون فترة تجريبيه فى الكيبوتز قبل قبولهم اعضاء فيها ... وتنقسم هذه الفترة التجريبية الى قسمين : المــدة الاولى والحد الادنى المقرر لهــا هو ستة أشهر يعتبر المتقدم بطلب الانتساب بمثابة ضيف .. فأذا وافق الاجتماع العام بأغلبية بسيطة على انتسابه يصــبح عضوا مرشحا لمدة لا تقل عن نصف عام أيضا ... ولا يصبح عضوا عاملا الا بعد موافقة ثلثى أعضاء الكيبوتز أو ثلثى حضور الاجتماع العــام على الانتساب الكامل للكيبوتز .. وهناك حقيقة هامة عن تصفية الانتســـاب وهى أن عضوية الكيبوتز تزداد لا بفضل الانتسابات الفردية بل بفضل انتساب أعضاء حركات الشباب جماعيا « بن يوسف ص ٨٨ »

تناولنا الغذاء .. سوسيز .. وبطاطس بالصلصة البنية .. ومكرونة وشراب عصير البرقوق .. ثم بعد ذلك كمثرى وبرقوق طازج .. وابتدأنا جولتنا فى الكيبوتز بالمرور على قســم الدواجن .. القسم منظم .. ونظيف ومعد بطريقة مبتكرة تناسب الجو الحار فهناك ادشاش من المياه البــاردة المســتمرة ترطب الاقفاص والمنطقة المحيطة .. ورغم ذلك فلم نهتم كثيرا بالقسم فلقد أصابنا الملل والتعب بعد أكثر من شهرين كســل فى حجراتنا ومشينا شبه نائمين خلف سكرتير الكيبوتز .. حتى وقفنا أمام شــاب اسمر من عمــال الحظيرة يتكلم اللغة العربية باللهجة المصرية بوضــوح .. شد انتباهنا التففنا حوله ... لقد وجدنا قطعة من مصر هنا فى أعمــاق اسرائيــل ...

ــ أنا مصرى .. مصر أجمل بلاد الدنيا .. زرت بلاد كثيرة لم أجد هو حياتى ما هو أجمل من القاهرة والاسكندرية كان يتكلم صــادقا .. بل كان سعيدا بنا .. فلقد وجد فينا قطعة من مصر أيضــا .. يا حبيبى يا مصر .. كم وحشتينى .. كم وحشتنى شــوارعك .. حواريك .. ترابك .. ناســك .. حتى شحاتينك .. كل ما هو جميل فيك وكل ما هو سىء . واستمرت جولتنا . المركز الثقافى .. [illegible]

.. المستشفى نفس الكلام .. نفس الفلسفة .. ولكن كان هناك شيء جديد فالمستعمرة فى مواجهتها هضبة الجولان عبر بحيرة طبرية .. ولذلك فالاستعدادات العسكرية تغلب عليها .. بل الطابع العسكرى واضح فى كل مكان .. الخنادق المكشوفة والملاجيء المغطاة .. أسوار السلك الشائك .. أبراج الحراسة .. الكشافات الضخمة ... صفارات الانذار .. لاحظ المرافق نظراتنا .. فقال :

هضبة الجولان فعلا تسيطر سيطرة كاملة على المستعمرة .. ولكن لن تصدقوا ان خسائر المدفعية السورية هنا لم تتعد بعض بقرات .. وبعض المبانى ولا خسائر اطلاقا فى الارواح ...

هامش

استند الجيش الصهيونى شبه السرى فى فلسطين الانتدابية (الهجانا) الى الكيبوتزيم فى التجنيد وفى التدريب السرى وفى اخفاء الاسلحة السرية .. (موش كريم) .

ان شعب اسرائيل هو الجيش .. اذ أن جميع المواطنين من ذكور واناث هم أفراد فى الجيش فهذا الوضع وحده يؤمن شروط بقاء جزيرة اسرائيل فى محيط عربى (بن جوريون) ..

فى ظل هضبة الجولان وعلى ضفاف بحيرة طبرية الهادئة وقبل غروب يوم من ايام يوليو ما بعد النكسة جلسنا .. ستة ضباط أسرى مصريين ... ومرافق صهيونى (عرفنا من الشاب الاسمر الذى قابلناه أنه سكرتير حزب الماباى الحاكم) .. فى كيبوتز دجانيا أقدم المستعمرات العسكرية الزراعية الاسرائيلية وثلاث مواطنين أسرائيليين كانوا فى يوم ما .. مواطنين مصريين .. جلسنا حول منضدة طويلة فى كافتريا اعدت للسياح .. كل الموجودين يتكلمون اللغه العربية واغلبهم بلهجه مصرية عدا سكرتير الكيبوتز فكان يتكلم الانجليزية .. واستمرت دردشة عن القاهرة .. وحواريها وناسها .. .. وملاهيها .. والتغييرات التى حدثت فيها .. العتبة وميدان رمسيس ... نقلوا تمثال النهضة أمام الجامعة .. واقمتم الكورنيش بالطبع والهيلتون والسد العالى .. وتخدر كل الموجودين .. نحن من ذكرى بلدنا .. والحديث عنها فى هذا المكان الرومانسى وهم من ذكرى أيام صدر شبابهم التى عاشوها فى بلدنا .. سقطت العداوات .. وتقاربنا بشدة .. وتحمس أحدهم فاشترى علبتين سجائر أمريكانى .. اعطاهما لنا ... وتحمس آخر ..

واشترى لنا زجاجات مياه غازية منفبشة من البرودة .. والرطوبة .. وفجاة دار حديث بالعبرية بين سكرتير الحزب المرافق لنا وسكرتير الكيبوتز .. ثم ترجم لنا المرافق الحديث فقال : لم اكن أعرف هذا حقا .. ولكن ابن سكرتير الكيبوتز أصيب في الحرب الاخيرة وقطعت رجلاه .. ومع ذلك يرحب بكم ....

مناورة سخيفة مكشوفة ردتنا بقسوة للحقيقة .. اننا بين ايدى أعداء .. اننا اسرى وصحونا من الحلم لنستمع في ملل الى ما يقوله سكرتير الحزب .. نحن نريد أن نعيش في سلام .. كل المواطنين هنا لا يريدون الحرب نريد أن يعيش اطفالنا خارج الملاجىء والخنادق .. عشنا تحت الارض اكثر مما عشنا فوقها .. نريد أن نستمتع بالشمس .. كنت استمع اليه وأنا انظر حولى متلهيا .. الفتيات والشبان حولنا كثيرون .. معظمهم غربيون .. الملابس كلها شورتات وبلوزات .. فتاة يتعلق بها بصرى واحاول أن أتأملها اكثر ما يمكن .. متوسطة الطول تلبس شورت ابيض وبلوزة ركامة بيضاء .. شعرها الاصفر منسدل باهمال حول رقبة طويلة بيضاء تحمل وجها له اجمل ابتسامة رأيتها في حياتى . الشماسى على البلاج .. بيك أب مع بعض الاسطوانات موسيقى راقصة قادمة لنا من بعد . ونحن في طريقنا الى الميكروباس مبانى جديدة منفذة جيدا .. الخرسانة غير محتاجة لبياض فهى منفذه بحيث لا تغطى بالبياض لتتحمل رطوبة المنطقة .. المشرفة على الكافتريا ترحب بنا بابتسامة لزجة .. انها زوجة وزير .. الوزير نفسه من سكان الكيبوتز .. نركب الميكروباس .. أنظر لا خر مرة الى لابسة الشورت الابيض .. هذا الشباب لماذا يتحول الى وحوش ... ؟؟

هامش

(اسرائيل في حقيقتها .. مقدمه للاستعمار الامبريالى العالمى في الشرق الاوسط .. أنشأتها انجلترا لتحافظ على ممتلكات التاج البريطانى في المنطقة .. « ان قيام دولة قوية على ضفاف قناة السويس قادر على حماية المصالح الانجليزية في الشرق الاوسط » وايزمان – وبعد الحرب العالمية الثانية .. ومع انتقال الزعامة الى أمريكا .. انتقلت حمايتها الى امريكا .. وانتقل الولاء الصهيونى اليها أيضا ... وتحولت الى فصيلة متقدمه للجيش الامريكى في المنطقة لتنفيذ المخططات الامريكية العالمية) ..

نحن في طريقنا الان الى الناصرة .. فقدنا اندهاشنا .. نحاول أن نحتفظ في مخيلتنا بما نراه فيحتمل الا نرى منبين الا بعد مدة طويلة ..

اليوم يقارب على الانتهاء وسنعود ثانيا الى سجننا ·· الميكروباس يصعد المرتفعات المطلة على الناصرة الجديدة · فيلات صغيرة جميلة منتشرة على المنحدر ·· نزور عائلة يهودية تسكن احدى الفيلات ·· المنزل بسيط جدا ·· ولكنه جميل ·· الاحاديث ودية ·· ترحيب ··· حديث مع فتاة اسرائيلية ابنة صاحب البيت ·· عمرها حوالى السادسة عشرة ···

تقول ـ لماذا لا نعيش فى سلام ·· منطقتنا نستطيع ان تكون أغنى مناطق العالم ····

لديكم البترول والمواد الخام والعمالة ·· ولدينا الفنيون والعلماء ·· ونستطيع أن نأخذ رءوس الاموال الامريكية للتعمير ··

أبتسم ·· هذا ما يعلمونها ··· !! ·· وجهه النظر الاسرائيلية بدون أى زواق أو أصباغ تخفى حقيقتها ···

تتصور أننى موافق على ما تقوله ·· توجه لى كلامها ···

ـ ما رأيك ·· لماذا نحارب ··· ؟ أكلمها برفق شديد ··

وهل تتصورين اننا لا يوجد بيننا علماء وفنيون مثلكم ·· أنا مهندس والزميل مهندس والاخر طبيب ·· ولنا زخيرة عريضة من العلماء ·· ثم هل تتصورين أن رءوس الاموال الامريكية ستعمر لنا بلادنا لننافسها ·· انها تعطيكم لانكم أسرائيل يا آنسه ·· ولانها تتصوركم ·· !! ·· وقطع كلامى المرافق قائلا ···

ـ انها تقصد ابناء عمومتنا من الاغنياء فى أمريكا ·· فرصة سعيدة ونحن شاكرون ومضطرون للرحيل فلدينا ما نشاهده ···

الميكروباس ينتقل بنا الى الناصرة القديمة ·· نقف أمام منزل عربى كبير ·· ذى مشربيات ومقرنصات وحليات عربية ·· تقابلنا على الباب سيدة قادمة لتوها من عند مصفف الشعر ·· عرفنا بها المرافق ·· زوجة رب العائلة ·· تذكرنا بسيدات البرجوازية الصغيرة المصريات ·· متحشمة فى ملابسها العصرية ·· المنزل به مضيفة واسعة على عادة المنازل الشرقية ·· يحتشد فى الصالة عدد كبير من عرب الناصرة ·· ترحيب شديد

واحضان مصرية وقبلات على الطريقة الشرقية وقف المرافق فى وسط الحجرة وبطريقة مسرحية أشار لنا ولهم وقال ضيوف من القاهرة ٠٠ مواطنونا العرب فى اسرائيل ٠٠ أنتم أقارب ولنتركتكم لتتعارفوا ٠ انتشرنا فى ارجاء القاعة الواسعة ٠٠ وأخذت مكانى بجواره ٠٠ عرفنى بنفسه مدرس فلسفة فى المدارس العربية ٠٠ كان يتكلم بانفعال فيهتز وجهه السمين ٠٠ وتبرق عيناه الزرقاوان من تأثير دموع حبيسة ٠٠ويشير بيديه وأضابعه ٠٠ويتحرك كثيرا على المقعد العربى الطراز ٠٠ وكنت أنظر اليه باهتمام وتركيز لعلى استوعب كل حرف ينطقه وفى نفس الوقت أنظر بطرف عينى الى نهاية الحجرة الواسعة لارى هل هناك من يراقبنا ٠٠ فلم اكن أتصور أن سكرتير الحزب الحاكم سيفى بوعده ويتركنا لنتعارف بدون رقابة ٠٠٠

قدموا لنا السجائر الامريكية ٠٠ والحلويات الشامية ٠٠ والشيكولاته ٠٠ والقهوة ٠٠ والشربات كل شوقهم للعرب خارج اسرائيل تركز فى هذه الزيارة شعور الانسان الذى وجد أهله بعد غربة طويلة ٠٠ الاستقبال الحماسى يذيب الثلوج سريعا ٠٠ ذو العينين الزرقاوين يسألنى ٠٠

ــ ما الحل ٠٠٠٠ ؟

ــ أعتقد انه لا يوجد الا حرب العصابات والمقاومة السرية ٠٠٠

ــ المقاومة بهذه الصورة لا يمكن ٠٠ ماذا يعنى نسف فنطاس ٠٠ او وضع لغم تحت جرار زراعى يعمل ٠٠ أؤيدك بأن المقاومة قد تكون فعالة وحاسمة ٠٠٠٠ ولكنه لابد من تصعيدها وحتى يتم ذلك ٠٠ ما العمل ؟٠

كان امامى أحد الطريقين ٠٠ أن اسمعه ٠٠ أو يسمعنى ٠٠ وفضلت أن أسمعه فهو الصوت المحبوس أبدا داخل السجن الاسرائيلى ٠٠٠

لذلك قلت ــ انا فى حالة بلبلة بحيث لا استطيع أن اقدم لك حلا ٠٠ ولكنى ساكون ــ مستمعا جيدا لك ٠٠٠

ــ المعركه يا عزيزى فى مصر ٠٠ لا شك أن مصر اكبر الدول وهى أملنا بقيادتها الثورية المتقدمة ٠٠ ولكن تجربتنا مع هؤلاء ثلاث مرات اثبتت اننا لا بد وأن نصل الى مستواهم الحضارى والتكنيكى ٠٠ وبعد ٠٠ بمعنى أنه لا بد وأن تقفلوا على أنفسكم الباب مدة حتى تتقدموا حضاريا وتكنيكيا ٠٠ حتى تصلوا الى مستواهم ٠٠ وبعد ذلك الحرب ٠٠

ـ وأنتـــم ٠٠٠ ؟

ـ نحن الاحتياطى الطبيعى لكم ٠٠ وفى كل مره كنا مستعدين للقتال بجواركم مع ظهور أول خيط للامل ٠٠ ولكن ٠٠ أنا معـك ٠٠ حرب المقاومة لا بد وأن تأخذ صورة مخالفة للعب الاطفال هـذه ٠٠٠

ـ اليست المقاومة املا يمكنكم أن تسعوا اليه ٠٠٠ ؟

ـ شعبنا شعب مفكك ٠٠ وزعماء الدول العربية ساعدوا على تفكيته أكثر ٠٠ صدقنى ٠٠ ان عيبنا نحن العرب أننا لم نتخذ الشـكل العصرى للدولة بعد ٠٠ انهزمنا يا أخ لانهم هنا يخططون ويعملون بشكل علمى ٠٠ أما نحن فنعمل بشكل ميتافيزيقى ٠٠ على مصر وارجو ان تقول كلمتنا وتبلغها يا أخى ٠٠ ان تتقدم وتصبح الدولة العصرية القادرة على مواجهة اسرائيل ٠٠ لا بديل للحـرب ٠٠ لا بديل للحرب ٠٠ ولا بديل للتقدم لكسب الحرب ٠٠٠

كدت ابكى فلقد كانت كلماته أول رد لاعتبارنا أسمعه منذ ٥ يونيـو اللعين ٠٠٠ وازددت حبا لهذه العيون الزرقاء الذكية ٠٠

ـ ما أخبار العالم فى الخارج ٠٠٠٠ ؟

ـ مقال هيكل سمعناه فى صوت العرب ٠٠ يتكلم عن أسباب النكسة ٠

وهنا قدموا لنا حلوى أخرى غـير التى استقبلونا بهـا ٠٠ قبض صديقى على كمية كبيرة ووضعها فى جيبى قائلا :

ـ أعط لزملائك ٠٠ والله كنا بنريد أن نرسل لكم الطعام يوميا ولكن ٠٠ حكم المقوى ٠٠

ـ هل سـاعدت أمريكا أسرائيل فعـلا بالطيران ٠٠٠ ؟

ـ لا ٠٠ ولكن البحرية الامريكية كانت مستعدة لدخول المعركة فى حالة دخول أول جندى مصرى ارض اسرائيل ٠٠ ولا يمنع أيضـا انهم سـاعدوهم بواسطة الباخرة الاليكترونيه ليبرتى فى التوجيه والتصحيح للطائرات لدك مطاراتكم ٠٠ يا اخى شىء غريب ٠٠ هنا عرفنا مقدما ان مجلس الوزراء سيبدأ الحرب يوم ٥ يونيو ٠٠ وأبلغنا سفارة دولة شرقية ٠٠ وبالتـالى أبلـغت روسيا وروسيا أبلغتكم ٠٠ بمعنى أنه لم تكن هناك مفاجأة ٠٠ ومع ذلك حدث ما حدث ٠ كيف ٠٠٠

ـ لا أعـــرف ٠٠٠

ـ سمعنا أنه قد حدث خيـانه بين قيـادة سـلاح الطيران ٠٠ وأن المخابرات المركزية الامريكية دفعت مبالغ هائلة رشـوة ٠٠ وسمعنا أن الطيارين

كادوا أن يجنوا فى مطار غرب القاهره ٠٠ يريدون أن يصعدوا ٠٠ والأوامر لا تصـــلهم ٠

ـ قد يكون هذا حدث ٠٠ وقد لا يكون ٠٠٠

ـ نعم ٠٠ أنا مقدر بعدك عن المعلومات ٠٠المهم الحمد لله على السلامة ٠ والله تبلغ ســلامى للاخوه فى مصر ٠٠ وتقول لهم ان أملنا مازال معلقا بكم ٠٠٠ ورغم كل العون الامريكى ٠٠ هنا حنفية ذهب موصلة بنيويورك ٠٠ ومع ذلك املنا كبير فى النصر ٠٠٠

ـ وانتم هنا ما هو موقفكم ٠٠ كيف تعيشون ٠٠٠ ؟

ـ العرب هنا يمكن تقسيمهم لثلاثة اقسام ٠٠ قسم (وكاد يشــير الى بعض الجالسين) استسلم ورضى بالواقع ويقول هذه بلدنا ٠٠ والعرب لو دخلوها سيذبحوننا كما لو كنا يهودا وهؤلاء فى الاغلب أغنياء العرب ٠٠ والقسم الاخر نسميهم ناصريين ٠٠ وطنيين يؤمنون بالبعد القومى وأملهم مصر وعبد الناصر بالذات ٠٠ واغلبهم من الطبقات الوســطى والموظفــين ومستعدين لتقديم اى عمــل فى الوقت المناسب ٠٠ وبينهم تيارات ثقافية وقومية مرتبطة بالتيارت الموجودة بالقاهرة والعالم العربى ٠٠ والنوع الثالث هم الشيوعيون ٠٠ وهم متطرفون جدا ٠٠ أغلبهم من المثقفين الفقراء وهــم لم يتركوا النضال أبدا ٠٠ بالكلام ٠٠ بالحرب ٠٠ بالشــعر ٠٠ بالمنشورات ومرتبطون الى حد ما بالاحزاب الشيوعيه الاسرائيلية ٠ وموقفهم واحــد مسلمين مسيحيين ويهود ٠٠ لهم جريدتهم « الاتحاد » بالطبع سرية ٠٠ ودواوين شــعر سميح القاسم وتوفيق زياد ٠٠ ومحمود درويش ٠٠ وان كان لا يسمى نفســه شيوعيا ٠٠ وغيــرهم كثيرون ٠٠ بعد النكســة ازداد نشــاطهم لدرجة أنه صدر قرار يحظر تجولهم وتحديد اقامتهم فى منازلهم ٠٠

ـ بالمناسبه هل توجد قيود على العــرب ٠٠٠ ؟

ـ يوجد قيود طبعا ٠٠ على التجول ٠٠ والحركة والنشر ٠٠ والتجمعات ٠٠٠ ولا يسمح باى تحرك من بلد الى أخــر الا بتصريح من القائد العسكرى للمنطقة ٠٠ ولكنهم عادة لا يمنعون ذلك الا فى زمن الحرب ٠٠ وعموما هم أذكى من أن يشعرونا بالقيود ٠٠ الكارثة الحقيقية هى العمل ٠٠ فهنا اليهودى له كل الفرص ٠٠ وما يتبقى فللعرب ٠٠ وعادة ما تكون الاعمــال الشــاقة ٠

ـ وهل تتولون مناصب قيادية فى الحكم ٠٠٠

ـ توجد بعض المناصب للعرب ٠٠ منصب القاضى ٠٠ وبعض المدرسين ٠٠ وفى بعض الاوقات ممثلون فى الكنيست ٠٠ صمتنا قليلا ثم سأل ٠

ـ هل زرتهم أماكن كثيرة ٠٠٠ ؟

ـ زرنا بعض الاماكن ٠٠٠

ـ ما رأيـك ٠٠٠٠ ؟

ـ مش بطـــال ٠٠٠ !!

ـ نسـوانهم حلوين ٠٠٠

ضـــحكت ٠٠٠٠

ـ نعـــم ٠٠٠

نسوانهم هن اللاتى أخذن لهم فلسطين منا ٠٠ كن يضحكن على الشبا ٠٠ ويأخذن نقودهم ٠٠ وأرضهم ٠٠ عن طريق الخمارات والكباريهات ٠٠

كان يدور هذا الحديث ٠٠ وحولى احاديث اخرى كثيرة ٠٠ كنا نلتقط منها بعض الكلمات عن السد العالى ٠٠ ومديرية التحـــرير ٠٠ والرى ٠٠ والتقدم المصرى بعـــد الثـــورة ٠٠٠ وارتفعت الاصـــوات ٠٠ وأرتفعت الضحكات ٠٠ حتى دخل المرافق الاسرائيلى ٠٠٠ قال لى زميلى ـ هل تعرف انه سكرتير الحزب الحاكم ٠٠٠ ؟

ـ نعـــم ٠٠٠

اراد ان يسيطر على الموقف ويوجهه ٠٠ فلقد كانت أول زيارة يقـــوم بهـا الاسرى المصريون ٠٠ للمواطنين العرب ٠٠ وكانوا يجربون ٠٠ حتى يشعرونا بمدى الحرية والديمقراطية الاسرائيلية ٠٠ ولكن الموقف خرج من بين يديه ٠٠٠

قال ـ ما رأيكم ندير مناقشة مفتوحة ٠٠ ونستفيد جميعـــا بدلا من الجلسات الثنائية ٠٠ ردوا عليه : اتركنا فى حالنا ٠٠ نحن سعداء بذلك ٠٠

ولكن التقط الخيط منه بعض المتعاطفين او الخائفين ٠٠ وابتدأوا فى مناقشة مفتوحة ٠٠٠ على حـــد تعبيره ٠٠٠

قال احدهم ـ كلمونا عن الزراعة عندكم واهم المحاصيل ٠٠٠

رد زميل وهو يبتسم لسخافة السؤال مع الموقف ٠٠٠

ـ نحن نزرع القطن ٠٠٠ والقصب ٠٠٠

غمزنى زميلى قائلا ٠٠٠

ـ اتركهم فى حالهم ٠٠ هل لديك اسئلة اخرى ٠٠٠

ـ ما تاثير « فتح » على السكان العرب هنا ٠٠٠

« فتـــح » هى أساس المشكلة ٠٠ بشكل رومانسى جدا حاولت أن تقود المقاومة أو تحييها ولكن ما المكاسب التى عادت علينـــا من نسف الجـرار الزراعى ٠٠٠ أو فنطاس المياه ٠٠٠ لقد دمروا فى مقابل ٠٠

وهنا نهض المرافق ٠٠٠ قائلا ٠٠٠ كانت فرصة عظيمة وزيارة ممتعة نرجو أن تكونوا قد تعرفتم جيدا على أوجه الحياة المختلفة فى بلدنا ٠٠ وكنا نريد أن نطيل الزيارة ولكن لنا برنامج يجب أن نستوفيه خصـوصا وأن الزمـلاء يريدون زيارة كنسية البشـارة ٠٠٠

تركنا العائلات العربية ٠٠ ونحن مازلنا نشعر بحرارة اللقـــاء ٠٠ والمحبة الحقيقية الواضحة فى أعينهم ٠٠ وكانت تدور فى رأسى أسئلة كثيرة تلح على ٠٠ هل هذا اللقاء مرسوم ٠٠ هل ما قيل لى هو الحقيقة ٠٠ هـل أعد من قبل أم تورط المرافق فيه ٠٠ جلست فى الميكروباص بجوار الشـــباك أنظر شاردا الى مجاميع الاولاد والاطفال الحفاة يلعبون حولنا وينظـرون لنا باندهاش واستطلاع واقترب منى أحدهم ٠٠ لم أشعر به فى البداية حتى أصبح ملاصـقا لى ٠٠ ونطق بكلمـات قليـلة كانت كافية لحســم الموقف أمامى ٠٠٠ لقد عبر عن رأى عرب الناصرة ٠٠ رغم كل الحواجز والقيود ٠٠ قال « كسفتونـا » واستدار عائدا ٠٠٠

زرنا كنيسة البشارة ٠٠ كنيسة قديمة اقيمت حول بئر يســمى بئر العذراء ٠٠٠ ويقال أن العذراء بشرت بالمســيح عنده ٠٠ الجو الرهيب الخانق للاماكن المقدسة القديمة الشموع المتدلية للنـــذر ٠٠ السـيدات البسيطات الطيبات يدعون لنا ٠٠ شربنا من ماء البئر ٠٠ ومررنا بداخـل الكنسية ٠٠ ثم ذهبنا الى جامع الناصرة ٠٠ ســاهمت فى بنـائه الحكومة الاسرائيلية ٠٠ جامع فاخر ٠٠ مغطى بالسجاد ومعلق فى سقفه النجف ٠٠ وبه مكتبة اسلامية كبيرة ٠٠ على حد قولهم ثم ركبنا الميكروباص ثانيا ٠٠ فى رحلة العودة فى اتجاه عتليت ٠٠ فى الطريق الصاعد الى أعلى جبـــل الكرمـل حيث كيبـوتز « بيت عورين » كانت توجد العـربات الصـغيرة الواقفة بجوار الرصيف ٠٠ ومجموعات من الشباب والشابات الصغيرات يحبون بعضهم بعضا ٠٠ البعض غارق فى القبلات وفى مكان آخر كان أحدهم يرقد فوق زميلته يزاولان الجنس ٠٠ ابتســم المرافق وقال هــذه مسـألة شخصية ٠٠ وان كان اليهود الشرقيون أكثر تحفظا فى ذلك ٠٠ عموما هذه من مشاكلنا ٠٠ أقصد الفارق الحضارى بين اليهود الغربيين ٠٠ واليهود

الشرقيين ··· ولكن عموما الشرقيون يحاولون الان أن يسايروا التقـــدم الحضارى الغربى ···

وصلنا الى كيبوتز « بيت عرين » أنشىء عام ١٩٣٩ فى أعلى جبـل الكرمل ·· الليل تقدم ·· نسمات الهواء الباردة فى يوليو ·· أضواء صغيرة منتشرة فى الحدائق ·· جلســات عائلية حول مناضد صغيرة ·· موسيقى خفيفة منبعثة من ميكرفونات معلقة بين الاشــجار ··

دخلنا الى مبنى فخم مكون من عدة طوابق يســتعمل كموتيل للراحة والسياحة ··· المطعم صالة واسعة تشبه صـالة الطعـــام بالهيلتون ·· الاضواء المختفية ·· المناضد النظيفة ·· المضـيفات يتحركن بهدوء بين المناضد لابسات الميكروجيب ·· سيقانهن وأرجلهن مثيرة للغاية لاول مرة اشعر بأدميتى منذ ٥ يونيو بعد ما جلست على الكرسى الوثير أمام منضدة العشـــاء ···

ــ أريد أن أذهب لدورة المياه ···

دورة نظيفه جدا ·· حتى لو لم ترد فلتدخلها فهى بالمقارنة بدورات عتليت ·· بل بعنابر نوم عتليت هى الجنة ·· أنظر لنفسى فى المرآة لأول مرة منذ شهور طويلة ··· البنطلون واسع والقميص ضيق جدا يكاد تقطع أزراره ·· شعرى طويل ·· ضعيف جدا ·· خاسس ·· ما هذه النظرات البائسة ·· هل هذا الوقت أنا ·· مستحيل ·· الراحة تكاد تقتلنى ·· اليائسة ·· هل هذا الواقف أنا ·· مستحيل ·· الراحة تكاد تقتلنى ··

المضيفة تقدم لى طبق اللحم ·· تميل بجوارى ·· اشـعر برائحة البرفان المختلط بعرقهـا ·· اكاد أجن ·· صـدرها يظهر من خــلال ثوبها وهى منحنية ·· ساقها يلمس ساقى ·· انتصب ·· أخجل من نفسى ·· انحنى على طبقى أقطع اللحم أمضغه على مهل معدتى تؤلمنى ·· فى رأسى صداع شـــديد ·· قلبى يدق دقات متتـــالية اريد أن أفرغ ما بمعدتى ··· لا اشـــعر بالحديث الذى يدور حولى ·· أبحث بعينى عن المضيفة الفارعة ··· الزملاء يحاول كل منهم أن يخفى مشـــاعر ·· أحدهم يميل على · أولاد الكلب حلوين ·· ما رأيك فيهن ·· ؟ أصمت ·· يرتبك ·· تقع أدوات المائدة منه على الارض ···

نخرج الى الهواء الطلق الخارجى ·· اتنفس بعمق ·· الهواء البارد يدير رأسى ·· اشعر بتعب وخدر شديد فى جسدى ·· نركب الميكروباس ··

المرافق يحـاول أن يختتم الرحلة ·· بفتح الراديو ·· الموسـيقى الهادئة تنسـاب هواء البحر يتخـلل الشبابيك ·· أغوص فى مقعدى ·· مسترخيـا ·· أغمض عينى ·· ما الـذى أتى بنا الى هنـا ·· ملعون أبو الحرب ·· الموسيقى تتوقف ·· المذيع يتكلم هنا صوت أمريكا ···

ــ اليكم موجزا لاهم الاخبار العربية ·· المرافق يحـاول أن يغلق الراديو ·· يخجل ·· عموما انه صـوت أمريكا ·· لا فارق كبير ··

وكقطعة نشـاف امتصصنا الاخبـار ·· فى نهـاية النشـرة أو قرب نهايتها ·· المذيع يذيع خبرا بان الرئيس جمال عبد الناصر قال فى خطابه بان الحرب فى ٦٧ ما هى الا جوله يعقبها جولات ·· وأن الحرب لم تنته بهزيمه يونيو ·· أغلق المرافق سكرتير حزب المـاباى الحاكم الراديو بتوتر شديد ·· والتفت لنا يرد على عبد الناصر ···

ــ نحن مستعدون لاكثر من جولة ·· واحب أن أخبركم باننـا ومنذ حرب يونيو نتدرب استعدادا للحرب المقبلة ·· نحن نملك أسلحه سرية مدمرة لم نستعملها فى الحرب السابقة ·· لاننا انتصرنا ·· بالاسلحة التقليدية ·· ولم يستدع الموقف تجريبها ولكننا سنستعملها وعلى وعلى أعدائنا ·· كلمة قالها شمشون اليهودى وهو يهد المعبد نحن لدينا أيضـا ابحاث متقدمة فى معاملنا ·· يحضر من أجلها علماء أمريكا ليستفيدوا منا ·

وهنا كان الميكروباس قد دخل الى المعسكر ·· وكانت النوايا قـد وضحت تماما وأطارت الكلمات الاخيرة كل الخدر الذى كنا نشـعر به ·· ولذلك فلقد كانت خطبة الوداع سخيفة جدا وهو يتلوها غير حاسب لمـا حدث منذ دقائق حسـابا ·· كنا نسـتمع لعدونا وهو يقول :

ــ والان انتهت الرحلة ·· وكل شىء لابد وله نهاية ·· حتى وجودكم بيننا له نهاية وحتى عداؤكم لنا له نهاية ·· ونأمل أن تزورونا ثانيـا وقريبا ·· أخوانا سياحا حقيقيين ·· كلمات مرسومة سخيفة رغم كل الطلاءات العديدة التى كشفتها أضواء الحقيقة والتى أجبرته على كشف أوراقه فى لحظة غير مناسبة ···

استقبلنا الزملاء بأستطلاع شديد وتشوق لمعرفة ما حدث ‥ وقضينا ما تبقى من الليل نحكى قصة خطواتنا على الارض المحبوسة داخل اسرائيل ٠

تتابعت بعد ذلك الزيارات لباقى الاسرى ‥ وتنوعت لعكا وتل أبيب ويافا ٠٠٠ صور متكررة لما حدث لنا ولكن بتحفظ أكثر فيما يختص بتقابل المصريين مع الفلسطينيين فى اسرائيل ‥ وصاحب ذلك تغييرات كثيرة لحياتنا فى المعسكر لنبدأ مرحلة أخــــرى من أواخر يوليـــو وحتى أوائل أكتوبر ٠٠٠ فالاستجوابات اختلف طابعهـــا ٠٠٠ وتحولت الى مقابلات سياسية ‥ وصاحبها فى نفس الوقت محاضرات جماعية يلقيهـــا بعض المتخصصين وعرض أفلام سينمائية ‥ وحدثت بعض التغييرات فى نظام معيشتنا ‥ لقد احضـــروا لنا مراتب وكميـــات من القش لحشـــوها ٠ وتحسن الى حد ما الاكل ‥ فلقد ســـمحوا لنا بتناول بعض الفواكه مع الغذاء ‥ وكميات من المربى مع الجبن فى العشـــاء ‥ وأنتظم تموينا بصابون للوجه ‥ وأمواس للحلاقة ‥ وصابون للحلاقة ‥ بل أحضروا لنا بعض أدوات الترفيه طاولات وشطرنجات وكتاشين ‥ وخفت قيـــود الحراسة ‥ بل ولقد جاءنا من مصر خطابات من الاهل ووصـــلتنا طرود هدايا من الحكومة المصرية ٠٠٠ وطرود خاصة من أهالينا ‥ وأضيف للمقرر اليومى من الاذاعة أغنية « على بلد المحبوب وديني ‥ » وتعددت مرات اذاعة الاغانى ‥ ودخل المعسكر مجلات أخرى غير الجيروزليم بوست ‥ واليوم ‥ فلقد دخلت مجلة الكواكب ‥ وهى صورة من الكواكب المصرية والشبكة نفس المقالات ونفس الريبورتاجات ونفس الصـــور المسروقة ‥ كذلك هربت سرا جريدة « الاتحاد » جريدة الحزب الشيوعى ‥ وهى تندد بالاحتلال واغتصاب الارض وتحذر من العصـــابة العسكرية الحاكمة وتحكى قصصا للضغط على العرب فى الاراضى المحتلة وتذكرهم بمجازر دير ياسين ‥ وتحكى قصة أمام المسجد الاقصى الذى بكى فى صلاة العيد وقال « عيد بأى حال جئت يا عيد » ‥ وتجاوب الجماهير معه وقولهم الصبر ‥ الصبر ‥ ثم رعب المذيـــع الاسرائيلى واستـــدعاؤه الجيش ‥ وتعلق الجـــريدة على الرعب الاسرائيلى من مجموعة من العزل فتقول هل ستحرمون النـــاس حتى من حق البكاء ‥ ومنها أيضا عرفنا أن النائبين الوحيدين اللذين عارضا وندا بحرب يونيو فى الكنيست الاسرائيلى كانا من أعضـــاء الحـــزب الشـــيوعى ٠٠٠

هذه بعض التغيرات التى حدثت بالاضـــافة الى مد فترة الســـماح بالماء ‥ واصلاح دورات المياه الجديدة ‥ وحدثت فى حيـــاتنا تغييرات

أخرى هامة ٠٠ فلقد ابتدأت الملكات تتفتح لدى الضباط ٠٠ وظهرت أنواع عديدة من الفنون بأقل امكانات ٠٠٠

هـذا يرسـم ٠٠ لوحا جيدة خريج كلية الفنون ٠٠ فملأ جدران الحجرات بالنسوة العاريات ٠٠ وهذا يصنـع عرائس ويفتتح مسرحا للعرائس ٠٠ وآخرون يؤلفون الشعر وزملاء لهم يلحنونه ويغنونه وظهرت أكثر من موهبة غنائية ٠٠ وانتشرت حلقات الغناء في جميـع الحجـرات تستمع الى الصبان ومجدى وعمر ٠٠ واخرين ٠٠ وتكونت فرق موسيقية بالات بدائية ٠٠ واستمعنا الى أغانى محورة تحمل معانى جنسية أو فكاهية ٠٠٠

وبجوار هذا انتشرت الحلقات الدينية ٠٠ احضروا القرآن والاناجيل ٠٠ وتكونت حلقات القراءة ٠٠ وحلقات التفسير ٠٠ وحلقات الذكر ٠٠ وعم المعسكر نوع من أنواع التصـوف ٠

وبجوار حلقات التصوف هـذه ٠٠ كانت حلقات البوكر ٠٠ والمقامرة على السجائر ٠٠٠ وانتشرت الاسـواق الخلفية لتبادل البضائع ٠٠ الزنوبة بثلاث علب سجائر كبيرة وعلبة المربى بعلبتين والغيـار الداخلى بخمس علب ٠٠ وكانت الاسعار ترتفع وتنخفض حسب توفر السجائر من عدمه ٠

طلبت للاستجواب ٠٠ كان المستجوب شابا صـغيرا يتكـلم الانجليزية ٠٠ عرفنى بنفسه ٠٠٠ طالب بالدراسات العليا بالجامعة العبرية ويعد دكتوراه فى العلوم السياسية والإجتماعية ٠

ـ ما رأيك فى نظام الحكم فى مصر ٠٠٠ ؟

ـ ماذا تقصـد ٠٠٠ ؟

ـ الديمقراطية ٠٠٠

ـ عظيمـة ٠٠

ـ هل لديكم ديمقراطية ٠٠٠ ؟

ـ نعـم ٠٠٠

ـ وهل هذه ديمقراطية ٠٠ هل لديكم أحزاب ٠٠٠ ؟

ـ وهل الديمقراطية معناها احزاب ٠٠ ؟ هذا شكل قديم نظرى ٠٠ في الحقيقة الديمقراطية ترتبط أساسا بمن يملك السلطة الاقتصادية ٠٠ ف أمريكا مثلا هناك حزبان ٠٠ ولكنهما يخدمان نفس الايديولوجية ٠٠ ونفس الهدف ٠٠ وهو تسلط أصحاب رءوس الاموال الامريكية على الحكم ٠٠ ما الفرق بين الحزبين اللذين فى أمريكا ٠٠ كلاهما سيطر عليه بواسطة الأقوى اقتصاديا ٠٠ بواسطة أصحاب الملايين ٠٠٠

ـ فلنترك أمريكا جانبا ٠٠ انجلترا ٠٠٠

ـ أيضا الحزبان الرئيسيان المحافظين والعمال ٠٠ لا فرق بنما٠٠كلاهما يخدم نفس الغرض ٠٠ بل العمال اكثر رجعية من المحافظين ٠٠ جميع أعمال القمع التى عانت منها المستعمرات ٠٠ جميع أنواع الاستغلال والمظاهرات حدثت أثناء حكم العمال ٠٠ الاكثر دلالة على ذلك حكومات الظل التى تكونها الاحزاب خارج الحكم ٠٠ أين الديمقراطية فى هذا ٠٠ الحكم فى انجلترا رغم الهايد بارك ٠٠ ورغم البرلمان الانجليزى ٠٠ فى الحقيقة يتحكم فيه مجموعة من محترفى السياسة ٠٠ المسيطر عليهم بواسطة أصحاب رءوس الاموال الانجليزية ٠٠

ـ ما قولك فى أن المواطن الانجليزى قادر على سب ملكة أنجلترا ٠٠ ؟

ـ كل هذا كلام فى الهواء ٠٠ ما تأثير سب الملكة سوى تخفيف التوتر ٠٠ هل يغير ذلك الطبيعة الاستعمارية لانجلترا ٠٠ بالعكس لم تستطع ديمقراطية الهايد بارك أن تؤثر الا فى اباحة الشذوذ الجنسى٠٠

ـ لدينا هنا فى اسرائيل ديمقراطية ٠٠٠ (قالها بتحد) ٠٠٠

ـ واليهود الشرقيون ٠٠ والعرب الفلسطينيون ٠٠ وأهالى المدن المحتلة ٠٠٠ هل هذا رأيهم أيضا ٠٠ ؟ ٠٠ هل يزاولون حريتهم الديمقراطية مثلك أنت القادم من الغرب ٠٠٠

ـ بالتأكيد لهم حرية ديمقراطية ٠٠ الا بعض القيود الخاصة بأمن الدولة ٠٠٠

ـ هل تريد منى أن أتكلم بصراحة ٠٠.أم حديث بين اسير وآسره ٠٠؟

ـ لا ٠٠ وبصراحه فهنا من الديمقراطية ما يسمح لك أن تقول ما تريد ٠٠٠

ـ بعض القيود الخاصة بأمن الدولة هذه تزداد حتى تصل الى سجن وتحديد أقامة الاخرين كما حدث يوم ٥ يونيو ٠٠٠

ـ لا ·· هذا غير صحيح ·· العرب هنا لديهم الحرية الكاملة ·· عندنا هنا جميع أنواع الاحزاب ·· وكل منها له مجلته وجريدته ويطبع كل الكلام الحر ···

ـ يا سيدى الفارق أن ·· بامريكا حزبين ينفذان سياسة المليونيرات الامريكان ·· وهنا عشرون حزبا ينفذون سياسة التوسع لحساب المليونيرات الامريكان أيضا ···

ـ من قال هـــذا ··· ؟

ـ هذا هو ما كتبتم فى الكنيست « من الفرات الى النيل » ··

ـ لا هـــذا غير موجود ··

ـ وحروبكم ·· التوسعية أيضا غير موجودة ؟؟

ـ نحن لا نريد الارض المحتلة ·· نحن نريد السلام ···

ـ وهل يفرض السلام بالقوة ··· ؟

ـ نحن ندافع عن أنفسنا ···

ـ بالنابلم والاسلحة الهجومية والتكتيك الهجومى ·· والاستراتيجية الهجومية ·· هل تنكر ان استراتيجيتكم مبنية على الهجوم ونقل المعركة الى أرض العدو ··· ألم تبدأوا الحرب ثلاث مرات ثم تقولون نحن ندافع عن انفسنا ··· !

ـ خرجنا عن موضوعنا ·· هل عندكم ديمقراطية ··· ؟

ـ الديمقراطية الاشتراكية ·· تخالف الديمقراطية الغربية ·· فى الدول الاشتراكية هى تحالف ·· فى الدول الغربية هى تصارع ·· والتصارع يبدد القوى فى تفاهات والتحالف يدعم القوى الحقيقية المنتجة فى الدولة وهم العمال والفلاحون ضد القوى الاستغلالية والطبقات غير المنتجة ··· فى بلدنا الديمقراطية هى تحالف بين القوى المنتجة من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين ·· وعن طريق هذا التحالف تتحقق آمال وأهداف الطبقات الكادحة فى حياة أحسن ·

هذا عظيم جدا ·· ولكن نظريا ·· هل تتصور يا عزيزى أن الفلاحين والعمال المتخلفين حضاريا ·· الذين هم فى الاغلب يجهلون القراءة والكتابة ·· وهم الذين يشكلون ٥٠٪ من أعضاء التنظيمات السياسية قادرون على تحقيق هذه الحياة الاحسن ·· هل يفهمون فى الاقتصاد والتخطيط والادارة والقانون ···

الفلاح الجاهل المتخلف بالطبع لا يفهم فى القانون والادارة والاقتصاد ولكنه يفهم مشاكلة جيدا ويفهم ماذا يريد ٠٠ وهو فى التنظيم يحقق ما يريد ٠٠ حقا لم نصل بعد الى العامل والفلاح المؤثر ولكن هل تتصور أن هناك عصا سحرية تضربها فتحول العمال والفلاحين الى أساتذة فى القانون والادارة بالطبع لا توجد لدينا هذه العصا ٠٠ ولكن لدينا ما هو أكثر جدوى وهو الزمن والممارسة ٠٠ فخلال ممارسة العامل والفلاح للعمل السياسى فى وحدته الصغرى يتعلم ويثقف وينضج ويصبح أكثر صلابة عند انتقاله لوحدته الاكبر ٠٠ فيشارك فى سياسة اقليمية ٠٠ حتى يصل الى أعلى مستوى يصبح فيه قادرا على التخطيط لتسيير مستقبل وطنه ٠٠ أن الممارسة والزمن كافيان لان يجعلا فلاحينا وعمالنا زعماء سياسيين قادرين على تسيير دفة بلدنا ٠٠

أيضا هذا الكلام نظرى نفلاحو وعمال التنظيمات الشعبية منفصلون عن الشعب والمجتمع قانعون بما وصلوا اليه من رفاهية ٠٠٠

لن اجادل فى هذا أيضا ٠٠ ولكن هذه الظاهرة ستزول عندما يكتشفهم ناخبوهم ومع الزمن سيحدث تطور وستصحح هذه الاخطاء وقد يكون ما حدث أمس كافيا لا حداث التطور ٠٠ كما حدث بعد حربنا معكم سنة ٤٨ ، سنة ٥٦ ٠٠٠

أنت عنيد ٠٠ وتردد كلاما مملى عليك ٠٠٠

لا ٠٠٠٠٠

ماذا اذن لا تقتنع ٠٠ لقد غسلوا لك مخك جيدا" ٠٠

هذه خرافة ٠٠ والا فانا بين يديك اغسل لى مخى ٠٠٠ !!!

وضحكت ٠٠ فضحك وانتقل الى موضوع آخر بعد ان نظر فى الورقات التى أمامه ٠٠

أشتراكيتكم ٠٠ هل عندكم أشتراكية ٠٠ ؟؟ ٠٠ بالمناسبة نحن لدينا الاشتراكية الحقيقية فى الكيبوتزيم ٠٠ هل زرت الكيبوتزات ٠٠٠

نعم زرت بعضها ٠٠ فى الحقيقة الكيبوتز مستعمرة تعاونية عسكرية فرضها الواقع العسكرى الذى تعيشونه ٠٠ وهى مبنية على فلسفة دين العمل لجوردن لا تتصل بالماركسية من قريب أو بعيد ٠٠ ألا فيما تنتجه الحياة

الجماعية من فوائد .. ولقد قال بن جوريون احد المؤسسين لهذا النظام عندكم .. عندما يصبح عمال اسرائيل وحراسها من صفوفنا تصبح الارض لنا .. ولهذا أسستم مستعمراتكم العسكرية الزراعية ... من اجل ربط اليهودى التاجر بالارض وتحويله لمزارع أو عامل وانشأتم نظاما دفاعيا يسمح بالعمل والدفاع ...

هذا صحيح فى البداية .. ولكن لا تنس أن الذين ساعدونا فى البداية كانت الدول الاشتراكية ندن حاربنا سنة ٤٨ ببنادق تشيكى ... !!

الدول الاشتراكية ساعدتكم لتصور خاطىء جعلها تعتقد انكم ستصبحون نقطة انطلاق الاشتراكية فى الشرق نظرا لتجاوركم مع حكومات أقطاعيه رجعية .. ولكن مع الوقت ظهر أنتماؤكم الحقيقى اولا لانجلترا وفرنسا .. ثم والان لامريكا ... ما رأيك ... !!

ـ اكمل ...

ـ وعلى هذا الاساس تقف اليوم هذا الموقف الشريف بجوار شعوب المنطقه المجاورة لكم ... كى تحميها .. !!!

ـ تحميها ممن ؟؟ ...

ـ منكم ...

ـ لا أفهم ...

ـ من أهدافكم التوسعية لحساب أمريكا ...

ـ يجب أن تجيب على سؤالى .. لماذا ساعدتنا الدول الاشتراكيه أساسا ؟؟

ـ عدا ما ذكرته فلا أعرف ... سأسأل لاعرف ..

ـ ستسأل من ... ؟؟ ..

ضحكت وقلت له : السؤال لمعلوماتى الخاصة ولن تعرف الاجابة بالطبع ... سأسأل عندما أعود .. عموما .. اشتراكية الكيبوتز اليوم هى نوع من الاستغلال الرأسمالى الجماعى . فباسم الامن القومى لاسرائيل يعمل آلاف الشبان فى أسرائيل لصالح أصحاب الملايين الامريكان ولصالح المجموعة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة..أما عندنا..فاشتراكيتنا حقاق دور

التجريب ولكنها اكثر صحقا ٠٠فالدولة كلها تتبع النظام الاشتراكى فى التخطيط والتسيير ٠٠ووسائل الانتاج ملكية شعبية ٠٠وان كانت هناك بعض السلبيات فانتم لكم دور كبير فيها ٠٠ فانتقالنا من حرب الى أخرى واستعداداتنا الدائمة للقتال تحت وقع التهديد المستمر ٠٠يستقطب جزءا كبيرا من ميزانيتنا ومنجهدنا لو اننا وجهناهما تجاه التنمية لتقدمنا كثيرا فى طريق المجتمع الاشتراكى ٠

ـ لماذا لا نوفر ما ندفعه نحن وما تدفعونه للقتال ونعيش فى سلام نبنى بلدينا ٠٠٠

ـ هذا أقصى ما نتمناه ٠٠ ولكن هل ستتركوننا نعيش حقا فى سلام اشك كثيرا ٠٠ لان دوركم الذى حددته لكم أمريكا فى المنطقة لا يسمح بذلك وأنتم منفذو ٠٠ السياسه الامريكيه هنا ومرتبطون بهـا ارتباطا كاملا

ـ لماذا لا نترك أمريكا ٠٠ وتتركون روسيا ٠٠ ونتصافى ونعيش فى سلام ٠٠

ـ يمكننا ان نترك روسيا ٠٠ لانه لا تربطنا بها اى ارتباطات مثل ارتباطكم بالسياسه الامريكية هل تستطيعون حقا أن تتخلصوا من ارتباطكم ٠٠ لا أعتقد يا عزيزى أن تفقدوا كنز الذهب الذى يتدفق عليكم فيتحول لمصانع ومستشفيات ومفاعلات ذرية ومشاريع رى ٠٠ وسلاح وتتوسعون به ٠٠ من أجل ماذا ؟؟ ٠٠ من أجل السلام ٠٠ ؟؟ وفرضا ان هذا ما تريدونه ٠٠ فلتتركوا لنا أراضينا التى استوليتم عليها بعد ٥ يونيو ثم نتفاهم ٠٠٠

ـ يا حبيبى والله ٠٠ والله نحن لا نريد أرضكم نحن نريد ان نجلس معا حول منضدة واحدة ٠٠

ولنقف قليلا لمناقشة هذا الحوار ٠٠ لقد كنا من الجيل الذى تفتح على الثورة ٠٠ وعاصر انتصاراتها ضد الملك والاستعمار والاحلاف العسكرية ٠٠ وكان يفخر بتأثير ثورته على شعوب العالم فى افريقيا وأسيا وأمريكا الجنوبية ٠٠

وهو الجيل الذى لم يمارس السياسة فلقد كان عبد الناصر فى نظر جيلنا أول مصرى يحكم مصر ويقودها بدراية وحكمة وسط الزوابع ٠٠

كان الميثاق والنظام المصرى فى نظرنا هو أرقى الصيغ التى تلائمنا وكان واجبنا هو أن نحفظ هذه الصيغ ونرددها دون أى تفكير كما نحفظ شعائر ديننا ولا نسمح لأى مخلوق كان بمناقشتها ٠٠ وعن اقتناع وعن ايمان ٠٠ ولذلك فعندما قيل لى انه لا توجد فى بلادنا ديمقراطية أو اشتراكية لم أكن استطيع الا الدفاع عنها حتى ولو كنت أسيرا فى يد أعداء قد يؤدى اصرارى هذا الى ايذائى ٠٠ وحتى بعد هزيمة عسكرية قاسية كشفت مدى ضعف الحكم وهزتنا من الداخل هزات عنيفة وحتى بعد أن قررت أن أراجع كل معتقداتى وأفكارى التى كونتها خلال الخمس عشرة سنة السابقة على الهزيمة٠

بعد أيام استدعيت لمناقشة مع أستاذ العلوم السياسية والشرق الاوسط بالجامعة العبرية ٠٠٠

نفس البداية ٠٠ نفس النهاية ٠٠ ولكنه حضر لكى يسألنى سؤالا لم يستطع تلميذه أن يسألنى اياه ٠٠ وهو « هل فكرت ٠٠ لماذا تساعدكم روسيا ؟؟ » ٠٠٠ وأجبت عليه بسؤال آخر بعيدا تماما عن موضوعنا ٠٠ هل انت مؤمن ؟ ٠٠ اعنى ٠٠ هل تؤمن بوجود الله ؟ ٠٠٠

- صمت قليلا ٠٠ ثم تردد ٠٠ ثم قال ٠٠ « لا » ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ ثم أردف هذه خرافات ٠٠٠
- هل يوجد مؤمنون كثيرون هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠
- البعض مؤمن ٠٠ ولكنه ليس متدينا ٠٠ والبعض مؤمن ومتدين ٠٠
- لماذا هم غير متدينين ٠٠ ؟؟ ٠٠
- تعاليم ديننا صعبة ٠٠ بمعنى أن فى يوم السبت ممنوع على المتدين أن ينقل كرسيا من هنا للشارع ٠٠ لانه يعتبر عملا ٠٠
- معنى ذلك أن عددا كبيرا منكم غير مرتبط باليهودية ٠٠
- نعم ٠٠٠
- لماذا أنتم هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠
- نحن تربطنا الروح اليهودية ٠٠ !!
- ميتافيزيقيا ايضا ٠٠٠ !!! ٠٠٠
- لماذا اذن نحن هنا ٠٠ ؟؟ (سألنى لينهى المناقشة ويصل الى ما أريد)
- انتم هنا من أجل واقع اقتصادى أنتم هنا رأس حربة للرأسمالية

العالمية قريبا من أسواق الشرق الاوسط وأماكن انتاج المواد الخام .. أنتم هنا قاعدة عسكرية متقدمة تسد الفراغ بين حلقى الناتو والسنتو .. لسد فراغ أيزنهاور اتذكرونه .. لاحتلام أماكن .. الدول الاشتراكية . هل فهمت لماذا تساعدنا روسيا ... ؟؟

ـ لا ...

ـ هل اخطأت فيما قلته سابقا ...

ـ قريبا من الصواب ...

فلنبدأ القصة من اولها .. الاتحاد السوفيتى ايديولوجيته الاساسية تتنبأ بأن العالم سيصبح اشتراكيا يوما ما كمرحلة لانتشار الشيوعية العالمية ... وذلك نتيجة لصراع الطبقة العاملة ضد الرأسماليين .

ـ هذا صحيح ...

ـ يمنع انتصار الثورة الاشتراكية فى العالم بعض الحقن المخدرة التى اعطتها الراسمالية لطبقاتها العاملة على هيئة بعض الامتيازات .. من أين احضرت هذه الامتيازات .. من استغلال الشعوب المستعمرة .. معنى هذا أنه لو انتهى الاستعمار فلن تستطيع الرأسمالية الوفاء بالتزاماتها تجاه عمالها معنى هذا أنه ستزداد حدة التناقض الذى سينتهى بثورة للطبقة العاملة ضدها ..

ـ هذا غير صحيح لان العمال لا يتقاضون مرتباتهم من المستعمرات ..

ـ ولكن الرأسماليين يجمعون أموالهم من المستعمرات والتى وفى غيابها سيتحولون الى استنزاف ما تبقى من دماء عمالهم مما سيزيد التناقض فيثوروا .. وبذلك سيفجر العالم بثورات اشتراكية متتالية تؤذن بقدوم العالم الشيوعى .. معنى ذلك أن نهاية الاستعمار هو نهاية الرأسمالية . ومحاربة الاستعمار هو خطوة فى سبيل الاشتراكية من وجهة نظرهم أننا قد التقينا .. نحن وهم لا نريد استعمارا لبلادنا .. ولا نريد استعمارا فى منطقتنا .. ولذلك فهم يساعدوننا .. يعطوننا السلاح لندافع به عن أنفسنا ضدكم ...

وهنا وقف وقد اصفر وجهه .. ومد الى يده مصافحا وقال .. أختلف معك فى الرأى ولكننى لا أستطيع إلا أن أحترمك .. شكرا ..

استدعانى أحدهم للاستجواب .. وبعد الاسئلة اللازمة لتلطيف جو الحديث وبعد أن أعطانى سيجارة أمريكية فاخرة وزجاجة عصير برتقال مثلجه .. قال لى ..

ــ بالطبع تريد أن تعرف ماذا دار فى مصر بعد الحرب ...

ــ ... .

ــ الرئيس عبد الناصر تنحى وخلفه زكريا محيى الدين ..

ــ ... .

ــ حدثت بعد ذلك مسرحية .. بكى الرئيس فى التليفزيون وبعد ذلك بعشر دقائق كانت الكاميرات تنقل المتظاهرين وهم ذاهبون له .. والراديو يذيع بيانات التأييد والتلغرافات مباشره .. ألست معى أن انتقال معدات التليفزيون لنقل الاحداث يحتاج الى مدة .. هل كانوا يعلمون بأن الشعب سيخرج ...

ــ ... .

ــ زكريا رفض المنصب وقال انه لا يقبل غير عبد الناصر رئيسا هو والشعب المصرى

ــ ... .

ــ فى مصر خافوا من انقلاب فاطلقوا صفارات الانذار وصوروا أن هناك غارة واطلقت المدفعية طلقاتها على أهداف مزورة ...

ــ ... .

ــ يوم ٩ ، ١٠ يونيو

ــ ... .

ــ البلد الان فى فوضى شديدة .. زادت الاسعار .. ولا يوجد ما يكفى من الاحتياجات الاساسية للمعيشة .. الناس فى ذعر وفوضى

كانت هذه المناقشات صورة لما حدث للاخرين أيضا .. ولك أن تتخيل البدايات والنهايات المختلفة التى حدثت مع باقى الاسرى .. والتى كان لها ردود أفعال ومناقشات لاأول لها ولا أخر .. فمثلا تعليقا عما سمعناه عن أحداث ٩ ، ١٠ يونيو ..

ــ البلد فى فوضى ...

ــ يا أخى انت عند عدو ...

ـ يجب أن تكون هناك فوضى فعلا ٠٠ أنا لا أستبعد هذا الكلام
ـ ولكن هل المظاهرات حقيقة ٠٠٠
ـ لماذا لا تكون حقيقة ٠٠٠
ـ هل فعلا التليفزيون كان يعرف فنقل المظاهرات بهذه سرعة ٠٠
ـ والتلغرافات هل تصل بهذه السرعة ٠٠٠
ـ فعلا هى مسرحية ٠٠٠
ـ وهل بلدنا يمكنها الان ان تستمر بدون عبد الناصر ٠٠٠
ـ وهل الذى خلقه لم يخلق غيره ٠٠٠
ـ خلق غيره بالطبع لكن هل بلدنا تحتمل التخريب فى هذا الوقت الحرج٠
ـ يتركنا فى حالنا ٠٠ مائة آخرون يستطيعون ٠٠٠
ـ صدقنى ٠٠ هذه مصيبة حقيقية ٠٠٠
ـ لا مصيبة ٠٠ كان من الممكن أن نعيش أحسن بدونه ٠٠٠
ـ والله أنا غير مصدق لما حدث ٠٠ كلام يهود ودعاية ٠٠٠
ـ ولماذا يكذبون ٠٠٠٠
ـ لان من صالحهم أن تتصور بلدك فى فوضى فتستسلم لهم ٠٠٠
ـ يجب أن تكون فوضى ٠٠٠
ـ كانوا وصلوا القاهرة ٠٠٠
ـ غير معقول لان الشعب ٠٠٠
ـ شعب ايه ياعم ٠٠٠
ـ الشعب الذى حارب فى بور سعيد ٠٠٠
ـ بور سعيد يا ساذج ٠٠ اسكتوا ٠٠ اتركونا فى مشاكلنا ٠٠٠

وهكذا كانت دائما ما تثور مناقشات حول امكانيات الحل السلمى ٠٠ التناطح مع امريكا التفاوض مع اسرائيل ٠٠ حق شعب فلسطين فى العودة ٠٠ تحالف العرب والدول الشرقية هل الحرب هى أحسن الحلول ٠٠٠

تبع ذلك تصنيف للضباط يمكننى أن أتصوره كالاتى ٠٠ قسم يناقش بمنطق ويحاول أن يفهم وان يوضح ٠٠ وقسم لا يريد أن يناقش فيوافق على كل ما يقال له ٠٠ وقسم لا يريد أن يستمع حتى لما يقال ٠٠ وابتدات التيارات اليمينية واليسارية والمعتدلة تظهر بوضوح خلال المناقشات ٠٠

ثم تتصارع وتعلو الاصوات وتنخفض ٠٠ ويختلى كل اثنين فى جانب للتدارس وتتسع الدوائر ٠٠ وتنكمش ويزيد المناقشات تأججا ضابط قادم من الاستجواب ٠٠ فقد كانوا يدرسون الاتجاهات والمناقشات والنقاط التى يحدث عليها الصراع ثم يحضرون لها ٠٠ ويدفعونها فى الاتجاه الذى يريدونه عن طريق من طرفهم ٠٠ وقد تسألنى كيف كانوا يعرفون المناقشات التى تدور فى معسكر مغلق ٠٠٠

كانت لهم أكثر من طريقة لذلك ٠ الاولى سؤال مباشر لاحد الضباط الذين استطاعوا اجتذابهم ٠٠ ماذا تقولون ٠٠ ؟ ٠٠ والثانية ٠٠ طرح نقطة للبحث على جميع المستجوبين ثم يحضرون أفرادا من شرائح مختلفة فى المعسكر ويناقشونهم فى هذه النقطة ٠٠ والثالثه كانت بالتقاط سؤال من احد الضباط لهم أثناء استجوابه أو مناقشاته ٠٠

كذلك أصبح للاستجواب فى هذه الفترة دور جديد ٠٠ وهو ترويج الاشاعات قد تتصور أن الامر بسيط ٠٠ ما هى الاشاعات التى يمكن ترويجها ٠٠ ؟؟ ٠٠ ولكن فى الحقيقة كانت الاشاعة سلاحا حاسما فى تعذيبنا ٠٠ استعملته المخابرات الاسرائيلية بمهارة شديدة ٠٠ وكانت ابرز اشاعة لها تاثير فى هذه المرحلة هى اشاعة العودة ٠٠

ـ متى سنعود ٠٠٠ ؟؟
ـ قريبا اقرب مما تتصورون ٠٠٠ ؟؟
ـ ٠٠٠ ٠٠٠
ـ فى حدود شهر ٠٠

ويعود حامل الاشاعه لينشرها سرا ٠٠ ثم تتزايد همسا ٠٠ وتتناقلها الاذان ٠٠٠ ويؤكدها آخرون حضروا من الاستجواب ٠٠ ويمر شهر ٠٠ ولا نعود ٠ لماذا ٠٠٠ ؟؟

ـ الحكومة المصرية لا تريدكم ٠٠٠ !!
ـ معقول لا يريدوننا ٠٠ نحن اولادهم ٠٠٠
ـ لا يريدونكم لانهم يخافون منكم أن تقولوا الحقيقة ٠٠٠
ـ وهل الحقيقة أصبحت خافية ٠٠
ـ النظام قلق ولا يحتمل البلبله ٠٠

ـ وهل لدينا القوة لخلق بلبلة ...

ـ هذا رأى حكومتكم ...

ويتقلب التفاؤل الى ضده .. ونصاب بحالة سوداوية وقلق وقرف .. بعدما كنا قد أعددنا انفسنا للعودة .. وتمر الأيام ونعتاد على سجننا .. ليطالعنا أحد المستجوبين ...

ـ المباحثات تقدمت وستعودون لبلادكم ...

ـ ... ...

ـ خلال الاسابيع القادمة ..

وترتفع حالتنا المعنوية الى أقصى درجة .. ونصاب بموجة تفاؤل تعم المعسكر لتنتكس ثانيا ...

ـ اختلفنا ثانيا ...

ـ لماذا ...

ـ من أجل ثلاثة جواسيس .. تصوروا لا يريدون مبادلة ٥٥٠٠ أسير بثلاثة جواسيس .

ـ لهذه الدرجة ؟؟

وتدور الاحاديث .. ما هذا الاستهتار .. لا أصدق ...

ـ بل صدق الفرد عندنا لا يساوى شيئا ...

ـ لو كان ابن أحدهم معنا لرجعنا من مدة طويلة ...

ـ اللواء ياقوت دفعة الرئيس لا يعقل أن يتركه عنا ..

هذا ما حدث ....

وهكذا ترتفع حالتنا المعنوية وتنخفض فى فترات متتالية متقاربة أو متباعدة حسب المخطط الاسرائيلى الموضوع لتدمير جهازنا العصبى لاتمام خطتهم ..

الحراس الاسرائيليون يضحكون .. المستجوبون يبتسمون بسعادة شديدة .. الاذاعة المحلية تفتتح قبل ميعادها بمدة .. المذيع يذيع تعليقات ساخرة .. قالت السيدة أم كلثوم أنها لن تغنى الا فى تل أبيب قبل حرب يونيو .. والاذاعة الاسرائيلية يسرها أن تتيح للسيدة أم كلثوم

الفرصة للوفاء بوعدها للغناء فى تل أبيب خصوصا وان هناك اكثر من مليون من العرب فى انتظارها واكثر من ٥٥٠٠ مصرى أسير بعتليت يتمنون سماعها تغنى لهم ...

نشرة الأخبار : أذاعت اذاعة القاهرة بأن المشير عبد الحكيم عامر قد انتحر خبر من بيروت بأن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر قد استقال .. وفى هذه المرة كان رد الفعل مخالفا تماما لكل التوقعات .. فلقد تصاعدت الهتافات من عنابر الجنود ...

- تسقط الاذاعات الكاذبة ...

- عاش الرئيس .. عاش المشير ..

ثم تلتها هتافات من عنابر الضباط ...

- تسقط الاذاعة الكاذبة ...

- لا رئيس غير جمال ...

الضباط يبكون .. الوجوه مصفرة .. كل منا يبكى .. بلدنا تسقط فعلا ....

- وايه يعنى لما يموت ، عشرون الفا ماتوا في سيناء .

- بلاش كلام فارغ ...

- كان رجلا طيبا ...

- الى أين يا بلدى .. مات المشير .. واستقال الرئيس ...

- وهل تركه الرئيس ينتحر .. انها عشرة عمره ..

- رجل شريف .. رفض تقبل الهزيمة ...

- الصدمة كانت أكبر منه ...

الجنود فى حالة هياج شديد .. يقذفون الابراج بالحجارة .. هتاف واحد لـ ٥٥٠٠ اسير - ناصر .. ناصر .. ناصر ..

اليهود يلبسون الخوذ .. فى حالة ارتباك شديد .. بعض كبار ضباطهم ينزلون المعسكر فجأة ويهددون بحرماننا من سماع نشرات الاخبار ..

وفى اليوم التالى انتظرنا النشرة ...

أخبار بيروت المشير لم ينتحر .. وانما انتحر ...

الهتافات تعلو قبل انتهاء الجملة .. عاش المشير .. عامر .. عامر .. يحيا عامر .. هس .. هس ...

أخبار بيروت تكذب خبر أستقالة الرئيس عبد الناصر ...

ناصر .. ناصر .. ناصر ..

ـ يعنى أيه انتحر ...

ـ يعنى ضغطوا عليه لينتحر ...

ـ يعنى مات ...

ـ تسقط الاذاعات الكاذبة ... تسقط الاذاعات الكاذبة ...

ـ لا رئيس الا ناصر .. ناصر .. ناصر ...

اليهود فى غيظ شديد ..

ـ عائدون لك يا فلسطين ..

ذهول بين الضباط ... بعضهم يبكى ...

ـ لماذا تبكى ..

ـ ألم تستمع لهذه المصيبة ...

ـ المشير كان يجب أن يفعل هذا ..

ـ ولماذا تركوه ينتحر ...

ـ كى لا تظهر الفضائح ...

ـ يعنى مات حقيقى !!

ـ ولماذا لا ...

اليهود يطلعون اللواء ياقوت على رسائل وكالات الانباء المختلفة .. وهى تقول أنه فعلا مات .. الاذاعة الاسرائيلية تدافع عن المشير الان أصبح بطلا ..

ـ وما الذى قالوه عنه من قبل ...

ـ هذه اذاعة موجهة لنا فقط ...

ـ لا .. فهى اذاعة عالمية لا تكذب ...

ـ يقال ان هناك مؤامرة وقبضوا على ضباط كثيرين ..

ـ مثل من ... ؟

ـ صلاح نصر .. وجلال هريدى .. وعثمان نصار .. وشمس بدران ..

ـ لا يعقل هذا ...

ـ اللواء ياقوت رأى أوراق وكالات الانباء ...

ـ الان .. هل هذا وقت مؤامرات .. ؟؟

ـ ممكن ...

ـ ياناس البلد فى أزمة ...

ـ من أجل تغطية ما فعلوه فى سيناء ...

ـ هذا كذب

ـ الرجل قرأ رسائل وكالات الانباء ....

ولتخفيف الضغط .. تحسنت أصناف الطعام .. وزادوا لنا القرش فى المراتب .. واحضروا لنا دفعة من خطابات مصر وطرودها .. واحضروا لنا أيضا طرودا من الحكومة المصرية وخفت الازمة تدريجيا .. حتى تنسينا ما يحدث فى القاهرة ...

وفى يوم قالوا انهم قد أحضروا لنا سينما .. أخذ كل منا بطانيته او جردل التبول الليلى .. وجلسنا صفوفا على الأرض أمام شاشة للسينما .. ننتظر ...

عرضوا علينا اول فيلم .. عن الكيبوتزيم ... العمل بداخله ... الغذاء .. الراحة ثم مناقشات الاجتماعات .. وفى أخر هذه المناقشات وقفت سيدة تقول .. أريد أن يكون لى منزلى ـ أطفالى ـ زوجى .. أريد ان أعيش حياة خاصة أربى أولادى وارعاهم وأراعى زوجى .. نعيش فى فقر فى يوم ونفتنى فى يوم .. ناكل ما نريد نلبس ما نريد ـ حقا الحياة فى الخارج أكثر صعوبة ولكننى أريد أن اعانيها ...

ثم فيلم آخر . عن حياة البدو فى صحراء النقب وقسوتها وكيف يقدم الاطباء الاسرائيليون كل رعاية لهم .. بل يخاطرون بحياتهم فى الصحراء من أجلهم .. ثم أنواع الرعاية الاجتماعية المختلفة قوافل الصحة وقوافل التعليم .. وقوافل الاعاشه المستمرة فى النقب .. وتصل قمة الدعاية عندما يلحق مواطن بدوى بالجامعة العبرية ويصبح طبيبا يقوم برعاية أهله .. وفى النهاية هكذا تصبح اسرائيل رسول الحضارة بين هؤلاء العرب المتخلفين .. ولكن ما ننبهم .. هذا الفيلم ناطق باللغة العربية .. أى أنه موجه أساسا لعرب فلسطين ...

فيلم آخر عن المشروعات الاساسية لتعمير النقب . مصانع البوتاس على البحر الميت مشروعات رى النقب وتحويل نهر الاردن .. ثم فيلم عن اعداد المظليين الاسرائيليين وتدريبهم .. وهو فيلم شبيه بالفيلم المصرى عن اعداد المظليين المصريين .. ومجموعة من أفلام الدعاية الواضحة التى اضجرتنا . فى نهاية السهرة قمنا نسب لهم ولهذه السينما السخيفة التى صدعوا بها رءوسنا .. وبطبيعة الحال وصلتهم تعليقاتنا .. ولكنهم

بالتأكيد كانوا يعرفون أن هذا سيكون رد الفعل بدليل أنهم أفرغوا جميع أفلام الدعاية المباشرة فى سهرة واحدة ٠٠ ثم أصبحوا يعرضون علينا أفلاما طويله بعد ذلك فيلم كل أسبوع ٠٠٠

فى منتصف الأسبوع التالى طلبونا لحضور محاضرة أو ندوة ٠٠ وكان موضوعها اللغة العبرية وعلاقتها باللغة العربية ٠٠ محاضرة طويلة عن قرابة اللغتين فهما من أصل واحد ٠٠ فى اللغة العبرية تقول آحاد ٠٠ اشنين ٠٠ ثالوث ٠٠ رباع ٠٠ خمشه ٠ فى اللغة العربية تقول رجـــل ٠٠ فى العبرية يقولون رجال ٠٠ وهكذا أمثله كثيرة لا أتذكرها جيدا ولكننى كنت موافقـا عليها ٠٠ فبالفعل اللغتان نشـأتا فى منطقة واحـدة ولابد أنهما قد تأثرتا ببعضهما ٠٠ كما حدث بين الفرنسية والايطالية والاسبانية ٠٠ ولكن المحاضر يتبع ذلك بأننا أبناء عمومة ٠٠ وأنه ولابد أن يحل السلام والتفـــاهم بين أبناء العمومة وعموما كفانا المحاضر مئونة تحليل ما يريد ان يصـــل اليه فلقد اوجزها هو بنفسه فى نهاية المحاضرة عندما قال ٠٠ وسواء رضيتم أم لا ٠٠ وسـواء كان هـذا اليوم (قريبا أو بعيدا) الذى سنتفاهم فيه ونتبادل المصالح التجارية والصناعية ٠٠ فأنه من الضرورى عمل جسر بين اللغتين بدايته عمل قاموس للغة العربية العبرية ٠٠ ونحن ندرس اللغة العربية فى مدارسنا كلغة أولى اجبارية لكل طلاب المدارس فى اسرائيل ٠٠ وسنعقد دراســات للعرب فى اللغة العبرية ٠٠ فى الضفة الغربية وفى الجولان ٠٠ وفى قطاع غزة وســـيناء ٠٠٠

وتطورت حياتنا ٠٠ فلنأخذ يوما من هذه الايام ٠٠ عقليت الساعة ٧ صباحا الحجرة رقم (١٠) ٠

ـ يا حضرات برتيتة البوكر جاهزة ٠٠

ـ يا أخى قول يا صبح ٠٠ بوكر ٠٠ بوكر ٠٠ بوكر ٠٠ انتم ايه ٠٠!

ـ احنا ورانا ايه ٠٠ واحد ٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ٠٠ والرابع رفع رأسه من تحت البطانية ٠٠ الا أونه ٠٠ الا دوه ٠٠

ـ فـــرق ٠٠

ـ صباح الخير يا حضرات ٠٠٠ الفطار ٠٠٠ الفطار ٠٠

ـ والنبى خذ لى ٠٠٠ معـك ٠٠٠

ـ لا قوم انت ٠٠٠

ـ لما اخلص الدور ده ٠٠٠

ـ من يلعب بريدج ...

ـ الطاولة من حقنا اليوم .. أمس كانت فى الحجرة رقم (٩) ..

ـ أحضرها يا مجدى ...

ـ نعمل دورى ...

ـ أنا أخذت الدورى مرتين والرائد توفيق مرة .. ومحمود مرة ..

ـ نعمل القرعة لتحديد اللاعبين ...

ـ انت يا جدع انت مش دبلى تستقرق وتطفى النور ...

ـ أنا حر يا أخى اسهر زى ما أنا عايز ...

ـ تصوروا فى الحجره رقم (٨) كانوا حاطين جردلين واحد للميه والتانى للتبول وأحد منهم قام فى الضلمة تبول فى جردل الميه وشرب من جردل البول ...

ـ يا شيخ محمد الشهارده حمد نقرا شوية فى الاوده ١٢ ...

ـ العب معاكم ...

ـ لا أعملوا برتيته تانية ...

ـ أنا عندى صولد محترم سجاير العال مش سيلون ولا ناديف ...

ـ شارك الدكتور ...

ـ نعيما يا عم ... هل توجد مياه فى الحمامات ..

ـ ميه جميلة .. حلقت فى الاوده ٦ واستحميت ...

ـ ثمن علبة المربى دلوقت ثلاث علب سجاير بلمونت صغيرة ..

ـ وبكره ترخص كمان لما الناس تخلص سجاير ...

ـ أنا محتفظ بالسجاير لغاية مترخص خالص وحشترى بها غيارات..

ـ يا أخى خلى عندك دم .. زملائك بيشمشموا على سيجارة وانت لا تدخن ومخزنها عندك .

ـ ايه حقى أنا لا ادخن أكل مربى .. أشرب عصير .. أشترى غيارات ..

ـ وزميلك يبقى بدون غيارات ..

ـ والله مزاجه هفه على كده .. يايدخن .. يايلبس .. حد ضربه على ايده ..

ـ تلاعبنى عشره طاولة بعلبة بلمونت كبيرة ...

ـ لا صغيرة ...

ـ تعالى احكى لك حكاية ...

ـ عارفها القائد سـابك ٠٠ ومشى وتهت فى الجبل ٠٠ وكنت حتموت من العـطش ٠٠

لا ٠٠٠ ده فوزى بيقول ان الاتفاقية وقعت ٠٠٠

ـ ياعم والله ما عايزينكم احنا حنفضل هنا طول العمر ٠٠٠

ـ لادى حقيقى ٠٠ فوزى رشا الحارس بعلبة سجاير بلمونت كبيرة ٠٠ وسمعه صوت العرب النشرة ٠٠ بس متفولش لحد ٠٠٠

ـ تفتكر حقيقى حنمشى امتى ٠٠٠ ؟؟ ٠٠٠

ـ بتوع ٥٦ قعدوا شهر ونصف واحنا كده على شهر سبتمبر ٠٠٠

ـ لا سبتمبر كتير قوى ٠٠ نقعد ٤ شـهور ٠٠

ـ امبارح حضرنا الارواح فى السلة وكتبت أننا حنسافر فى سبتمبر ٠٠

ـ بـلاش كـلام فـارغ ٠٠٠

ـ والله السلة حقيقى أنا أعرف واحد ٠٠٠

ـ اسكت وحياة ابوك انا مش فاضى لك ٠٠٠

ضجة ـ ياه ٠٠ برافو ٠٠ برافو ٠٠ تصور ضرب صولد على فلوش ما نكيه ٠

ـ كسـب قـد ايه ٠٠٠

ـ اربع علب سجاير ٠٠٠

المستجوب لمح لى من بعيد ان كنت عايز أسافر بره ٠٠ ممكن ٠٠

ـ ازاى ٠٠٠ !!

ـ قال لى لو تسـافر بره تحب تروح فين ٠٠٠ !!

ـ طيب م تسافر ٠٠ هى عيبها الوحيد انهم حيشـــغلوك هناك جاسوس ٠٠

ـ لا جاسوس ولا حاجة ٠٠ مش احسن من الرمية دى ٠٠ أنا أقدر أسافر أى بلد ومن هناك أروح الكويت أو ليبيا ٠٠ وابعت أجيب مراتى وولادى ٠٠٠

ـ فكرة عظيمة ٠٠٠

ـ اذا طولنا عن شـهر كمان حطلب منهم ٠٠٠

ـ يا شيخ محمد عيب كده انت راجل عارف ربنا كويس ميصحش ٠٠

ـ أمال نسيبهم يموتونا هنا ٠٠ والله فى الاخر حيزهقوا ويموتونا ٠٠٠ الواحد يسافر بلد كده ولا كده ٠٠ ولا يقعد لغايه م يموتوه ٠٠٠

ـ فلان الفلانى ٠٠ مطلوب استجوابه ٠٠٠

ـ أيوه ياعم ٠٠ حتشرب لك سيجارة نضيفه وشاى ٠٠ وحاجة ساقعة ٠

ـ والنبى تقول لهم على الصـابون ٠٠ لحسن خلص وعايزين ٠٠٠

ـ وكونتشينه ...

ـ الجوابات اتاخرت والطرود ...

ـ حاول تشمشم كده حنمشى امتى ...

ـ الجرايد بتاعتنا جيبتوها ...

ـ لا .. هاتها والنبى ...

ـ شوف يا سيدى الكلام ...

ـ ايه ده يقصدونا احنا ...

الجريدة دى محسوسة وحقيره جدا ...

ـ انا بقول نقاطعها ...

ـ وليه نقاطعها .. مش عايز تقراها بلاش انت لواحدك .. لكن حنفضل حاطين حواجز على فكرنا لحد امتى ...

ـ الكلام ده كلام اعداء .. افهم .. ومطبوعة مخصوص علشان اهالى المناطق المحتلة .. عايز تقرا .. اقرا الجيروزليم بوست .. يمكن محترمة شويه ...

ـ اتفلسفوا علينا اكمنها بالانجليزى .. لا حقرا جريدة « اليوم » واللى عايز تعمله اعمله ....

ـ قالك ايه المستجوب ...

ـ قال انهم مش عايزينا فى مصر .. وان المشكلة ٣ جواسيس مصر مش عايزه تسلمهم مقابل الاسرى ...

ـ والله م انا مصدق ... بقى ده كلام عاقل نصدقه ...

ـ بكره لما نروح مصر حتعرف ان ثلاثة جواسيس اهم منك ومن السف مشلك ..

ـ وقال ايه كمان .. فيه طرود .. فيه جوابات ...

ـ بيقول مندوب الصليب الاحمر .. رجع ومعه ٤ جوابات فقط وطردين.

ـ واين هم ...

ـ اتسلمت للواءات ... كلها لهم ...

ـ شوف البلد .. حتى هنا كمان .. لواءات ايه احنا يعنى زبالة ..

ـ ده طبع .. مفيش فايدة سعد زغلول قال كده .. والله والله بيسرقوا فى مصر طرودنا ميتورعوش عن سرقة سجاير اسير ...

ـ بالمناسبة الطرود فى المرة اللى فاتت جابوا للواء ياقوت فتح الصندوق بنفسه ...

ـ فض الشمع الاحمر .. وسابها فى الأوده بتاعة الاذاعة ومع ذلك وصلت ناقصة ..

ـ أنا شفت بعينى العساكر المصريين اللى بينضفوا دخلوا الاوده وبصوا يمين وشمال وحطوا علبتين سجاير من الطرود فى جيبهم ..

ـ النهارده ذيه سينما .. قاللى .. وسألنى ايه الافلام اللى بتحبوها ..

ـ شفت البنت أم صدر كبير ...

ـ لا .. لكن شفت شويه رجلين وفخاد .. يابوى .. مش معقولين .. ولا سلاسل الذهب .. الشعور .. متفكرنيش .

ـ كل الناس تقف انتباه .. تحية للكنت رويال ...

ـ اتلعب صح .. قال بارول عليه .. البيه قال علبة سجاير والبيه الثانى رفعهم لخمسين عليه .. راح ضارب عشر علب .. افتكروا بيبدلف .. دخلوا معاه .. واحد .

ـ كان معاهم ايه ...

ـ فول رواه .. وثلاثة آرس ...

ـ الغدا يا حضرات النهارده بولوبيف ...

ـ دى لحمة خنزير .. والله اوعوا يا حضرات تكلوها ..

ـ هاتوا لى أنا لحمة الخنزير .. اوعوا يا حضرات تكلوها .. هاتوها لى انا ..

ـ يا ناس والله دى لحمة بقرى ..

ـ الشيخ محمد اكل منها ...

الشيخ محمد ياكل الدردى .. انت مش فاكره لما شرب برله وقعد يصوت ويقول ويسكى .. ويسكى ...

ـ انا رحت بنفسى المطبخ وسألت قالوا اللحمة بقرى مش خنزير .. واليهود على كل حال ميكلوش خنزير ...

ـ انت عارف ان فيه ترفيه جه من تونس ...

ـ مش معقول ايه .. ؟؟

ـ مربى .. وبسكويت .. وأمواس حلاقة ...

ـ بيشمتوا فينا ..

ـ والله بورقيبه راجل .. هو اول واحد قال نلمها شويه ..

ـ يا اخى بدل ما تشتم أشكر .. انت أيه .. ؟؟

ـ انت امبارح .. وانت نايم كنت بتحلم بايه ... ؟؟

ـ ليـه ... ؟؟

ـ كنت بتصوت وتقول ابنى .. ابنى ...

ـ حملت انه بيسـقط من البلكونة ...

ـ انا حوديك لواحد فى المعسكر هنا يرقيك .. بتضحك والله حقيقى .. يقرأ لك شـوية قرآن قبل النوم ...

ـ لا ابدا انا رحت للدكتور وسألته .. ادانى « برت رانكيل » اخدتهم قبل النوم ولا ورد .. ولا عفاريت .. يا راجل اتمدنوا بقى ..

ـ ايه رايك انا مش عاجبنى الطريقه اللى بنعيش بيها .. عايزين نجـدد ..

ـ وايه تصورك للتجديد ...

ايه رايك نعمـل محاضرات تثقيفية بدل البوكر والخيبـة اللى احنـا عايشـين فيهـا ....

ـ موافق .. لكن ايه المواضيع الممكن الكـلام فيها ...

ـ الرسم ـ المسرح ـ السينما ـ علم النفس ـ التطور ـ القضـية العربية ..

ـ شـوف لنا كام واحد كده ونقعد انا شخصيا موافق ...

ـ ايه رايـك ...

ـ انا شخصيا لى راى فى القضية العربية بلاش الكلام فيها لحسن كل حاجة بتوصـل ..

ـ يا اخى فى مواجهة الحرب النفسية دى لازم تعمل حرب مضادة ..

ـ ربنا يفوت الايام دى على خير .. وعندما نصـل بيتنا سينتهى كل شىء .. عموما مليش دعوه باى حاجة .. لكن الرسم والمسرح .. الجنس موافق ... بالمناسبة شفت مجلة البلاى بوى ..

ـ لا .. تلاقيها حلـوه .

ـ تجنن .. يا اخى بيجيبوا النسوان دى منين مش الغفر اللى فى مصر .

ـ احنا حتى مش لاقيين الغفر دول ...

ـ لا انا عندى ماتتش تسيل .. حتقسل البيجاما والكام غيار والاوفرول

ـ عندك شـويه اومو ...

ـ آه بعتوا لى من مصر رابسـو .. وتايد ...

ـ بيوفر كثير فى الغسيل ...

ـ أنا بنقع الهدوم فى الميه والرابسو يوم .. ثم أضع الصفيحة تحت الدش ساعة اثنين .. وانشر الهدوم على السلك لغاية م تنشف

ـ لا مينفعش لازم تدعكيها ..

ـ ياعم عنها مندعكت المهم تكون ريحتها كويسة وخلاص احنا حنتجوز

ـ النهارده سينما .. وتقفل الابواب متأخر بعد السينما . احجز لنا ببطانيتك ..

ـ أيه الفيلم .. بيقولوا كيلوباترا ...

ميت مره كيلوباترا ويجيبوا افلام اخرى .. اشاعات ..

ونحضر الفيلم .. فيلم فرنسى جنسى جدا .. عن سيرك انثى تغرى رجلا لمزاولة الجنس ثم تهرب مع رجل اخر ويضطرون لقضاء ليلتهم فى كشك بالجبل يشغلون الدفاية .. ويزاولون الحب مرات عديدة بتفاصيل كثيرة .. .. وينتهى الفيلم ..

ـ أيه رأيك .. اما حتة فيلم ..

ـ يابوى على النسوان .. والقبلات والحب ...

ـ والموسيقى والرقص ...

ـ الناس دى اكيد عايزه تجننا .. الفيلم مستحيل يتعرض عندنا بالشكل ده واحنا مطلوبين .. يقوموا يعرضوه والواحد آخر ذل .

ـ حتى الواحد مش لاقى مكان يدارى فيه حاجة تكسف .

ـ ياواد ياشقى .. كل واحد يا ساده يحاسب على نفسه متى ...

ـ مساء الخير .. احاد .. اثنين .. ثالوث .. تصبحوا على خير .

ـ عندنا اليوم الصبان سيقتى يا حضرات بدلا من محمود لان فى الاوده ٨ برتيتة بوكر سيحضرها ...

ـ معزمتش ليه أيمن بيطبل كويس ...

ـ انت صاحبه معزمتوهش ليه ...

ـ الصلاة يا حضرات .. حى على الصلاة .. حى على الفلاح .. الله اكبر .. الله اكبر ..

ـ انت م بتصليش ليه ..

ـ نفسى والله .. لكن حاسس انى بضحك على ربنا ...

العدد اللى بيصلى كبر .. لم يبق الا انا وانت والرائد توفيق ..

ـ علشـان مسيحى ...

ـ عارف .. لكن بيصلى يوم الاحد .. القسيس بيجى لهم ويصلوا ..

ـ مشتاق يا أحباب مشتاق .. وتعبت من الاشـواق .. صمت شديد وشـــرود

« ياما زقزق الامرى على ورق الليمون .. نصفيق على الواحدة ..

ـ حبيب قلبى واعدنى ...

ـ فى الحجره ٢٠ عملوا مسرح عرايس عايزين نعزمهم يوم يعملوه لنا ..

ـ مين اللى أخد بولة الطاولة ...

ـ فاصـل نور بين محمود ومجدى ...

ـ معاك سيجارة نضيفة ...

ـ انت قريت الجواب ده ميت مرة ...

ـ يا جماعة الساعة بقت ثلاثة عايزين ننام ...

ـ م تنام حـد مسكك ..

ـ النور ...

ـ كل واحد حر .. يعنى لو كان اليهود اللى بيقولوا تنام والنور مفتوح تنـام ..

ـ لازم كل واحد يحترم الاخرين ..

ـ قوللى من فضلك مين يستحق الاحترام فيكم ...

ـ حكسر اللمبة ...

ـ اكسرها وأنا أكسر رقبتك ..

ـ أنت أخلاقك حقيرة ...

ـ انت فاكر نفسك بنى آدم .. الدلورن منك بقرش ...

ـ وانت اذا م سكتتش حقوم أضربك ...

ـ يا جماعة صلوا على النبى ...

ـ لا .. دى عيشة تزهق أنا حعزل من الاوده دى بكره .. مليش قعاد معاكم .. كل يوم سهر للساعة ثلاثة .. واربعة .. لا ياحضرات .. واذا الواحد اتكلم بيتشتم .. لا يا حضرات .. دى مش عيشة .. الواحد بيقاسى من المصريين اكثر من اليهود ... لا يا حضرات .. دى مش عيشة .. لهم حق يغلبونا ...

ـ اتكتم واسكت ..

ـ حاضر حتكتم انتم ايه مش مصريين .. فراعنة ...

ان الاسرائيليين لا يملون الدعاية ·· وحربهم النفسية مستمرة ·· قبل الحرب ·· واثناء الحرب ·· واثناء الاسر ·· وبعد الاسر ستستمر ايضا دعايتهم وحربهم وتاثيرهم وهم لهذا يبذلون جهدا كبيرا ·· وتخطيطا علميا حقيقيا للوصول الى اهدافهم ·· وهى ترسيخ بعض المفاهيم فى عقولنا عن ضعفنا وتفككنا ·· وقوتهم وسيطرتهم وعظمتهم ·· وبالتالى عدم قدرتنا على مناطحتهم والصمود امامهم وما تبقى أن نستسلم تماما لما يريدون .

فقبل الحرب لم تمل اذاعتهم ابدا عن الدعاية ·· بل استغلوا ان حالتنا تستوجب البعد عن أهالينا دائما ·· فاغرقوا اذاعتهم بأغانى التشويق للاحباء البعداء ·· وكان لهذا تاثير بالتأكيد بطىء ولكنه فى النهاية مثمر ·· واثناء الحرب استغلوا التدهور والتفكك الذى حدث للجيش المصرى أحسن استغلال ·· وقد كنت أعجب للنداءات التى كانوا يذيعونها وأعجب لسعة خيالهم كما رأينا قبلا ولكننى فهمت ما معنى ذلك عندما رأيتهم يجمعوننا من الصحراء كسمان وقع فى أقرب شبكة منصوبة له على شاطىء البحر بعد رحلة طويلة مرهقة ·· وفى بداية الاسر كانت دعايتهم مركزة على اسقاطنا من الداخل ·· على كسر انسانيتنا جماعيا ·· على تكثيف الاحساس باننا نعيش فى غابة ·· وكيف تزيد التنازع والضغائن بيننا ·· بل وبالعكس كيف كنا نشعر بانسانيتنا أثناء الاستجواب ·· ومع العدو فقط وكيف توصلنا الى نتيجة خطيرة جدا وهى اننى كمصرى بين المصريين محتقر وذليل وكانسان فرد امام مستجوب شخص يستحق الاحترام حتى من عدوه ·· وكيف توصلنا ايضا الى نتيجة خطيرة أن سبب ذلى هو مصريتى وهو انضمامى لجيش مصر ·· واسرى مصر ·· وكيف توصلنا فى النهاية للتبرأ من مصريتنا ·· وعضويتنا بجيشها وانضمامنا لجماعاته ·· ثم وبعد ذلك محاولتهم لبث فكرة انهم لا يحملون لنا أى ضغينة وهم المظلومون المدافعون عن انفسهم ضد طغيان حكامنا العرب الذين تدفعهم تطلعاتهم الشخصية ·· ورغبتهم فى مجد شخصى للتضحية بنا ·· وكانت وسائلهم لذلك متعددة ·· حبس الاخبار عنا وتركنا عميانا فى بلد من المبصرين ·· ثم السماح لنا بالاخبار المسيطر عليها بطرق مختلفة ·· وكيف كانوا يقلبون اوجاعنا كلما هدانا ببيان او فيلم او محاضرة أو اشاعة أو استجواب أو كتاب أو اغنية أو قطعة موسيقى ··

ثم كيف استغلوا الحرمان وربط السيجارة النظيفة والقهوة والشاى والمرطبات بالاستجواب ·· وتحويله الى قضاء وقت سعيد بدلا من الهرب

منه ٠٠ كذلك استغلوا الجنس الاذرع العارية ٠٠ الأرجل العارية ٠٠ الصدور العارية ٠٠ الجالسة فى الطريق للاستجواب ٠٠ الذاهبة للمطعم والمتكلمة فى الميكرفون ٠٠ ثم كيف زادوا انفعالنا الجنسى عن طريق المجلة ٠٠ والفيلم ٠٠ والزيارة ٠٠ وهكذا استعمل اليهود كل شىء ٠٠ الخطابات ٠٠ الاكل ٠٠ النوم ٠٠ المرحاض ٠٠ الترفيه للوصول بنا الى هذا الشكل ٠٠

كنا كفئران التجارب فى معمل ابحاث ٠٠ يضعهم الباحثون فى الظروف والاماكن ويعالجونهم بالشكل المطلوب لابحاثهم ليطوروا عليهم تجاربهم ثم يعيدوهم بعد اخذ النتائج ٠٠٠

ولقد اجرى علينا الاسرائيليون تجارب عديدة نفسية وجثمانية وعلمية واجتماعية ٠٠٠ ودونوا نتائجهم وطبقوها ثانية علينا ٠٠ من هذا المفهوم ٠٠ نستطيع ان نقول ان معظم تصرفاتنا ٠٠٠ وحياتنا فى معسكر عتليت كانت انعكاسا للتجارب التى يجريها باحثو اسرائيل ٠

تجمعنا فى يوم أمام السور الامامى للمعسكر فى انتظار نشرة الاخبار وكان الاسرائيليون فى حالة ارتباك شديد ٠٠ وفى الموعد لم تذع النشرة ٠

ـ لماذا ٠٠٠ ؟؟

ـ النور مقطوع عن المعسكر ٠٠

ـ لا بد وأن شيئا ما قد حدث ٠٠٠

لا أعرف ٠٠٠

ثم انتشر الخبر بعد ذلك ٠٠ انتشر من معسكرات الجنود ٠٠ لقد غرقت مدمرة اسرائيلية دمرتها لهم البحرية المصرية ٠٠٠

ـ كيف عرف الجنود ٠٠

ـ وهل يخفى عليهم شىء ٠٠٠

ـ حتى هنا ٠٠٠

ـ مش معقول ٠٠ لقد انتهت الحرب ٠٠

ـ وما الذى يمنع ٠٠٠

ـ حقا ٠٠ كيف عرف الجنود ٠٠٠

ـ لا اعرف الا انهم ارسلوا لنا ورقة بالخبر ٠٠٠

وفى اليوم التالى تجمعنا ثانية للاستماع لنشرة الاخبار ٠٠
حرائق فى مستودعات البترول بالزيتية ٠٠٠

الحرائق تشاهد على بعد ٢٠ كيلو متر ..
الدخان الاسود يغطى مدينة السويس ..
مستحيل السيطرة على الحرائق ..
ضجة فى العالم نتيجة لغرق المدمرة الاسرائيلية ايلات ..
هيه .. هيه .. (صيحات فرح للمصريين) ...
الجنود الاسرائيليون يصوبون رشاشاتهم لنا ..
اسكت خلينا نسمع الباقى ...
ضرب مستودعات البترول فى الزيتية رد عملى على اصابة المدمرة ايلات .

المدنيون يهاجرون من مدن القناه .. الاقتصاد المصرى ينهار ..
ودارت المناقشات حول هذا الموضوع ...
ـ ضربة معلم ...
ـ والله خبر جميل جدا .. لكن كيف عرف الجنود ...
ـ هيه المدمرة بيبقى فيها كام ...
ـ حوالى الف ...
ـ بلاش هباله ... الف ايه لا يزيد عن ميتين ...
ـ طظ فى الزيتية ...
ـ لكن هم مجانين يسيبوا بترول فى مستودعات على مرمى بنادق العدو مش مدفعيته ..
ـ كله بثمنه .. يعنى ميضربوش ايلات لغاية م يفضوا المستودعات ..
ـ الواحد اترد له ثقته بنفسه ..
ـ عقبال سينا ...

كان هذا الخبر ايذانا بمرحلة جديدة فى حياتنا .. فلاول مره نشعر أن العالم خارجنا تحدث فيه احداث مخالفة لما نسمعه عن أن الكباريهات فى القاهرة مفتوحة وأن المواطنين يتنزهون على الكورنيش وأن الاقتصاد المصرى فى انهيار وأن هناك انقلابات وانتحارات وانهم لا يريدوننا كى لا نثير البلبلة ... الخ ...

وصاحب هذا انفجارات متتالية فى معسكرات الجنود .. واضراب عن الطعام وانتقلت الاضرابات الى معسكرات الضباط .. وقامت اكثر من معركة بين الجنود المسلحين بالطوب وقطع القماش المبلل بالسولار

والمحترقة ‥ وبين الاسرائيليين المسلحين بالرشاشات وهاجم الجنود برج حراسة واستولوا على رشاش ‥ واستدعى احتياطيات جديدة للسيطرة على المعسكر ثم اعادوا دراسة نظام الحراسة بالمعسكر واحضروا اللواء الجولانى ليشاركنا فى معسكرنا ‥ وسارت طوابيره ليلا ونهارا تستعرض خطوتها وتغنى أغانى بالعبرية على الحان موسيقى غربية وزادت ورديات الحراسة الراكبة عربات جيب المصطحبة للكلاب وشاهدنا محاولتين للهرب سانحتين ‥ احداهما كان ضابطان صغيران وقعا عند أول منعطف خارج المعسكر عندما تحدث معهم احد الجنود الاسرائيليين فلم يستطيعا الاجابة الا بكلمة « شالوم » وهى الكلمة الوحيدة العبرية التى يعرفانها ‥

واضطر اليهود لاصطحاب اللواء ياقوت والرائد صفوت للسيطرة على الجنود فلقد منع الجنود المصريون الاسرائيليين من أخذ التمام ‥ ولقد عاد لنا الرائد صفوت بصورة لما يحدث فى معسكرات الجنود ‥ فهناك نظام الحكم مختلف لقد استقر بشكل قبلى ‥ فأفراد المحافظات المختلفة تجمعوا فى وحدات صغيرة ‥ والمحافظة التى لها رجال أكثر تحكمت وفرضت سلطتها على الاخرين ‥ وهكذا وفى ظل الحكم القبلى أوقف الجندى ذو العصبية الكبيرة الصف ضباط فى الصف بغض النظر عن رتبتهما وساعد على ذلك أن عددا كبيرا منهم كان من الجنود الاحتياط أو المستدعين قبل الحرب مباشرة ‥ ثم برزت بعد ذلك القيادات الحقيقية التى استطاعت تنظيم الحياة فى المعسكر وقيادة الاضرابات وقيادة المعارك المختلفة ‥ ووصفهم بأنهم رجال فى منتهى الصلابة والجدة ‥‥

كنا نجلس صامتين ‥ نستمع الى اعلان حلول شهر رمضان من الميكروفون المعلق بالمعسكر ‥ ثم صوت المذيع وهو يهنئنا بهذه المناسبة الدينية ثم القرآن المذاع بعد ذلك وانفجر الرائد عادل فى البكاء والتشنج ‥ متذكرا زوجته وأولاده ‥ وحسرتهم وهم يحتفلون برمضان دون عائلهم ‥ وتمتم أخر ‥ أول مرة أغيب عنهم فى مثل هذا الشهر ‥ واندفع أخران لنجدة الرائد عادل المغشى عليه ‥ ثم انفجرا فى البكاء مع الكلمات الحزينة التى يقولها خلال بكائه ‥ وتنبهنا على صوت أحدهم يقول « وحدوه ‥ بكره نرجع ونعوض اللى فات » ‥‥ جلست ساهما أفكر ترى كيف ستحتفل بلدنا برمضان ‥ بعد هذه الهزيمة النكراء ‥ ترى ‥ هل ستضاء الانوار ‥ وهل ستباع الكنافة والمكسرات ‥ وهل ستستمر السهرات للفجر فى الحسين ‥‥ !! ــ وهل سيقول بعضهم لبعض كل سنة

وأنت طيب .. ؟؟ ترى كيف تعيشين يا بلدنا . جفف البكاؤن دموعهم .. وجلسنا نحكى ذكرياتنا .. أيام طفولتنا .. وأيام صبانا ... وأيام شبابنا .. المكسرات .. قمر الدين .. الفوانيس الملونة .. الاغانى القديمة .. جو ورائحة ليالى الف ليلة وليلة .. حضر الحراس وفتحوا لنا الابواب مهنئين برمضان . فالنظام الجديد للمعسكر أن تغلق الابواب فى الساعة الثامنة .. وتفتح فى الثانية عشر لقد تقلصت ساعات الحبس الى أربع ساعات يوميا .. وسمح باذاعة الاغانى والقرآن ليلا .. وساد المعسكر شكل جديد من اجل رمضان ...

فى الصباح انتشر خبر قدوم اللواء الكاهن الاسرائيلى .. ليقابل مندوبى الاسرى ويرتب معهم الترتيبات المعيشية خلال شهر الصيام ...

وبعد الظهر عرفنا انهم قرروا أن يحسنوا ويزيدوا كمية طعامنا ويعدلوا مواعيده بما يناسب الشهر الجديد وأنهم قرروا أن يصرفوا لنا (لبن زبادى) .. ومكسرات وفراخ على الافطار .. وقابلنا فى البداية موضوع صرف الفراخ باستغراب ثم ابتدأت بعد مدة مناقشة الموضوع تارة باستهزاء .. واخرى بشهوة وامتدت المناقشة بين هل صحيح ان اليهود سيطعموننا فراخا وزبادى ومكسرات أم لا ...

واذا كان فما مقدار الفراخ ياترى التى سياكلها كل منا .. وكم مرة فى هذا الشهر ..

وكان من قبل قد حضر لزيارتنا اللواء اسحق رابين رئيس أركان الجيش الاسرائيلى مر علينا فى حجراتنا وشاهد أماكن نومنا .. وعندما وجد عندنا كتابا لمؤلف هندى عن (عبد الناصر مصر) سألنا ترى لو كان اسرانا عندكم هل كنتم ستعطونهم كتبا عن ليفى اشكول او بن جوريون .. ويومها قلنا له سنجعلهم ينامون فوق أسرة بدلا من النوم على الارض .. ووعد بأن يأمر باحضار أسرة لنا .. وأعطونا كمية من البرقوق كهدية لزيارته ...

وفعلا أحضروا لنا أسرة قرب بداية رمضان ..

أصبح الجو أكثر برودة .. المطر الغزير يهطل .. أحضروا لكل منا ٤ بطانيات بدلا من البطاطين السابقة .. وأكثر نظافة وجدة .. وأحضروا لنا بعض الملابس الصوفية القديمة .. بدل كاكى صوفية من النوع الذى نسميه « باتل درس » .. وسمحوا لنا بطرود جديدة من مصر .. تحمل ملابس

صوفية وبيجامات صوفية وكستور .. وادخل للحمامات نظام المياه الساخنة والباردة .. ثم احضروا لنا بعض الحلوى وقالوا هدية من نجمة داوود (مثل الهلال والصليب الاحمر) وبعض اللب والسودانى والحمص وقالوا هدية من الشعب الاسرائيلي ..

ثم تلت زيارة اسحق رابين .. زيارة للقادة الاسرائيليين .. الجنرال أهرون مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية .. والجنرال مردخاى هود قائد الطيران ومدير الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية .. واعضاء من الكنيست الاسرائيلي ومن الحزب الحاكم .. وزادت حفلات السينما .. وتحسنت نوعيتها .. بعضها عن السيرك .. وأخرى عن حياة مغنى الاوبرا كروزو وكان فيلما جيدا وبعضها أفلام هندية ولكن ما يستحق الاهتمام منها حقا فيلمان أو ثلاثة اسرائيلية ناطقة باللغة العبرية .. وكان الجنود الاسرائيليون يترجمون لنا الحوار وان لم يكن فى حاجة للترجمة الفيلم الاول تدور أحداثه فى المانيا أثناء حكم النازى .. وخلال مطاردة الجستابو لليهود اختفت عائلتان فى حجرة سرية هربا من الاعتقالات وفى انتظار تهريبهما للخارج .. فى العائلتين شاب وشابة .. فى سن الحب .. فى سن التفتح .. كان لابد أن تنشأ بينهما علاقة عاطفية .. ولكن فى مثل هذه الظروف .. وتحت أنظار الاباء والامهات والعمات والجدود تتحول هذه العلاقة الى عذاب .. الانظار تخيطهما .. وتفهم سرهما .. ولا يستطيعون مساعدتهما الشابان يحاولان أن يختليا ببعضهما فى ركن ولكنهما يخجلان من اهلهم وهم لا يشعرون بأنهم يفهمونهما ويعطفان عليهما .... الاعصاب تتوتر مع كل طارق .. الاعصاب تتوتر من الحبس .. والرعب من الموت .. عمة عانس تنفعل .. يا للقسوة .. حق الحياة الطبيعية محرومان منه .. فى نهاية الفيلم ومع اصوات ابواق عربات الجستابو القادمة للقبض عليهم تندفع الفتاة الى حضن فتاها ويغيبان فى قبلة طويلة .. ثم يصلحان ملابسهما ويسيران مع باقى عائلتيهما الى قدرهم ..

وهو فيلم جيد كقصة وتصويرا واخراجا وتمثيلا .. يستطيع فعلا وفى الظروف الطبيعية أن يسرق منك الحب والعطف على اليهود .. والصهيونية .. ثم يصل بك للنقطة الحاسمة وهو حقهم فى أن يكون لهم وطن يمرحون فيه ويحبون ويزاولون حياتهم من خلال حوار غير واضح وغير ظاهر فى الفيلم ولكن تاثيره علينا كان تعليقا ظريفا من احد الزملاء اذ قال « الله يخرب بيته هتلر »

لانه لم يقض على اليهود ويريحنا منهم .. فيلم أخر .. أم يهودية .. ضمن عائلة كلاسيكية تعيش فى فرنسا .. الاب يقرأ والام تشتغل التريكو والطفلة تعزف على البيانو والطفل يستذكر دروسه .. الاضــاءة خافتة نظرا لقيود الاضاءة اثناء الحرب العالمية الثانية .. ثم صوت صـفارات الانذار .. وتحدث غارة .. ويسقط المنزل وتموت تحت الانقاض الابنة .. ثم يدخل النازى المدينة ويقبضون على الاب .. وتهرب الام .. ويشــاهد الطفل اعدام النازى لمجموعة من رجال المدينة ومنهم أبوه .. الابن يهرب عن النازى وهم يطاردون جميع اهل المدينه ياكل من صندوق الزباله مثـل القطط والكلاب الضالة .. الام تنضم الى ملجأ لتربية أطفال اليهود فى جانب من الارض غير المحتلة أطفال كثيرون .. الام تبحث عن ابنهــا .. والابن مشرد ثم تتوالى أحداث الفيلم حتى دخول الامريكيين فرنسا .. ويتعلق أحد جنودهم بالطفل .. ويعلمه الانجليزية ويحاول تبنيه .. والام تجد سلوتها فى حب الاطفال بدلا من ابنها .. والاطفال يبادلونها حبا بحب .. وزميلاتها فى الملجأ يعطفن عليها ويحاولن البحث لهــا عن ابنها .. الجندى الامريكى يقرر أمرا بعد ما جاءته الاوامر بالتحرك سيرســـل الطفـل الى الملجأ .. وفى نفس الوقت تقرر الام أمرا ستبحث عن طفلها .. الام تتجه الى محطة السكة الحديدية بعد حفلة وداع صغيرة يقيمها لهــا الاطفال .. فى المحطة تجد فوجا من الاطفال ذاهبا الى الملجأ .. تبكى من اجلهم تحن لهـم تقرر الا تسافر وتهب حياتها للاطفال من أجل ابنها .. ترجع معهم تداعبهم وهم يغنون تضع يدها على رأس احدهم ينظر لها تنظر له .. انه ابنهــا ضمن هذا الفوج .. وبين القبلات والدموع يكتسب اليهود عطف العـــالم وتكتسب اسرائيل ملايين من الدولارات التى تحولها الى أسـلحة تشرد بهــا أطفال العرب ...

هذه امثلة لافلام شاهدناها فى هذه الفترة محاولة لكسب عطف أسرى حرب لا حول لهم ولا قوة على القضــية اليهودية .. ومحاولة لترســـيخ مفهوم أن اليهود مظلومون وانه من العدالة قيام وطن لهم ناسين ان لنا أطفالا نبحث عنهم .. بين اللاجئين والمشردين فى فلســـطين وســــوريا والاردن ومصـــر ....

وفى الليالى التى خلت من الافلام كانت هناك المحاضرات .. محاضرة عن الديمقراطية فى اسرائيـــل ابتدأ المحاضر حديثه بأن اسرائيـــل هى البلد

الديمقراطى الاول فى العالم ..فتعدد الاحزاب وتنوعها من اقصى اليمين الدينى الرجعى التوسعى .. الى اقصى اليسار الشيوعيي الصيني أو السوفيتي .. وما بين هذين الطرفين أحزاب تتفاوت درجة يمينيتها أو يساريتها .. جعلها قمة الديمقراطية .. وهو الشيء غير المتوفر فى دول العالم أجمع حتي انجلترا أو أمريكا .. الفرد فى اسرائيل يستطيع أن يقول أى شيء فى أى مكان وبأى صورة ومسموح بذلك عدا العنف فى فرض الرأى ...

هامش (ان هذه الاحزاب فريدة فى نوعها اذ هى قد نشأت قبل قيام اسرائيل وفى ظل مجتمعات غريبة فى أوروبا الشرقية وبولونيا وروسيا القيصرية على وجه التحديد .

أغلب هذه الاحزاب بدأت أحزابا طائفية متعصبة ولقد شجعتها حركة الصهيونية العالمية أنها ليست احزابا على الطريقة الاوروبية رغم انهـا أوروبية النشأة فى الغالب فهى تقوم بنشاطات متعددة فى حقول مختلفة من الاقتصاد الى الخدمة الاجتماعية والضمان الصحى والثقافى والانباء والمصارف والمسارح والجرائد والنوادى وليس بمستغرب ان تشكل « دولة داخل دولة » رغم تعددها وشدة صراعها العقائدى وحدة التنافس والتناحر الا انها بمثابة تنوعات مختلفة على الموضوع الاساسى الواحد ؛ الصهيونية ومخططها العدوانى فى جمع شمل يهود العالم تحت ظل دولة اسرائيل » ... هذه الاحزاب تعكس المذاهب السائدة فى القرن التاسع عشر . العلمانية والاشتراكية والليبرالية والقومية المتطرفه وتنافسها ليس عقائديا أو ايديولوجيا بقدر ما هو من قبيل السعى وراء المصالح الخاصة والمنافع الاقتصادية أو الحصول على اكبر جزء من الميزانية .

بعضها تحول الى تروستات اقتصادية هذه الاحزاب تقوم على مركزية القيادة حيث تنحصر السلطات الحزبية بايدى فئة قليلة من الزعماء أما باقى الاعضاء فينضمون للحزب لكى يستطيعوا أن يجدوا عملا أو خدمات أو تسهيلات .. والتى بدون ذلك لن يجدوها ..)

(نظرة فى أحزاب اسرائيل « أسعد مرزوق »)

لم يعارض مغامرة ٥ يونيو سوى عضوين شيوعيين فى الكنيست وباقى الاحزاب أيدت الاعتداء على العرب .. أساس الدعاية الاسرائيلية فى اسرائيل مركزة على اعتبار العرب مجموعة من المتوحشين الذين يريدون الفتك بالاسرائيليين ولذلك يجب مقابلة القوة بالقوة والارهاب بالارهاب ....

المحاضره الاخرى عن نشأة اسرائيل ·· ومن خلال المحاضره نفهم أن أكثر من ٨٠٪ من مواطنى اسرائيل ليسوا متدينين وأن نسبة ٣٠٪ من هؤلاء غير مؤمنين أســـاسا بل هم ملحـــدون أما الهدف من التجمع الصهيونى فهو تحقيق تقـــابل للروح اليهودية ·.· وهو نهاية العجـــز الايديولوجى الذى تقوم على أساسه دولة اسرائيل ·.· الروح اليهودية فى مفهومهم هى أن اليهود خلال تاريخهم الطويل لاقوا من الاضطهاد والتشريد والقسوة ما لم يلاقه غيرهم ·.· فهم من البداية مطرودون من مصر مستعبدون فى العراق مضطهدون فى الجزيرة العربية فى صدر الاسلام ومع بداية الدعوة من النبى محمد بالذات ·· ثم وفى العصر الحديث واقعون تحت اضـــطهاد القياصرة الروس والنازية وأعداء السامية فى أوروبا وحاليا منبوذون من ١٠٠ مليون عربى يحوطونهم بالكراهية ولقد نجوا من اعداءهم العديدين ثلاث مرات خلال عشرين عاما ·.· والسبب فى هذا (هو الروح اليهودية والتضامن اليهودى النابع من التوراة ·· التى ما هى الا تاريخ الا جداد ووصاياهم) والروح اليهودية تصل الى اقصى حالتها فى المساعدات التى يقدمها لنـــا اخواننا يهود العالم جزءا من حقنا فى أموالهم ·· ويسكب المحاضر الاعمى يستجدون حتى أسراهم ·· اننا فى ايديهم يفعلون بنا ما يشاءون فلا يجدون طريقة لاقناعنا الا بواسطة محاضر اعمى يبكى لنا :

ولكن النقطة الهامة فى هذه المحـــاضرة هى كيف أســـتطاع اليهود المتفرقون القادمون من جميع أنحاء العالم أن يكونوا وحدة متجانسة تشكل شعب اسرائيل ··

ويعترف المحاضر ·· أنه لولا عداء الدول العربية لهم لما أســـتطاعوا ان يحققوا هذه الوحدة فاليهود العرب الشرقيون (مراكشى ·.· جزائرى ·· عراقى ·· مصرى ·· يمنى) واليهود الغربيون واليهود الروس واليهود الامريكان ·· بتباينهم واختلاف فكرهم ولغاتهم وأشكالهم وطرق حياتهم لم يوحد بينهم الا عداء العرب لهم ·· وبالتالى الدفاع عن النفس ·· وكانت كلما ظهرت التناقضات تتلوها بأسم العدو الرابض على الحدود ·.· معنى هذا أنه لولا خوف اليهود المشترك من العرب لا نفجرت اسرائيل من داخلها ·· ولكن هل مجرد الخوف هو الذى أذاب الفوارق وحافظ على الكيان الاسرائيلى يقول المحـــاضر أنهم قد كونوا معسكرات تستقبل اليهود الجدد المهـــاجرين ·· تعلمهم اللغة العبرية وتدرس لهم الايديولوجية الاسرائيلية ·· ثم تحكى

لهم كيف يعانون فى سبيل التقدم والمدنية ... وتطلب منهم المحافظة على المكاسب واكمال النضال من أجل الدماء المهدرة على مر التاريخ . ومن خلال هذه التربية تستطيع اسرائيل تجنيد ١٠٪ من سكانها (وهى نسبة عالية جدا اذا عرفنا أننا نجند ١٪ من سكاننا) .. ومن خلال هذه التربية تدفعهم للعمل فى مستعمراتها الجماعية العسكرية على الحدود وفى الاماكن الصعبة ... ويستطرد المحاضر ...

ان اغانيكم ودعايتكم كانت تحمسنا أكثر منكم .. فيكفى أن نستمع لمن يقول سنرميكم فى البحر .. اضربه .. اقتل .. اقتل .. اذبح .. بالنسبة لك كلام اما بالنسبة لى خوف ورعب وحرب وانتصار وموت وتعذيب ثم حماس .. وهناك نقطة أخرى طرحها المحاضر وتستحق الاهتمام وهى كيف استطاع اليهود بناء إقتصادهم ... ويركز المحاضر صراحة بأن أغلبية يهود العالم تجار .. وأن الانتاج يحتاج للزارع والصانع وهى مهام لا يتقنها اليهودى ولحل هذه العقبة اشترت الوكالة الصهيونية اراضى فى فلسطين وحولتها الى مستعمرات زراعية يعمل بها اليهود فى زراعة جماعية .. ثم حولت جميع المعونات التى تتلقاها من دول العالم الى مصانع ومعامل ومشروعات اقتصادية وبذلك استطاعت تحويل ما تمنحه الى انتاج وفى هذا المعنى قال المحاضر .. وبعد عشرين سنة من العمل والانشاء وبعد ما ابتدأنا نأخذ ناتج هذا العمل .. تريدون أن تحرمونا منه ...

حقا ... بعد هذا المجهود هل نريد أن نحرمهم منه ... وبالتالى هل سيستسلمون بسهولة ... !! سؤال لابد سيضغط على عقولنا بعد هذه المحاضرة ...

والنظرة الأولى ونتيجة لظروفنا يمكن أن تجعلنا نقول .. لا ... حرام ... لابد من الصلح والاتفاق ولكن النظرة التالية ستجعلنا نفكر فى هذه الدول التى تقدم لنا قمحا وعربات وأجهزة تكييف هواء ولبن وجبن وادوات زينة وكلها مواد استهلاكية .. تنتهى باستعمالها مقابل بترولنا وقطننا ... وتقدم لاسرائيل المصانع والمعامل والخبرة وادوات الانتاج وكلها أدوات تنتج وترفع مستوى المعيشة حضاريا مقابل .. لا شىء .. هذا هو الفارق ... لماذا تقدم لنا أمريكا القمح والجبن وتقدم لاسرائيل المفاعل الذرى لتحويل المياه المالحة الى مياه صالحة للشرب ؟؟ هذا السؤال لابد من تفهمه جيدا واستيعابه ونحن نجيب على سؤالنا الاول هل بعد هذا المجهود نريد أن نخرجهم من أرضهم .. هكذا نصل الى منطلق آخر للقضية .. المفروض أن تصبح بلدنا مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة .. وأن تصبح

اسرائيل قاعدة صناعية متقدمة أى نظل نحن متخلفين لما لا نهاية ٠٠ وتزداد سرعة تقدمهم وفرصتها الى ما لا نهاية وفى ضوء الحياة والموت تصبح الاجابة على السؤال ٠٠ يجب اخراجهم ٠٠ أو تحويلهم الى شكل مخالف لهذا الشكل القاتل لنا ...

فلنعد لمحاضرنا ...

لنجده يلقى ببذوره لتنمو ٠٠ أو يؤكد نمو بذور اخرى ٠٠ ومن اهمها ان اليهود اصبحوا شعبا له مقومات الشعب من لغة وأرض وحضارة ودين ٠٠ وأن الدولة اليهودية فى اسرائيل ذات تاريخ حضارى عريق وحاضر حضارى متقدم وان اقتصادهم اصبح اقتصادا يعتمد على مجهوداتهم الصناعية والزراعية وميزانهم التجارى تخدمه الزراعة والصناعة المصدرة وليست المعونات ٠٠ فالمعونات تحولت الى مراكز الانتاج ٠٠ وأنهم لكى يحققوا ذلك بذلوا مجهودا كبيرا ٠٠ ودما وعرقا واعصابا ٠٠ لا أول لها ولا آخر وأنه بحرمانهم من نتاج عرقهم ومجهودهم بربرية ولا أنسانية ٠٠ وبذلك نتحول حربنا الى تعصب وتدمير لدولة حضارية متقدمة تستحق كل احترام وتقدير لجهوداتها الجبارة فى سبيل الحياة ٠٠ تسلسل منطقى معقول جدا ولكن هل يقنعك ٠٠ !!

المحاضرة التالية كانت عن الكيبوتزيم ٠٠ وفى هذه المحاضرة يحاول بلورة وانماء البذور التى طرحتها الزيارات والاستجوابات ٠٠ من جهة ومن الجهة الاخرى التشكيك فى اشتراكيتنا العربية بمقارنتها باشتراكية الكيبوتز ٠٠و الكيبوتز هو مستعمرة زراعية صناعية لها حجم معين فقد تكون كبيرة أو متوسطة أو صغيرة بين ٣٠ و ١٥٠٠ نسمة ولقد انشئت لحماية اليهود من العرب المغيرين عليهم فى بداية الهجرة الثانية هكذا يقول ولقد اشترت الوكالة الصهيونية بعض الاراضى ٠٠ واستولت على أراضى اخرى بعد أن تركها اصحابها العرب ورحلوا فأخذناها نحن وحولناها الى زراعة متقدمة ٠٠ والحياة فى المستعمرة اختيارية ولكن يشترط فى بعض الاحيان أن يقضى بعض المستوطنين الجدد مددا متفاوتة وفى هذا يقول بن جوريون « لابد وان يعانى المستوطن الجديد ما عاناه المواطن القديم فى الانشاء » وهذا بالطبع ان لم يكن هذا المستوطن من الاغنياء أو حاملى الشهادات والخبرة التكنيكية ٠٠ أو منضما لحزب من الاحزاب الكبيرة أو الهستدروت ٠٠ فالحياة هناك شيوعية كل الناس تعمل ٠٠ كل الناس تستفيد استفادة متساوية ٠٠ وان اختلفت الاستفادة من كيبوتز لاخر حسب درجة غنى هذا الكيبوتز ٠٠ وعموما لا جديد فى هذه المحاضرة عما عرفناه من قبل ٠٠٠

فى صباح أحد أيام الشهر انتشرت اشاعة بأن الفراخ فى طريقها الى المطبخ واندفع الضباط الى الاسوار لنجد أكياس الفراخ الدنمركي وهى تنزل من العربة الى المطبخ ... ثم اندفع اخرون الى الرائد فريد .. المكلف بالاشراف على التعيين يستحثونه لمعرفة الاخبار من المطبخ ... وقف الرائد فريد بكرشه الخارج من بنطلون البيجاما ووجهه التركى الاحمر وعينية المتعبتين لصحوه فجأة من النوم يطلب مقابلة الشاويش أمزراحى حكمدار المطبخ وحوله الضباط يتغامزون ...

- أيوه ياعم الفراخ جت ...
- بومك ... ده ...
- أوعوا يحرقوها ...
- أنا عايز نصيبى مسلوق ...
- وحياتك خليهم يحمروها قوى ...
- أنا عايز فرختى كامله زى م . هى ...
- يا ترى حيعملوا على الشوربة أيه ...
- لو كان عندهم ملوخية ؟؟

واخيرا سمح للرائد فريد بمقابلة الشاويش أمزراحى .. وبعد حوالى ربع ساعة رجع منكس الرأس .. وتوالت التعليقات .. لازم مش لنا الفراخ ...

- يا ترى زعلان ليه .. !!!
- لازم أتخانق ... !! وعندما دخل من بوابة المعسكر التف حوله الضباط ثم انتشرت اشاعة فى المعسكر بأن الفرخة ستقسم على عشرة أفراد .. ومع انتشار الاشاعة توافد الضباط الى حجرة الرائد فريد .. غير مصدقين وللتاكد منه شخصيا .. واجتمع كبار الضباط فورا لمناقشة هذه المشكلة الهامه : -

قال أحدهم - ياحضرات هذه اهانة لا تغتفر هل نحن شحاتون .. الفرخة على عشرة .. أنا رايى أن نرفض أكل الفراخ .. وصفق له الحاضرون وهتفوا .. فلتسقط الفراخ الاسرائيلية .. قام اخر خلال الهتاف .. حاول أن يرفع صوته قائلا ...

اسمعوا من فضلكم .. لو رفضنا الفراخ بماذا سنفطر ... واحنا ناس صايمين ... أنا من رايى أن نطلب زيادة الكمية ...

رد الاخرون ... - مستحيل سيرفضون ...
- نعمل مظاهرة .. ونضرب عن الطعام ..

ـ لســه قاتلين اثنين من كام يوم ·· واحنا قربنا نروح بلدنا ··
ـ بلاش مشاكل ···
ـ ناكل الذى مع الفراخ ·· ونتركها لتعفن فى حللها ···

وأخيرا تقرر أن يشكل وفد يطلب مقابلة قائد المعسكر للتشـــاور معه ليحفظ لنا كرامتنا ·· وخرج الوفد ·· ومن حوله الضـــباط يؤيدونهم ·· ويرجون لهم التوفيق ·· ووقف الضـــباط قريبين من الاســـوار والبوابة منتظرين ما سيحدث ·· وبعد نصــف ســاعة عادوا يســيرون بســرعة ونشاط ·· وهتف الضباط عندما رفع أحد أعضاء الوفد كفه بعلامه V أى انتصرنا ··· وعندما فتحت البوابة حمل الضباط اعضاء الوفد على أكتافهم وذهبوا الى حجرة الرئاسة ليقف أقدم الضباط خطيبا ···

أولا : يا حضرات الفرخة مش على عشرة الفرخة على ثمــانية ···

ثانيا : واضــح ميقدروش يزودوا العــدد أو يغــيروه باللحمــة لانه اتصرف وهم عندهم روتين زى عندنا بالضبط ···

ثالثا : هذا هو التعيين الذى يصرف للجندى الاسرائيلي العـــادى حسب قوائم التعيين وبالمناسبة الفراخ كبيرة شوية ···

رابعا : وهو الاتفاق ·· اتفقنا ·· وسكت قليلا ·· وتعلقت الاعين به لتعرف الحل رغم كل هذه الاعتراضات ثم أكمل ·· ان نصف النـــاس تأكل اليوم ·· والنصف الاخر يأكل فى وجبة الصرف القادمة ·· وبهـــذا الشكل تصبح الفرخه على أربعة ···

كان لشهر رمضان طعم آخر فى الاسر ·· فلقد كنا قد قاربنا الوصــول الى الشكل المطلوب أن نكونه أى تم بنجاح الانتقال بنا من مرحلة كسر الانسانية لمرحلة التشكيك فى أنفسنا ومجتمعنا ثم انتقلنا الى مرحلة استقبال افكار جديدة وأراء جديدة ·· ولم يبق الا مرحلة الصـــداقة أو الذكرى الحسنة ·· لذلك فلقد تحول المعسكر فعلا فى النهاية الى معسكر جـــوالة أو أصطياف · أسرة ننام عليها والحبس لا يزيد عن ساعات معدودة ·· كنا نحشر فيها فى غرف بعينها عشرون أو ثلاثون اسيرا ·· حول أحدهم يغنى أو مسرحا للعرائس ·· أو مسرحية أو بارتيته بوكــر أو ندوة ·· أو حلقة ذكر ·· وتشتعل لفافات الدخان ·· وتحمر الاعين من السهر ··· وترتفع الضحكات ·· وفى بعض الاحيان ـ التشنجات والنهنهات ثم يوزع السحور كميات كبيرة وجيدة من الجبن والزبادى والمربى والعدس ·· ونسهر حتى الفجر نتجول فى المعسكر نتكلم ·· أو نجرى تحت رزاز المطــر الخفيف نلعب كالاطفال ··· وتقام صلاة الفجر باحتفال يضم أغلب مسلمى

المعسكر وفي هذه الايام أحضروا لنا منضدة للبنج بونج ·· وشبكة فولى بول وكرات فنقام مباريات البنج بونج لليوم التالى ·· لننام ساعات قليلة نقوم منها لنلعب البريدج والبوكر والفولى بول ونغسل ملابسنا ·· ونقرأ بعض القصص التى جاءتنا من مصر ·· سواء في طرود خاصة أو عامة ·· ويقوم بعضنا للاستجواب الذى لم يعد يشد اهتمامنا كثيرا ·· ثم نستمع لمحاضرة أو فيلم سينما أو نحضر ندوة من الندوات ويتكرر اليوم ·· الان أتخيل أنك تسألنى وماذا كنتم تقولون في ندواتكم ؟؟ سأقص عليك منها ·· في أحد هذه الندوات كان موضوع الحديث التطور ···

ـ هناك نظريتان يحكمان تفسير الحياة على الارض ·· النظرية الاولى تقول أن الحياة خلقت كما هى الجبال كما هى والبحار كما هى ·· والمخلوقات كما هى ·· لم يحدث عليها تغيير ·· والنظرية الثانية تقول بل الحياة متحركة متفاعلة متطورة ولا وجود للثبات الجبال لم تكن بهذا الشكل منذ مليون سنة ولن تصبح بهذا الشكل بعد مليون سنة أخرى والبحار واليابسة والموجودات الحية على الارض لم تكن بهذا الشكل ولن تكون فهى في حالة تطور وحركة مستمرة على مر الزمن ···

ـ بالطبع النظرية الاولى هى السليمة ·· فهذا يتفق مع الكتب السماوية ···

ـ ولكن النظرية الثانية تتفق مع العلم ·· وما دمنا نتكلم كلاما علميا فلنترك جانبا الى حد ما الديانات ونتكلم حسب النظريات العلمية ··

ـ لا ·· احنا مسلمين أو مسيحيين ولنا دين ···

ـ يا أخى انت ضابط مدفعية عندما تدرس رياضة او نظريات الميكانيكا اتسأل الاول هل هذا يتفق مع الدين أم لا ؟؟

ـ الكلام ده تخريبى ··· انت مخروب هل معنى ذلك انك تكفر بالاديان ···

ـ لم اقل هذا وانما قلت عندما تكون الكلمة للعلم فلنتفق على أن يكون محور حديثنا ومراجعنا هو النظريات العلمية ·· وتتعالى الاصوات تسكته ·····

ـ لكن من أين جاءت الارض ···· وما عليها ···

ـ يعنى انت عايز توصل ان الانسان كان قردا ···

كان هناك سديم ·· انفجر ····

ـ وقبل هذا السديم ماذا كان ···

ـ وقبل وجود الله ماذا كان ٠٠ ؟؟ سنصل الى مجهولين ٠٠ وبالتالي فعلينا ان نؤمن بالموجـود ٠٠٠

ـ طيب ٠٠ طيب انقل ٠٠ الارض موجودة حتى ظهر الانسان ٠٠٠

ـ انا أسف يا جماعة بهذه الطريقة لا اسـتطيع أن أكمل ٠٠ فلنتكلم فى موضوع آخر ٠٠٠

ـ هل تريد ان تحجر علينا تقول ما تريد ونحن نستمع لك فقط ٠٠ تعـلم اليدمقراطية ٠٠

ـ الديمقراطية هى ان تتركنى اقول وجهة نظرى حتى النهاية ٠٠ ثم تقول أنت وجهة نظرك أيضا حتى النهاية ٠٠٠ وعلى كل منا الا يتعصب لرايه ويحاول أن يقتنع ٠٠

ـ أكمل ٠٠٠ اكمل ٠٠٠ نحن نريد أن نسمع متى ظهر الانسان على الارض ٠٠٠٠

ـ ظهر الانسان فى نهاية تطور طويل وصل الى ملايين السنين ٠٠ فمنذ كانت الحياة نبضة صغيرة حتى أصبحت نبضات فى الماء تنمو لتصبح خلايا فاميبا ٠٠ وتطور الاميبا لتصـــبح جـــد المملكة الحيوانية وتثبت أخريات على الشاطىء مكونة المملكة النباتية ٠٠ ثم تتطور الاميبا الحيوانية الى اسماك كثيرة فحيوانات برمائية ٠٠ فزواحف فطيور فثدييات وتتفرع من الثدييات عائلات كثيرة ٠٠ كثيرة ٠٠ حتى نجد القرد الانسانى الاورانج أوتان ٠٠ والغوريلا ٠٠ والجيبون ٠٠ والشمبانزى ومنه عائلتان احداهما تخط فتصبح قردة ٠٠ وعائلة أخرى تسـتعمل أصـبعها الخامس فتمسـك بالادوات وتنتصب لتسير على رجلين فتكبر رأسها ٠٠ ويكبر عقلها فتزداد التجاويف فى مخها ويزداد بذلك عدد الخلايا المفكرة ٠٠ ويصبح بذلك القرد الانسانى ٠٠ انسانا ٠٠٠ بالعمل وبالانتصاب واقفا وذلك خلال حلقـــات طويلة قد تستغرق كل حلقة آلاف السنين ٠٠

ـ أولا ٠٠٠ قصة أنه كلما كبر المخ زاد الذكاء هذه غير حقيقية ٠٠ فلا علاقة بين كثرة التجاويف والذكاء ٠٠٠

ـ مستحيل بل هناك علاقة سببية حقيقية لو راينـــا مخ قرد ومخ انسان سنجد أن مخ الانسان انحناءاته أكثر وتجاويفه اكثر ٠٠

ـ أنا أتحداك ٠٠ لا علاقة بين الخلايا وبين مقدار الذكاء ٠٠٠

ـ احنا بنتكلم بالعلم الآن ملكش حجة ٠٠

ـ هل تتذكر سلسلة التطور هذه ٠٠٠

ـ بالطبع ٠٠ الان أصبحت كلها مغلوطة وبهـا سلبيات وفراغات كثيرة ٠٠ وهى نظرية لا علمية ٠٠

ـ الم تدرسها فى كليتكم ...

ـ لا .. لا ندرس هذه المغالطات ...

ولولا أن الحراس انقذوه بفتح الابواب لتطورت الندوة الى معركة ولكن سلم الامر ...

همس فى اذنى ...

ـ اليوم عندنا ...

ـ لـــماذا ... ؟؟

ـ عندنا العقيد فلان سيغنى

ـ عقيد يغنى ...

ـ صوته رائع .. اغانى عبد الوهاب القديمة ...

ـ عقيد ... عقيد ...

ـ عقيد احتياط كان فى معهد الموسيقى العربية .. وعنـــد اللواءات ضاغطين عليه لدرجة انه فعلا بيقول عايز اتعد معاكم ...

فى المساء كنا حوالى الثلاثين .. نجلس فى دوائر ضيقة جدا حول منضدة أمامها عقيد كبير السن أبيض الشعر ابوى الملامح .. وبعد ما اخرجنا ما عندنا من سجائر محترمة .. وتبادلنا بعض النكات .. وقفل علينـــا الحراس البـــاب .. ابتدأ فى الغناء .. صـــوت هادىء ممتلىء بالشـــجن والتطريب الشرقى ..

ياوابور قولى رايح على فين ... ياوابور قولى وسافرت منين ...

واشعر أننى انتقلت لعالم آخر .. بهت الثـــلاثون رجـــــلا تماما من حولى .. وبهتت صورة العقيد ولم تبق الا ذبذبات حلوة متتالية متلاحقة تستقبلها اذنى فتنفجر بداخل عقلى براكين وانفعالات واضواء مشـــــعة حلوة .. يعقبها .. أحزان دفينة عمرها آلاف السنين ورثتها عن أجدادى عندما كانوا يلتفون حول ناى أو مزمار حزين فى ليلة من الليالى القمرية يبثون شوقهم وحزنهم وقهرهم ...

الورد جميل .. جميل الورد .. الورد جميل وله اغصان عليها يميل من .. وأسرح واضغط على شفتى الســـفلى .. واخـــرج علبه الســـــجاير المسيلتون واشعل سيجارة يلتصق بطرف لسانى جزء من الدخان فابصقه محاولا الا يلتصق بقفا زميل جالس أمامى .. يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الاحزان من ذكراك .. ما هذا الحزن .. عيناه تمتلئان بالدموع صوته يهتز .. رائع .. صـــوت رائع .. ينثر حوله موجات من الشجن

فيفجر طاقات حزن على وجوه سمراء ... وصفراء .. امضها الارهاق والجوع والحزن .. والذكرى .. وتنتهى ليلة من أحلى ليالى حياتى .. ممتعة .. ممتعة .. كما لو لم أكن أسيرا ...

قال أحدهم ـ عندما يقفل علينا الباب أعود ثانيا للقاهرة بين مجموعة من الاصدقاء ....

ـ متى نعود ... متى نعود ...

ـ طالت المدة كثيرا ....

ـ هل سندفن هنا .. يا دنيا .. ياحياة .. ياهواء ..

ـ اريد أن أتنفس ..... آه .....

لقد تعودنا على هذا النمط من الحياة .. بل لقد حدث ما هو أعجب من ذلك .
لقد كسر الضباط أبواب وحوائط دورات المياه والمنشئات الاخرى وعملوا دواليب وترابيزات ... وكراسى ... وقطعوا البطاطين وعملوا منها جاكتات وبلاطى .. وشنط (هاند باج) ويمر شهر رمضان سريعا .. تأقلمنا ... تبلدنا .. لم تعد تؤثر فينا اشاعات العودة التى كانت تتكرر كثيرا .. وصلنا لاتفاق الغى الاتفاق ... وصلنا لاتفاق .. ارسلنا ٥٠ اسيرا لمصر هدية بمناسبة العيد .. لكى نظهر حسن نوايانا .. هل معقول هذا الكلام ٥٠ أسير هدية .. لماذا .. ؟ من الابله الذى يستطيع أن يصدق هذا الكلام ؟ .. انها محاولة لاثبات أن المفاوضات المباشرة خير وسيلة للوصول الى حلول .. لقد أرسلنا العميد فريد مع الاسرى عندما سيصل الى القاهرة محملا برائنا سيتفاهم مع المسئولين وسنصل لاتفاق برجوعكم ...

ليلة العيد ٥٠ اسيرا فعلا يحملون مهماتهم ويتحركون فى طوابير متجهين الى القاهرة .. نرقص نضحك نغنى .. لأول مرة تصدق الاشاعة .. يحتضن بعضنا بعضا ولكن . قد يتفقون .. وقد لا يتفقون .. يصرفون لنا علبة جبنة بيضاء وعلب فول وعلب مربى كانت قادمة من مصر والمفروض اننا كنا سنستهلكها خلال شهر رمضان .. كميات هائلة من الاكل اصبحت لدينا .. الصليب الاحمر يحمل لنا هدايا .. بطانية صوف وحلوى .. وسجائر سويسرية . لم تبق الا أيام .. من يعرف .. ؟ ..

الله أكبر .. الله أكبر .. لا اله الا الله .. الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا .. وسبحان الله بكرة وأصيلا .. لا اله الا الله .. صدق وعده .. ووفى عهده وهزم الاحزاب وحده .. أصوات قوية .. قوية .. تتصاعد ويمتلىء المعسكر بترنيمات العيد . يتوافد الضباط .. يجلسون فى صفوف .. الاصوات تعلو لا اله الا الله .. اللهم صل على محمد .. وعلى آل محمد ..

اليهود يتجمعون حول الاسوار ينظرون لنا يصورون الصلاة بالكاميرات وبالسينما أصوات قوية تملأ عتليت .. اليوم عيد .. الاغانى طول اليوم .. على بلد المحبوب وديني زاد وجدى والبعد كاويني نخرج بطاطينا ونجلس نتشمس .. اليوم سينتهى شهر الاعياد .. يوزعون علينا دفعة من الخطابات والطرود القادمة من القاهرة .. وتبدأ فترة جديدة .. مرحلة جديدة من حياتنا فى الاسر .. بعض جرائدنا نستطيع تهريبها مع الطرود .. قصة ايلات .. ضرب مدينة القنطرة .. مقال لمحمد عودة يدعو فيه الى الصمود واستمرار النضال ..

محاضرات الصفرة النهائية .. تركز على ثلاث نقاط تريدنا أن نحملها الى القاهرة . السلام .. المفاوضات المباشرة .. التقليل من قيمة العمل الفدائى والحرب .. من خلال كمية هائلة من الدموع يذرفها المحاضر السجان الاقوى مسترحما المسجون الاضعف . أقرب الطرق للوصول الى عواطفنا بدون المرور على العقل .. نحن رجال سلام .. السلام امنية حياتنا .. فهو سيتيح لنا الفرصة لان نعمل .. لان ننتج .. لان نعيش . نريد أن تخرج أطفالنا من الخنادق . ثم تهديد سنحارب حتى نحقق السلام ..

وطريقهم للسلام المفاوضات المباشرة .. (الجلوس على مائدة واحدة) على حد تعبيرهم .. وخلال هذا الكلام على أن انسى أن اسرائيل انشاتها بريطانيا .. عندما كانت اعتى دول الاستعمار العالمى . وحافظت عليها أمريكا عندما انتقلت لها زعامة المعسكر .. وكان مندوبوها يتفاوضون مع النازى فيما لو انتصر النازى .. وسيتفاوضون مع الشيطان لو اصبح حاكما لاقوى دول الاستعمار فى العالم .. وكان عادة ما تربط احاديث السلام .. بعبارة صغيرة « احنا اغنى منطقة فى العالم .. عندنا البترول والقناة والقطن والرجال والموقع .. نحن بخبرتنا ورءوس أموال أقاربنا يهود العالم الاغنياء .. وأنتم بموادكم الخام وايديكم العاملة .. نعيش فى سلام واكتفاء ذاتى » .. اما العمل الفدائى .. والحرب .

العمل الفدائى عمل طفولى .. غير مجد .. والحرب مستحيل انشاء جيش فى أقل من ثلاث سنوات هذا ليس رأيا .. انه رأى أكبر المعلقين العسكريين فى العالم الجيش ليس دبابة فقط .. الانسان الذى يحرك الدبابة يحتاج الى ثلاث سنوات تدريب وخبرة .. الطيار والطيارة .. وعموما انهم يمتلكون قوة لا تقهر وأسلحة سرية لم تستعمل فى حرب يونيو لان الاسلحة التقليدية أدت دورها .. هكذا يقولون .. لقد أدار النصر السريع رءوسهم وهم مستعدون لتحدى الاله اذا حكم ضدهم رغم كميات البكاء الهائلة .. .. وابتدأت الاستجوابات تأخذ شكلها النهائى .. فاكمالا للشكل السياسى

- أجروا لنا أختبارات قياس الذكاء .. وتجارب على جهاز كشف الكذب .. وتصنيفات للمجتمع .. اعمال المهندسين .. الزراعيين .. التجاريين .. الفلاحين العمال .. طرق المعيشة في مصر .. الترفيه .. الكباريهات .. السينمات .. .. اماكن التجمع .. المناهج الدراسية في المعاهد المختلفة والكليات ..

- متى تستطيع أن تصمم منزلا ...؟

- ... .

- هل تعمل مساعدا لمهندس لفترة ...؟

- ... .

- كم أجرك في بداية تخرجك ...؟

- ... .

- كيف تزيد مرتباتكم ...

ثم كيف تكتب خطابا مسجلا .. كيف توصل الطرود ...

ما رتبتك .. ؟؟ عبد الناصر ماذا كانت رتبته عندما قام بثورة ٥٢ بعد حرب ٤٨ .. ؟؟ ثم سمحوا بأن تتم زيارات بين معسكر القادة .. ومعسكرنا .. كل قائد سلاح أو ضابط كبير حضر .. ليرى رجاله وثارت من جديد أخبار الحرب .. تصوروا .. لقد وجدوا كتيبة دبابات سنتالين في خنادقها كاملة بعد شهرين من انتهاء الحرب .. وكانوا يعجبون لماذا تركوا هذه الدبابات .. لقد انهى الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية بها .. ونحن تركناها في خنادقها ..

وفي الاذاعة .. كاسترو يشيد بشجاعة الجندي الاسرائيلي في الحرب .. !! .. توسع حجم التبادل التجاري بين اسرائيل ورومانيا .. ! ..

وهكذا وفي نهاية المدة صدق المثال الذي يقول .. كل من يزرع يحصد .. وكل من يخطط بدقة يصل الى ما يريد .. وهكذا نصل الى شكل كان في يوم ما بعيدا كل البعد عن التصور .. ولكنه كان نتاجا لما خطط له بدقة شديدة .. لقد استعمل الاسرائيليون ما يسمى بالحرب النفسية لعمل غسيل مخ او فرض ارادة .. ولقد نجح يهود اسرائيل في النهاية للوصول الى ما يريدون .. لم يعودوا اعداءنا .. اعتدنا عليهم .. وعرفنا مزاج كل منهم .. قائد المعسكر .. امزراجي المسئول عن التعيين .. اهرون كبير المستجوبين .. الحراس .. اصوات المذيعات في الاذاعة الداخلية .. بل والجمل العبرية التي ينطقونها .. السجائر التي يدخنونها .. والفوارق بينها .. طريقتهم في التهدئة والتهديد .. الاخبار السارة والاخبار السيئة

على وجوههم ·· الاغراب بينهم زوارهم الاجانب ·· ومن الناحية الاخرى تاكدوا من أننــا أصــبحنا مسالمين مســتسلمين لقدرنا وحيــاتنا ولم نعد نفكر فى الهـروب أو الاعمـال العنيفة ·· أو حتى ابداء الامتعاض او الكره ·· فخفت الحراسة ·· وأصبحت صورية ·· وزيدت مدة الخروج خارج الحجرات ·· وتبادل الحراس والاسرى بعض النكات ·· ولم يمتعض احد لهـذه النكات فهم آدميون ·· بل أطلقت النكات عن تصورنا السـابق لليهودى ذى الانف المعقوف والشعر المنكوش ·· وأصبح بعضهم لا يخجـل من أن يقول صديقى المستوجب قال ·· وتبودلت الهدايا الرمزية ·· وأصبحت المسألة مسألة وقت واجراءات تعطلهـا الحكومة المصرية ثم ترحلون لاهاليكم

ولم نسمع الاصيحات ليلية تقول يا امزراحى حضر السندوتشات ·· ليؤذنا بالرحيل ·· لقد نضجت الطبخة ·· ولم يبق ألا أن يتذوقها الشـعب المصرى الكريم الذى لا يحمل له الشعب اليهودى أى ضغينة أو حقد ·· سيرسـل اليهود خمسة آلاف وخمسمائة سفير لهم محملين بأفكارهم وتصـوراتهم ينشرونها فى أعماق مصر ومدنهـا ·· وأصبح رجال المخابرات الاسرائيلية فى منتهى السعادة ·· لقد استطاعوا أن يقدموا عملا طيبا ·· لقد غسـلوا مخ خمسة الاف وخمسمائة حاقد متوتر بكرههم وحولوهم الى خمسة الاف وخمسمائة سفير لهم يستطيعون الاعتماد عليهم الاعتماد الكامل ·· ولم يبق الا الوجه الاخير ·· التلميع النهائى ·· قبلما يدخلون الامتحان ·· وبعدها ·· ستنفجر هذه الالغام ·· حاملة أفكارهم داخل الشعب المصرى ·· وعاصرت هذه الايام نشاطا ملحوظا ·· انتهى بأن جاء موشى ديان ليرى بنفسه ما فعله رجاله ·· وأعضاء من الكنيست ومدير الاذاعة الاسرائيلية للقسم العربى (وهو مدير المخابرات السابق) ورجال الاحزاب المختلفة ·· كل بكلمة ·· وكل بمحاضرة ·· وكل بسلامات ·· وكل بقبلات واختفت الرشاشـات ·· وأصوات الطلقات ·· أعتقد أنكم فى شوق لتعرفوا ماذا قال موشى ديان سأقص ·· كان يوما من أيام شتاء يناير ·· الامطار تضرب أسـطح المبانى بشدة ··· البرد شديد ·· المعسكر تحول الى بحيرة ·· جلسنا فى حجراتنا فى حبس اختيارى نلعب البريدج والبوكرونذخن السجائر ونحلم بالعودة ·· استدعونا ·· مجموعة من القيادات وبعض الرواد وقليل جدا من الضباط الصغار جلسنا فى قاعة واسعة ·· الميكروفونات الكثيرة فى صدر القاعة ·· عدد كبير من الضباط يروحون ويجيئون ··· قائد المخابرات يعلن علينا بأن السيد الوزير سيزورنا اليوم ·· رجل طويل أبيض ذو عصابة سوداء على عينه يرتدى ملابس مدنية بسيطة بنطلون فانلة رمادى فاتح وجاكت شمواه اخضر زيتونى ·· وقميص أبيض بدون كرافت ·· حركاته خليط من الاعتداد

بالنفس ومحاولة التبسط ... ليس مرعبا أو مخيفا يتكلم الانجليزية بلهجة أوكسفورد .. ابتدأ يتكلم بلغة عربية ركيكة .. « أنا لا أعرف العربى كويس حتكلم انجليزى هل تحتاجون لمترجم » .. قال المترجم سيادة الوزير بيقول انه لا يعرف العربية ... فضحكنا خجل المترجم وسكت .. قال كلاما كثيرا يدور حول الثلاث نقاط السابقة ... السلام والمفاوضات المباشرة .. وعدم جدوى الحرب ... ولكنه فى النهاية أطلق قنبلة دعائية .. فقال .. أنا اعرف أنكم رجال عسكريون ... والرجل العسكرى ينفذ الاوامر وستعودون لبلادكم .. وسيأمرونكم بالحرب ضدنا ثانيا ، لن الومكم على هذا .. بل أتمنى لكم حظا أحسن فى المرة القادمة وأن تؤدوا واجبتكم بطريقة أفضل ... وسكت قليلا بين علامات الدهشة ثم استطرد .. ولكن اذا حاربتمونا .. فسنحاربكم واذا أعتديتم علينا سنقاوم ولاخر رجل .. واعتقد انكم لا تستطيعون أن تحرمونا حقنا فى الدفاع عن انفسنا !! .. بالمنطق المقلوب ... أصبحنا نحن المعتدين .. نحن الاسرى الذين حاربناهم ولذلك حضرنا الى هنا ... نحن الذين يتسببون فى الحروب ، وهم مجرد مدافعين .. عن انفسهم .. ولنكن رياضيين مثله ولا نمنعه من الدفاع المشروع عن النفس .. هكذا .. وهكذا هو المنطق الاسرائيلى .. وهذه هى دعايتهم .. وهذه هى طريقتهم فى التأثير على الاخرين .. كلمات معسولة منطقية منمقة رائعة ولكن عند تطبيقها تتحول الى رصاص ونوم على الارض وجوع وتشرد وقنابل ونابلم .. وتهديد بأسلحة اكبر واقوى واكثر تقدما ...

بشرنا لقد نجح العميد فى أن نصل الى اتفاق عن طريق المفاوضات ثم أعلنا رسميا باننا سنعود الى مصرنا .. وقسمنا ثلاث دفعات .. وابتدأت بشائر العودة تظهر .. ولنأخذ يوما من هذه الايام ...

عثليت الساعه ٧ صباحا ... احد ايام شهر يناير ...

ـ المطر ينهمر بشدة ...

ـ ثلاثة أيام بهذا الشكل ...

ـ المفروض الدفعة الاولى تمشى بكره ...

ـ بيقولوا الهواء قفل الطريق بالرمل فى سيناء ولذلك ستتأجل .. حتى ربنا بيحاربنا .. حتى الطبيعة ...

ـ عندما يوافق المصريون .. يرفض اليهود .. عندما يوافق اليهود يرفض المصريون .. عندما يتفقان .. ترفض الطبيعة ...

ـ يارب بس احنا عملنا أيه ....

ـ لا تتعجلوا كله بأمر الله .. من تحمل مائتى يوم .. يستطيع ان

أن يتحمل يومين زيادة .

ـ لا مش مئتـان .. مئتـان وثلاثة وثلاثون .. انا كاتبهم خلفى فى الخريطة .. كل يوم اشطب عليه ...

ـ شفت الحـريقة دى ...

ـ ايه الحكاية ... !!

ـ جمعوا السجاير اليهودى اللى صرفناها من أسبوع ووضعوها فى كوم ثم حرقوهـــا ...

ـ لا يصح هذا .. سيغضب الناس .. ماذا يقولون عنا .. ؟؟

ـ يا أخى قول لهم يبطلوا لعب العيال بتاعهم ...

ـ نسيت عندما كدت أن تموت من أجل واحده منها ...

ـ خـلاص حنرجع للكيلوباترا والبلمونت ...

ـ شفت موشى ديان قال ايه ...

ـ آه .. فى منتهى الذكاء .. رجل معقول جدا .. مش زى حنغرقهم ... حنضربهم .. وحنرميهم فى البحر ...

ـ شـفت كان لابس أيه ... !!

ـ شيك جدا .. مش زى الصور اللى بتترسم له ...

ـ احنا يا سيد كنا مغمضين .. انت تعرف أيه عن العالم الخارجى .. كل معلوماتك عن طريق الجرائد والمجلات والاذاعة .. وكلها هدفها عمـل غســيل مـخ لك ...

ـ أنا مش فاهم ليه احنا بالذات بلدنا مقفلة كده .. شـوف عنا مليون رأى ومليون واحد يتكلم وكله بيقول .. هل يعطلهم هـذا .. بالعكس جعلهم أكثر تقدما ؟

ـ عملت لى الشـنطة بتاعتى ...

ـ هات البطانية وأنا أعملها لك ....

ـ أما شفت حتة شنطة فى الاوده .. رائعة .. من الفوط والبطاطين ومنجدة بالخشب والقش ...

ـ يا جماعه حرام عليكم تقطعوا البطاطين بتاعة الخلق .. خلى عندكم أخـلاق ..

ـ أنا شخصيا عملت من البطانية صديرى يدفينى مش شنطة ...

ـ أنت عندك ٤ شنط أعطينى واحدة ..

ـ العميد عبد العزيز طلب واحدة حبعتها له والباقى على قد مهماتى ..

ـ صمم لى بادج أحطه على الشنطة .. بس ألوانه من الخـيط اللى فى الفوطـة دى ...

ـ أصوات من الخـارج تعلو .. فى غنـاء ...
والنبى يامه .. قولى لابويه .. يجيبلى ريـال .. أو نصف ريـال .. اشـترى ...
ـ أيه ده .. !!!
ـ شوف عاملين ازاى رابطين الفوط حول رءوسهم وشـايلين الرائد بهـاء وعمالين يزفوه ...
ـ أصله من الدفعة الاولى يا بخته ...
ـ تهريج .. فرحانين قوى .. والله اليهود بيضحكوا علينا .. بقى ده رائد بالذمه لو واحد من اللى بيهللوا حواليه خدم معاه بعد كـده حيعمـل أيه ...
ـ ياعم خلاص .. انت فاكر فيه واحد من دول ينفع يخدم فى الجيش بعد كده مستحيل تفضـلوا فى القوات المسلحة ...
ـ تحصل والله .. انت عارفهم بيفكروا أزاى .. اذا كان سبونا عنا شـوف قد أيه علشـان ثلاثة جواسـيس ولا أربعة .. الاردنيون مشيوا .. وأحنا كرامتنا لا تسمح بمبادلة خمسة الاف وخمسمائة مصرى ... بثلاثة جواسـيس ..
ـ القطار يا سـادة ..
ـ افتح لنا علبتين فول ياهلال .. وعليه المربى خلصت أفتح واحدة ثانيـة ..
ـ السخان خسر .. سخنهم فى الاوده ٤ سخانهم كويس ...
ـ اشتريت البطانية دى بكام ...
ـ بقاروصة كيلوبترا ..
ـ ايه رأيك بطانية كويسـة ...
ـ أنت عارف انها اسرائيلى .. اشتراها الصليب الاحمر من هنا ...
ـ فضل عندك كام علبه سجاير سويسرى ...
ـ ثلاثة .. ومجمـع الباقى .. الحقيقـة سـجاير ممتازة بدلتهـا بسجاير كيلوبترا ...
ـ الشـمس طلعت .. آه الحمد لله .. خللى الطـريق ينضـف ونسافر ...
ـ انت عارف انى خايف أرجع ...
ـ أنا كمان عندى الاحساس ده .. بس مش عارف ليه ؟؟ ...
ـ مش عارف اذا كنت حقدر أعيش هناك .. أم .. لا .. !! كيف سيستقبلوننا فى مصر .. هل سـيعاملوننا على اننـا مصـدر خطر .. على اننا جواسيس ...

ـ أنا خايف من نفسى .. لقد أصبحت دنى .. يخيل لى أننى
ـ سآكل حتى أموت من التخمة .. ولا السجاير .. ولا النسوان ...
ـ نرجع بس .. وبعد ذلك نموت نعبا فى وسط أهالينا ...
وسرحت .. ترى ماذا يحدث فى بلدنا حقا .. هل انضجتنا التجربة ؟؟ هل تخلصنا من عيوبنا ؟ .. هل هزتنا الهزيمة من جذورنا .. لابد وأن بذور التغيير قد نضجت .. بالتأكيد .. ما علينا الا المشاركة الان .. لابد وأن بذور التغيير قد نضجت .. لم يبق الا المشاركة ..
ـ آخر الاخبار يا حضرات .. ابتدأوا فى اصلاح الطريق .. والدفعة الاولى بعد يومين .. ثم الثانية والثالثة مباشرة ...
ـ من قال لك ...
ـ سمعت فى الاستجواب .. الاسماء قد جهزت .. وأنا فى الدفعة الثانية ...
ـ وأنا والنبى ...
ـ معرفش .. لم يقل لى غير ما قلته ... !!
ـ أول م حوصل .. سأجرى الى منزلنا ...
ـ لا ياعم هناك معسكر فى المعادى ينتظرك .. للاستقبال ...
ـ المعسكر فى الهاكستب .. قالوا لنا ...
ـ وما الذى ادراهم ...
ـ لا يخفى شىء عنهم .. تصور بيقولوا انهم بيعملوا هناجر طيران فى الماظه وفى المقطم وعلى طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى ...
ـ تفتكر متى سينتهون من اصلاح الطريق ...
ـ يومين ثلاثة ...
ـ انتم تصلحونه فى يومين ثلاثة .. اما هم فيصلحونه فى ساعتين ثلاثة .. فاكر مواسير المياه فى بئر سبع ...
ـ طيب يا سيدى يارب ...
ـ عايزين نلعب بارتيته بوكر ...
ـ فى مصر بقى بالفلوس .. والله م حد حيشوفكم ...
ـ نبقى خاينين العيش والملح .. معقول الواحد ينسى الايام دى .. أو ينساكم ..
ـ نشرة الاخبار ...
ـ هو يارنج اللى حيحلها .. بس على الله م نجمدش مخنا ...!

ـ المفروض أن تحل ... يكفى هذه السنين .. فهم لا يريدون سيناء ...

ـ بيقولوا حيعملوا دولة فلسطين من غزه والضفة الغربية .. ويتركوا لها ممرا في وسط اسرائيل ... على شرط أن تكون منزوعة السلاح ... وممكن تدخل في اتحاد فيدرالي مع اسرائيل ....

ـ لا اللي سمعته انهم عايزين يعملوا من الاردن واسرائيل ولبنان أتحاد فيدرالى ودولة واحدة ...

ـ وهل يرضى بهذا .. هل تستطيع أن ترفع رأسك ...

ـ بطلوا الانشا دى اللى طلعت عنينا ... لا ترفع رأسك ولا تنزلها .. السياسة مخ يا سيد .. م ودناش في داهية الا الشعارات الجوفاء بتاعتكم دى ....

ـ سامع الضحك ...

ـ في مسرح العرايس ... تعال نتفرج ...

ـ سامع الاغانى ....

ـ يا امزراحى أعمل السندوتشات بقى ... ها .. ها ... ها ...

ـ الليلة فيه حتة سهرة في الاوده (١) ..

وهكذا كانت تمر الايام الاخيرة وللملاحظة اختلطت المواعيد .. فأصبح السهر طول الليل والنوم نهارا وقد يمر يوم أو يومان ولا ننام سوى ساعات قليلة .. الارق .. الدخان أحلام اليقظة الخوف من قوى مجهولة .

وكنا قد استوعبنا الدرس .... لقد كانت الحرب التي خضناها ضد اسرائيل ضوءا أحمر يضىء لنا ليشعرنا أننا نعيش في مجتمع متخلف حضاريا وان الطرف الاخر استعمل أقصى الاشكال العلمية تطورا للقتال واهمها كان التطبيق العلمى للحرب النفسية وهو السلاح الفاصل الذى انتصروا به في حرب ١٩٦٧ ولقد طبقوه علينا نحن الاسرى أحسن تطبيق .

وكان علينا أن نواجه العذاب ... لقد صبغونا بصورتهم وتركونا بين أهالينا .. نشعر بأننا خوفة منفصلين مصبوغين نردد دعاية العدو .. وبين ما تعلمناه طول حياتنا قبل الحرب وما أملى علينا كنا في صراع وتمزق وهو الشكل الذى عدنا به الى وطننا .

الفصل الخامس

رحلة العودة

نقلت لكم الفصل السابق من مذكرات صديقنا كما هي تماما .. واعتقد انكم ستلاحظون الفرق بين طريقته فى كتابة ذلك الفصل وحواره معنا فى الفصول السابقة ..

لقد ظل على هذه النغمة العنيفة والحادة الممتلئة بالكلمات المتضخمة عن الامبريالية والحرب الشعبية وما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .. وخيانة البرجوازية والصراعات الدموية .. والبيروقراطية والكومبرادورية .. كلمات لا أعرف من أين استعارها .. والشىء الغريب أنه كتب هذا فى تقرير عن التميز الطبقى فى القوات المسلحة واثره فى الهزيمة العسكرية والتف حوله عديد من الافراد يقرأون ويتكلمون ويلعنون .. وأصبح صديقا لعديد من الشبان المنتشرين فى الجامعات يكتبون مجلات الحائط ويتجمعون فى المدرجات ويصدرون المنشورات وينظمون المظاهرات ويستفزون كل من حولهم .. بل كان يمكنك مشاهدته فى مثل هذه الاجتماعات يرقب .. ويتكلم .. وفى بعض الاحيان ينفعل ويسخط .. كان يرى انه لابد وأن تقوم حرب شعبية تعبىء الجماهير .. وتحركها .. وكان ينتقد بكل شدة أى تهاون او تراخ يراه حوله .. حتى الطبيعى .. ويثور .. ويسب فى بعض الاحيان لاسباب قد تكون تافهة .. واحبه كثيرون وتحاشاه كثيرون .. حتى اكتوبر ٧٣ .. زرته فى منزله يوم السادس من اكتوبر .. وجدته قابعا امام التليفزيون يراقب الاحداث بصمت .. سألته عن رأيه .. كان متحفظا .. لا يستطيع أن يتحمس .. ولا يستطيع أن يرفض ولكن بعد يومين كان ثائرا للغاية .. لماذا .. ! لماذا لم نندفع حتى الممرات انها الحد الادنى للدفاع .. بغير الوصول اليها .. لا يمكن الدفاع عن شريط رفيع من الارض .. لقد فقدنا بذلك العمق الاستراتيجى .. وبعد ذلك بأيام .. رأيته هادئا .. قال .. لم نكن نستطيع فعلا أن نفعل اكثر مما كان .. لقد كانت الدبابات الامريكية تنزل من الطائرات مزودة بالوقود ومعمرة بالذخيرة ومستعدة للاشتباك .... ولو وسعت المسافة بين

الجيشين كان من الممكن استخدام الاسلحة النووية ٠٠ ثم لانت لهجته ٠٠ وابتعد أو تباعد عن اصدقائه ٠٠ وغرق فى تفكير عميق لعدة أيام ٠٠ ثم قال ٠٠ معركتنا الان أن نعمل ٠٠ أن نتقدم ٠٠ أن نتعلم ٠٠ أن نداوى الجراح وننطلق ٠٠ وشعرت أنه كان بحاجة لانتصار حتى يتوازن نفسيا ٠٠ وعندما توازن ابتدأ يفكر بشكل متحضر ٠٠ لا يحبذ سفك الدماء والتدمير ٠٠ وانما يتطلع لمستقبل يبنى فيه الوطن بجهد حقيقى لابنائه لامتلاك لغة العصر وادواته الحضارية ٠٠٠

اليوم سيرحلون ٠٠ اكيد ٠٠ لا شىء اكيد فالشهور التسعة الماضية شككتهم فى كل شىء ٠٠ ورغم أن كل الظواهر كانت تبشرهم بالعودة الا أن شكهم كان أقوى ٠٠٠ رحت الامانات ٠٠ والسندوتشات أعدها امزراحى وتفاصيل اعدادها عندهم اولا بأول لقد كان يقطع الخبز الى شرائح وبالفرشاة المغموسة فى المربى أو الجبن يطلى وجها من وجهيها ٠٠ ومن خلال راديو رد مع الامانات استمعوا الى اذاعة القاهرة ٠٠ كان جسده يرتعش مع سماع الكلمات « هنا القاهرة » رغم البلوفر الجديد الذى ارسلته له أمه والفانلة الصوف التى أرسلتها حكومته ٠٠

وانحبست الدموع فى عينيه كلما تذكر أنه بعد أيام سيكون طليقا فى شوارع مدينته وبين أهله ٠٠ يستمتع بدفء الشمس ٠٠ وسحر النيل ٠٠ ويزاول حياته فيستطيع أن يذهب الى السينما او المسرح أو الكازينوهات واستكثر على نفسه كل هذه السعادة ٠ حمام دافىء ٠٠ وأكل نظيف ٠٠وسرير منظم له وحده ٠٠ ترى هل سيرجعون ٠٠٠ مستحيل لماذا كل هذا العذاب ٠٠ ولماذا تركتموهم كل هذا الزمن ٠٠ الوجوه حوله متوتره ٠٠ ابتسامات ٠٠ ضحكات يشوبها القلق والترقب ٠٠ الخوف من المجهول اصبح طابعا لجميع تصرفاتهم ٠٠ لو حدث أى عامل جديد يغير الموقف ٠٠ كأن يسد الطريق او تندلع الحرب ٠٠ أو يختلفوا فلن يتحملوا الموقف ٠٠ يجمعون بطاطينهم ٠٠٠ واوانيهم لتسليمها ٠٠ يعدون شنطهم ٠٠ لقد اصبح لديهم حصيلة من الممتلكات سواء ما وصلهم عن طريق الصليب الاحمر او ما اعتبروه ملكا لهم ٠٠ الاسرائيليون يبتسمون يردون عليهم الابتسامة بمثلها ٠٠ قامت بينهم عشرة طويلة الرائد صفوت يسلمه لفافة بها بيانات منفصلة عما حدث ٠٠ عدد مرات الاستجواب ٠٠ المحاضرات التى القيت سلوكيات الافراد ٠٠خاف أن يحملها فيفتشوه ويحصلوا عليها ٠٠

يضيعون الوقت بالحركة ٠٠ يدخنون بشراهة ٠٠ لا يأكلون ٠٠ الجو جميل اشعة الشمس رائعة تحتفل بهم ٠٠ اغانى ام كلثوم ٠٠ على بلد المحبوب وديني ٠٠ يحاولون أن يلعبوا كوتشينه ٠٠ لا يستطيعون ٠

ـ أحدهم بيسأل ... مستعد تحاربهم تانى ..

ـ معرفش .. جليز .. لأ .. معرفش ..

.. يحل الظلام .. انه أطول يوم فى عمرهم .. يبتسم عندما يتصور أن يوماً من عمره القصـــير المحدود يرجوه أن يتحـــرك وينتهى ويتفلسف متسائلا .. ترى كم يوما من عمره قضاه فى الانتظار وتمنى أن ينتهى !! ترى هل سيعيش بعد ذلك أياما يرجوها أن تبطىء فى سيرها وهل سيستطيع تعويض هذا اليوم الذى مل انتظار نهايته .. وتشرد أفكاره .. فلم يعد يستطيع أن يقودها .. هل هناك يوم حلو .. ويوم مر .. وما المقياس .. وما هى السعادة .. أين هى .. متى .. وكيف .. !! هل رجوعه لوطنه هو السـعادة .. أم هروبه بعيدا عن رعب الموت ورعب الـذل والســجن والقرف وقسوة الحياة .. ترى كيف سيستقبلونه ؟؟ هل القـاهرة والاهل والمنازل والاطفال والحدائق والشوارع والحياة بنفس الشكل الذى تركها عليه ؟؟ مستحيل بعد حرب انهزم فيها الجيش الذى لا يقهر واهتز الزعيم الذى لم يهتز أبدا أن تبقى الاشياء كما هى .... هل واجه الشعب نفسه ؟ هل تغيرت المقاييس أو على الاقل بذرت بذرة التغيير ؟؟ كيف تلقوا نبـأ الهزيمة ؟؟ ما الذى دفعهـم للخروج يوم ٩ ، ١٠ يونيو ؟؟ هــل غيرتهم التجربة ؟؟ هل لا يزال الفـلاحون يبـذرون الحب ولا يكترثون بما يدور حولهم ؟ ماذا يقال لهم ؟ وما تفسيراتهم ؟ أى الافلام فى دور السينما ؟ هل استعاد مجلس الامة سلطاته التى قدمها هدية ؟؟ الجيش !! أين هو الان ؟ هل استعوض سلاحه ؟ وهل يتم تدريبه ؟ هل مازالوا يطلقون البروجى للواء عند دخوله المعسكر وترفرف الاعلام فى مقدمة عربته ؟؟ هل تغيرت الوجوه ؟ هل سيقابلونهم بالترحاب أم بالحذر والخوف ؟ كان يتجول فى حجرات المعسكر بدون هدف .. بعضهم كتب شعارات الثار على الحوائط .. عائدون لفلسطين .. لن ننسى شهداءنا ..

الظـلام يحـل .. لم يعد انذارا بدخول العشش .. اصبح ايذانا بالرحيل ... جبل الكرمل فى قمة جمالة .. الاشعة الحمراء والبرتقالية والصفراء الناتجة عن الغروب تلقى ظلالا طويلة عليه .. والمصابيح الصغيرة المتناثرة تتلألا فى وســط خضرة زيتونية رائعة .. نسمة هـواء باردة منعشة ...

ينادون عليهم يتجمعون فى صفوف كل منهم يتســـلم بطاقة يتجه الطابور عبر الطرقات الضيقة يمرون على معسكرات مهجـــورة كانت مكان الجنود تصدر منها روائح كريهة ناتجة من طفح المجارى وتكوم الزبالة . الضباط يتدافعون لتكون لهم أولوية الدخول للاتوبيس المتدافعون يدخلونهم

لاخر الاتوبيس يركب صديقنا اخر الضباط يجلس فى اول كرسى ... نفس المكان الذى حضر فيه الى بئر سبع . شعور مكبوت لا يستطيع تحديده .. الستائر تسدل .. ولكن من فتحة صغيرة يستطيع ان يشاهد عربة جيب فوقها لمبة تنبيه زرقاء تجرى بجوارهم وحذائهم .. ثم تسرع لتسبقهم وتبطىء ليسبقوها قول الاتوبيسات يتحرك .. ها هم فى طريقهم الى وطنهم الحارس فقد توتره .. يشرب خمرا من زجاجة صغيرة ويقضم سندوتشا .. يتكلم كلاما غير مفهوم رغم أنه باللغة العربية عن معاملة اليهود ورأيهم فى الحرب ومتى سيعيشون فى سلام .. وأنه يريد أن يترك السلاح ويرقص .. أصبحوا فى غزة .. الشوارع خالية .. يقوم بالحراسة فى نقط المرور فتاة حلوة ... ترتدى زيها بأناقة وتحمل السلاح .. اثار الهدم واضحة على المنازل.خان يونس .. رفح .. مبنى أشرف على اقامته يشد انتباهه وحدة صحية سابقا .. أصبحت ثكنة عسكرية مرفوع عليها العلم الاسرائيلى .. نوافذه مكسرة .. يشعر كما لو كان قد ترك فى الاسر ابنا له .. الاتوبيس يمر سريعا .. طالما عبروا هذا الطريق محملين ببضائع غزة .. الشيخ زويد لديه ابن آخر هنا يبحث عنه حتى يجده وحدة صحية اخرى لم يتممها .. وها هى مكتملة .. ولكنها محبوسة .. العريش .. عاش فيها لمدة طويلة فى حداثة تخرجه .. كان مهندسا للاسكان والمرافق بها .. وله ابناء كثيرون وتوقفوا امام واحد منهم مدرسة الصناعات ... نزلوا من العربات لقضاء حاجتهم أخر ذكرى يتركها فى سيناء .. وكلمته الارض .. وكلمه المبنى .. كانوا يبكون .. استنجدوا به ... ودار بينه وبينهم حديث طويل .. حديث عن ومن الارض المحبوسة .. وود لو بقى .. وود لو عاد مهندسا يبنى ويخطط ويعمر .. ولكن صوت الحارس كان اعلى من صوت الارض .. كان عليه أن يغادرها .. على أمل .. وظهر الفجر وهم يسيرون على طريق العريش - القاهرة اطلت الشمس من بين النخيل .. طالما اطلت عليه فى عربته العسكرية اثناء المناورات .. أو عربة الاسكان وهو يخطط لبناء جديد .. كان يجب أن يراها دائما من هذا المكان .. وكان يود دائما أن يرقد لاخر عمره على الرمال البيضاء الشديدة البياض بشاطىء العريش .. تحت نخلة .. ترعى حوله الماعز فى سلام ... انتهى آخر ليل يقضيه فى الاسر .. وشعر بانقباض ترى هل هم متجهون فعلا للقاهرة أم سينقلونهم لمعسكر آخر .. وهمه هذا الخاطر حتى أنه لم يودع ابنا آخر له فى بئر العبد حيث كان يشترى السمك البورى المشوى والسمان .. الاعراب يلوحون لهم .... وهو لا يستطيع أن يقف ليفاصلهم فى ثمن البورى والبيض والسمان .. الاعراب

يشيرون الى أفواههم ٠٠ جيـــاع ٠٠ ترى من اين يأكـــلون ٠٠ وكيف يتكسبون من قوات الاحتلال ٠٠ المثلث ٠٠ من هنا الطريق للقنطرة يعـرفه جيدا ٠٠ هنا كشك المرور ٠٠ ولكن لا وجود له الان ٠٠ للتحصـــينات العسكرية تملأ المنطقة ٠٠ ها هم قد وصلوا القنطرة ٠٠ هذا الطريق يوصل الى الجمرك ٠٠ او ما كان جمركا ٠٠ هنا كانوا يضعون أيديهم على قلوبهم خوفا من المغالاة في الجمارك ٠٠ والان تدق قلوبهم فيلزمهم على بعد خطوات العـربات تقـف في قول واحـدة خـلف الاخـرى ٠٠ والحراس يلتقطـون الصور التذكارية ٠ هنا القاهرة ٠٠ « الناس والشتاء » ويستمعون بشـغف للبرنامج رجل عجوز من أهل القنطرة يركب حمارا ويضع على ساعدة علامة رجال الامن ٠٠ عجوز يريد أن يأكل ٠٠٠ العربات تتحرك وتعود بالاسرى اليهود ٠٠ واحدا في كل عربة ٠٠ شـعرة طويل ٠٠ ذقنة كثيفة ٠٠

وتذكر عندما سأل سكرتير حزب المباى عن عدد الاسرى اليهود فقـال سترونهم عندما يتم التبادل وتعرفون أنهم لم يتجاوزوا العشرين ٠ العربة تقترب من المعدية ٠٠ مبنى الجمرك تحول الى مركز قيادة مرفوع عليه العلم الاسرائيلى ويتحرك منه واليه عدد من الجنود والمجندات الاسرائيليات ٠٠٠ ثم تستدير العربة لتقف ٠٠ لا يصدق نفسه الشاطىء الاخر ها هو واضح ٠٠ لا يصدق ٠٠ جمهور من مصورى التليفزيون والمصورين الصحفين يلتقطون لهم الصور ٠٠ يزم شفتيه يتماسك من أجل المصورين ٠٠ لنش من هيئة القناة يقوده مصريون ٠ يخطو داخل اللنش ٠٠ لا يستطيع أن ينظر خلفه ٠٠ صيحات التهليل والسلامات من اليهود ٠٠٠ مع السلامة ٠٠٠ مع السلامة ٠٠ شالوم ٠ يجلس على دكة في مواجهة شاطئنا حلما كان قريبا من شاطىء مصر كلما كان افضل ٠٠ مازال متماسكا ٠٠٠ زاما شفتيه ٠٠٠ الارض المصرية تحت قدميه ٠٠ جنود بملابس الشرطة العسكرية المصرية ٠٠ لواء مصرى سمين يقف لتحيتهم ٠٠ الحمد لله على السـلامة ٠٠ كيس به سخوتشات ٠٠ علبه سجائر زجاجة كوكاكولا ٠٠ أهلا ٠٠٠ ما اسمك ٠٠٠ يبكى بشدة لا يستطيع أن يمنع دموعه ٠٠ انهار التماسك التمثيلى ٠٠ يبكى على حضـن امه ٠٠ هنا يستطيع البكاء ٠٠ ولاول مـرة ٠ أحدهم يربت على كتفه ٠٠ معلهش ٠٠٠ يبكى ٠٠

أحدهم يساله ٠٠٠ ـ ماذا تريد ٠٠٠٠ ؟

ـ أريد نظارتى ٠٠٠

ـ أيـن هـى ٠٠٠

ـ أخذها اليهود منى يوم قبض على ٠٠٠٠ آ!

وحتى الان مازال صديقنا يبكى كلما قص علينا هذا الموقف لقد أهدته عائلته عشرات النظارات واشترى عشرات اخرى على احدث طـراز ٠٠ ولكنه كلما تذكر نظارته يبكى ٠٠٠ لقد كان دائما يعتبرها الشيء الشخصى الذى سرق منه ولم يستطع أن يدافع عنه ٠٠٠ حتى ولو بكلمة احتجاج ٠٠ كان يردد دائما ان اقسى درجات المهانة ان يغتصب شخص ما اشياءك أمامك ولا تستطيع الاحتجاج سواء كان هذا الشخص عدوك ٠٠ أو من بنى وطنك ٠٠ أو غريبا وحتى الان مازال يستفزه جدا لو مد أى شخص يده الى شيء يخصه واخذه دون اذنه حتى ولو كانت سيجارة من علبته ٠٠٠٠

ركبوا أتوبيسا آخر فى طريقهم الى القاهرة ٠٠ كان يرافقهم رائد بحرى ٠٠ وامطره زملاؤه بأسئلتهم ٠٠ اما هو فقد كان يبكى ٠٠

٠٠٠٠ ـ كيف حـال الجيش ٠٠

ـ عال عظيم

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دمـوع ٠٠ دمـوع

ـ ما قصـة الباخرة أيلات

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دمـوع ٠٠ دمـوع ٠٠ القاهرة ٦٠ كيلو متر

ـ ردت لنا ثقتنا زوارق الطوربيد ٠٠

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ دمـوع ٠٠ دمـوع ٠٠ القاهره ٥٠ كيلو متر ٠

ـ كيف كنا سننتصر ٠٠ هل هذا معقول

دموع ٠٠٠ دموع ٠٠٠ القـاهرة ٢٠ كيلو متر

وتظهر مشارف القاهرة ٠٠ المصانع ٠٠ المطار ٠٠ الطريق للكلية الحربية

ـ الى أيـن ٠

ـ الى الكلية الحربية ستقضون بعض الوقت هنـاك ٠

ـ كثيـرا ٠٠

ـ لا من أجـل الحجر الصحى فقط ٠٠٠

وهكذا وصلوا الكلية الحربية ٠٠ وقذفت المخابرات الاسرائيلية الكرة الى المخـابرات المصرية مجمـوعة من الرجـال المـرقين أجـريت عليهـم تجارب الحرب النفسية الخبيثة ٠٠٠ القت فيها المخابرات الاسرائيليه بكل ثقلها فى معالجتهم ووثقت مما فعلت ٠٠

وابتدأ الجانب الاخر يتعامل بحذر مع طرد المتفجرات القادمة له من الشـط البعيـد ٠٠٠

الكلية الحربية من الباب الخلفى ٠٠ ضباط من دفعات الاسرى السابقين يجلسون يستمتعون بالشمس ٠٠٠

فرقه موسيقى الجيش تقف فى الفناء فى مواجهة المبنى تعزف

« يا حبايب بالسلامة ٠٠ رحتم ورجعتم لنا بالسلامة ٠٠٠ »

« الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ الله أكبر فوق كيد المعتدى »

« بلادى ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى ٠٠ لك حبى وفؤادى »

الدموع لازالت تملأ عينيه ٠٠ جسده يهتز بشدة ٠٠ يشعر بالقشعريرة ٠٠

٠٠٠ تفضلوا يا حضرات ٠٠ فوق من فضلكم ٠٠ الحمد لله على السلامة ٠

٠٠٠ تفضلوا يا حضرات فوق

٠٠٠ تفضلوا يا حضرات

٠٠٠ تفضلوا ٠٠٠٠٠

عندما حضر صديقنا للعلاج بالمستشفى لاول مرة ٠٠ تعاملنا معه كحالة خاصة جدا ٠٠ كان هادئا منطويا على نفسه ٠٠ يرفض الخروج من المستشفى حتى ولو لنزهة قصيرة ٠٠ كان يتكلم عن الوحوش بالخارج فى الاتوبيس والشارع والمنزل والعمل ٠٠ وكان لا يقبل العلاج ٠٠ فلقد اكتشفنا بعد مدة انه لا يتناول الاقراص المهدئة الا قليلا ٠٠ عندما ناقشته فى ذلك ٠٠ كان رده انه ليس مريضا بل نحن المرضى لاننا لا نستطيع أن نرى ما يراه الاعمى بوضوح ٠٠ القيادة لم تتغير حتى القيادة التكتيكية ٠٠ ولازالت تتخبط بنفس الدرجة ٠٠ والتعليمات المهزوزة والمترددة لازالت ٠٠ ونحن نتحرك نحو كارثة لا يستطيع أن يشارك فيها على الاطلاق ٠٠ وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يقاومها لذلك فهو يفضل أن يبقى بين المجانين فى مستشفى عن ان يعاشر هؤلاء الخطرين المطلق سراحهم أعداء أنفسهم وأعداء البشر ٠٠٠

وكان لا يفعل شيئا الا الاسترخاء والقراءة والاستماع للموسيقى وفى بعض الاحيان الحديث مع المرضى باهتمام شديد ٠٠٠

ولقد قمنا بعلاجه بطريقة حديثة كانت تطبق لاول مرة بالقوات المسلحة ٠٠ وهى طريقة المجموعة ٠٠ أى تجميع عدد من المرضى ثم ادارة حوارات منظمة بينهم وتصحيح الاتجاهات الفكرية وتنمية رغبتهم فى الحياة بزرع الامل والحب والاهتمام بالاخرين ليحصدوا حبا واهتماما ٠٠ وتحسن وعاد الى عمله فى وحدة جديدة من الوحدات التى انشئت بالقوات المسلحة من المتعلمين وخريجى الجامعات ٠٠ كان سعيدا بوحدته الجديدة ٠٠ وكان يقول لاول مرة أقف امام طابور لا يوجد به أمى واحد ٠ وكان قائد وحدته الجديدة حكيما ٠٠ عندما تقابلا لاول مرة فاجأ صديقنا بانه لن يعمل ٠٠٠

ولن يشارك فى جرائم قتل الابرياء عن طريق قيادة ممزقة ٠٠ فطلب منه الاخر أن يبقى فى حجرته ويكتفى بمساعدته فى ارشاد هؤلاء الصغار قليلى الخبرة حتى يصلب عودهم ٠٠ فقط الارشاد ٠٠ استخدمه كاستشارى ٠٠ وبمرور الوقت اندمج فى الحياة الجديدة ووجد صدى لجهده ٠٠ كان يحاول أن يصب فى رجاله كل خبرته السابقة وأعطى لوحدته كل وقته وجهده ٠٠ والتف حوله الشباب ٠٠ كانوا يحبونه ويحترمونه الى درجة كبيرة ٠٠ وتكونت واحة وارفة الظلال داخل صحراء حياته ٠٠٠ خاف عليها ودافع عنها بكل قوته ٠٠ حتى كان يوم ٠٠ صدرت الاوامر فيها للجيش بالانتشار وسط المدنيين وفى الشوارع والحقول وانتكست حالة صديقنا ٠٠ اصيب بالرعب كان يقول ان القيادة لا تدرى ماذا تفعل وسيغرقون جزيرتى فى بحرهم الفاسد ٠٠ وعاد الينا فى المستشفى أكثر ثورة وتوترا كان يقول هل فقدت مصر كل رجالها الاكفاء ٠٠ ألا يوجد الا هذا ليصبح وزيرا للحربية وقائدا للقوات المسلحة كان يحمل بغضا متزايدا لقيادته وعدم ثقة فى مقدرتهم ٠٠ وبالتالى لم يكن أمامنا الا عرضه على القومسيون الطبى ٠ فى ذلك اليوم دخل علينا متوترا للغاية كانت كفاه تنضحان عرقا غزيرا ٠٠ وكان قلبه يدق بسرعة ٠٠ وعيناه غير مستقرتين تماما ٠٠ وكان لا يزال يتكلم عن الوحوش والغابة بكلمات غير مترابطة وكان يقص علينا أحلاما كابوسية عن الطوفان والزلازل والبراكين ٠٠ وقرر الاطباء عدم صلاحيته للخدمة العسكرية لاصابته بعصاب حرب مزمن ٠٠ ثم احيل الى المعاش بعد ذلك بأيام ٠٠٠٠

تدافعوا الى العنبر الطويل المرصوص به أسرة ذات دورين ٠٠ على كل سرير بيجاما واوفرول ٠٠ وغيار داخلى ٠٠ وزجاجة كولونيا ٠٠ وعدة حلاقة ٠٠ وعلبه سجائر صغيرة ٠٠

وطلب منهم خلع ملابسهم وارتداء الملابس الجديدة وبسرعة تمهيدا لحضور مؤتمر مع السيد اللواء صادق مدير المخابرات الحربية ٠٠

وكان أحد الضباط يتحرك بينهم يسالهم هل مع احدكم نقود كثيرة ٠٠ وبالطبع أجاب بأن معه مائتا جنيه تخص كانتين الوحدة استطاع الاحتفاظ بها فطلب منه الاحتفاظ بها حتى يمر عليه بمكتبه لتسليمها ٠٠

ذهبوا الى مكان المؤتمر خيمة كبيرة بها مناضد وكراسى ودكك وفى نهايتها مكتبة وبيك آب واسطوانات وسماعات ٠ القاعة مضاءة اضاءة قوية ويقف فى صدرها امام الميكرفون لواء طويل اصلع يتكلم ٠٠٠

- أتفضلوا ٠٠ الحمد لله على سلامتكم ٠

- مساء الخير يا حضرات ٠٠ الحمد لله على سلامتكم ٠٠ كنا فى شوق اليكم وكنا نتمنى أن تكونوا بيننا من مدة طويلة ٠٠ الاوراق التى أمام سيادتكم

نحن آسنون بطلب كتابتها بسرعة ‥ ولكن عندما تقرأونها ستعرفون مدى أهميتها وستقدرون سبب سرعة طلبها ‥ أرجو أن تملأوها بعناية شديدة ودقة ‥ بكل ما لديكم من وطنية ‥ بكل ما لديكم من حب لبلدكم نرجو

أن تكتب بصراحة مطلقة لكى يمكن الاستفادة منها ‥ أكتب كل شىء ‥ لا تترك شيئا ‥ لن نحاسبكم على أى تصرف مادمتم تكتبونه فى هذه الورقات خلص نفسك ‥ وامسح جميع أخطائك ‥ بالكتابة بصراحة ‥

أوامر السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الحربيه بالا يحاسب احدكم على ما فعل مهما كان مادام قد أدلى بمعلوماته فى استمارة البيانات ‥ أرجوكم لا تتركوا شيئا ‥ سوف نملأ الاستمارة الان لكى تكون الوقائع لازالت ماثلة فى أذهانكم ‥ كلما انتهينا سريعا كلما كان فى مقدورنا أن نسمح لكم بالخروج والعودة لمنازلكم ان شاء الله ‥ نقرأ البيانات مع بعض ‥‥

الاسـم : بالطبع اسم سيادتك تكتبه فى الخانة الفارغة أمامه

السـن : الرتبة ‥ العنوان ‥ بالطبع عنوانك هنا فى مصر أو فى البلد اللى حتقضى فيها أجازتك ‥ المهنه اذا كنت سيادتك احتياط أو لك شغل آخر ‥‥

باقى البيانات ‥‥ وحدتك ‥ بالطبع قبل الاسر ‥ أنا بتكلم وانتم بتكتبوا ‥ معانا ‥

بيانات عن الاسر : متى ‥ ؟ أين ‥ ؟ كيف ‥ ؟

بيانات عن التصرفات : من حاول الهروب ‥ من تعاون مع العدو ‥ هى مش فتنة يا سادة أو عمل لا أخلاقى أن تقول ولكن المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار تأكدوا يا حضرات اننا لن نحاسب أيا منكم على ما حدث هناك ‥ كل منكم يتكلم بصراحة ‥ نحن نعلم أنكم كنتم بين أيدى العدو ‥ وكان من الممكن أن تفعلوا أى شىء ولذلك نرجوكم الكلام بصراحة ‥

أى ملاحظات لك أثناء رحلة العودة : أكتب فى الخانه القادمة أى معلومات تحب أن تكتبها يوجد ورق اضافى فارغ لتكتب فيه اذا لم يكن الورق كافيا نرجو الا تهمل أى شىء مهما كان صغيرا ‥ كل شىء سنستفيد به خلاص ‥ كل واحد من فضلكم يحضر لنا الورقة هنا ‥ لا تخرجوا يا حضرات ستدردش قليلا ‥ عشر دقائق ‥ احضرنا لكم فيلما ظريفا ستشاهدونه فى الصالة السفلية ‥ اما العشاء وتناول الطعام فسيكون فى هذه الصالة ‥ احنا هنا رجالة بلدكم ‥ وبنعمل لمصلحتكم ولحمايتكم وكما قلت من قبل لن يحاسبه أى فرد على أى عمل بدر منه فى الاسر الورق هنا يا حضرات ‥ اتفضلوا ‥ خلاص كل الورق موجود هنا ٠ نتكلم فى موضوعنا الان ‥ ثانيا :ـ

الحمد لله على السلامة ‥ البلد كلها مصر ‥ الجيش ‥ السـيد الرئيس والسيد الفريق يهنئونكم بسلامة الوصول وان شـاء الله بعد ما تستريحون قليلا سيحضر سيادة الفريق فوزى للقائكم نحن نعلم جميعا أننا قد خرجنا من نكسة وهزيمة عسكرية لكن الحمد لله الشعب فى الداخـل والجيش على الحدود أخذا موقفا صلبا ومنعا الهزيمة من أن تصل الى أهدافها ‥ العدوان كان موجها للحكم أساسا وبالتالى فى عدم سقوطه عدم تحقيق لهدف العدوان ‥ أعرف أنكم لديكم أسئلة كثيرة وأنهم قالوا لكم معلومات كثيرة عن الفوضى بالداخل والانهيار الاقتصـادى والحمد لله انتم شفتم خـلال حضوركم أن الجيش صامد يحتل مكانه والحقيقة أن هناك رخاء أقتصاديا بعد الدعم العربى لمؤتمر الخرطـوم .

كيلو اللحمة النهاردة بستين قرشـا . وجايز بخمسة وخمسين ومتوفر فى السـوق ... حقيقى بعد النكسة مباشرة زادت الاسـعار قليلا ‥ ولكنها عادت لمـا قبل يونيو ٦٧ ... والحمد لله حققنا الصمود العسكرى وأظنكم تعرفون قصة المدمرة أيلات ‥ بعد العدوان مباشرة كما قال سياده الرئيس كان الطريق مفتوحا للقاهرة ... لا يوجد جندى واحد قادر على الحرب ‥ اليوم الحمد لله الجيش صامد ‥ وكل ما نرجوه أن تتعاونوا معنا . الجهاز تغير ‥ الجيش تغير ‥ القيادات أصبحت أصلب سـيادة الفريق فوزى سيادة الفريق عبد المنعم رياض وقيادته التى تكلم عنها العدو قبل الصديق فى الاردن ‥ الغلطات القديمة تم اصلاحها وحدثت تغيرات كثيرة ان شـاء الله سـوف ترونها عندما تعودون الى وحداتكم ... لا أريد أن أثقل عليكم ‥ ويمكنكم أن تسألوا أى أسئلة ... لا تخافوا ‥ ها اتفضلوا ‥ أيه مفيش أسـئله ؟؟ ‥

– ... ... ‥

– المشير انتحر ‥ أخذ مواد سـامة ‥ والنائب العـام قـرر أنه لا يوجد فعـل جنـائى

– ... ... ‥

– كانت هناك مؤامرة فعـلا بعض الضباط رجعوا من سيناء خافوا من المحاكمة وهم أمام محكمة عسكرية عادلة ...

– ... ...

– الاسرى فعـلا اليهود اقل من عشرين ‥ لا ‥ لا ‥ لم نأسر لواءا كاملا كانوا من الضفادع البشرية وبعض الطيارين .

– ... ... ‥

ـ أيوه ضربوا الزيتيه .. والان هناك تهجير لاهالى مدن القنال .

ـ ... .

ـ الجمـاهير خرجت تنادى ببقـاء الرئيس يوم ٩ و ١٠ يونيو .. أيـام خـالدة .

ـ ... .

ـ لن يحدث لكم أى شىء .. لن يفصل اى أسير .. وستعودون بعد اجراءات بسيطة .. كلما تعاونتم معنا كان ذلك أسرع .

بالمناسبة وفد منكم سيزور مقابر الشهداء .. باكر .. استريحوا .. نحن فى خدمتكم لا مقابلات مع المدنيين وأرجو الا تحرجونا ...

كل واحد له عشرة جنيهات من التامينات هدية من السيد حسين الشافعى نحن اخوانكم حاولوا مسـاعدتنا .

ـ ... .

ـ توجد ترتيبات للمحافظة على الطيران ولن يتكرر ما حدث ثانية .

ـ ... .

ـ القيادة كانت مهزوزة وحدث ارتباك لهـا .

ـ ... .

ـ اليوم أحسن بالطبع .. لا .. لا .. لا تخافوا .. زملاء لكم يقومون بواجبهم على الحدود بمجهود فوق طاقة البشر .

ـ ... .

ـ نعم كل سـاعة طيارة محملة بالسـلاح فعـلا .. لقد كان موقف الاتحاد السوفيتى مشرفا ..

ـ ... .

ـ لم تضربنا الطـائرات الامريكية ولكنهم كانوا مستعدين لدخـول الحرب لو انتصرنا تصبحوا على خير ... أيوه البترول زى ما هو سنأخذ ثمنه لنشترى به سـلاحا ...

ـ كل الدول العربية موقفها مشرف .. تصبحوا على خير .. الحمد لله على السـلامة عارفين انكم تعبتم .. وصلتنا أخباركم .. اعمـال عظيمة حقا .. كلنا فخورون بموقفكم هناك .. حاضر .. حاضر .. تصبحوا على خير .. العشـاء بعد نصف ساعة ... تقدروا سيادتكم تتفضلوا ..

كان صديقنا يراقب بالدهاش .. لم يكن قد استوعب بعد انه لم يعد فى عتليت .. ولم يفهم لـماذا العجلة الشديدة لهذا المؤتمر .. كان يشعر بأن هناك شيئا غامضا فى البطء الشديد الذى تكلم به اللـواء فى بداية الحديث

ثم السرعة الغريبة التى كان يرد بها فى نهاية الحديث هل تعرف احساسك عندما تقف أمام حاوى يخرج الارانب والحمام من أماكن فارغة أو لا يمكن تصديقها ٠٠ ولكنك أمام الحمام الذى يطير لا تستطيع تكذيبه وفى نفس الوقت تشعر أنه قد ضحك عليك كان هذا شعوره ٠٠ ولم يهدأ الا بعد أن عرف السبب عندما عاد الى العنبر الذى ترك فيه أشياءه البسيطة فوجد انهم قد فتشوا كل شنطهم وأخذوا ما بها ٠٠ بداية غريبة لعدم الثقة ٠٠تركت لديه شعورا بالمرارة والرغبة فى عدم التعاون مع هذه الاجهزة البوليسية التى لازالت لا تحترم أبسط حقوق الانسان وآدميته ٠٠ وثاروا جميعا ٠٠ شعروا بالمهانة لقد استولوا على خطاباتهم وسجائرهم ٠٠ أدوات الحلاقة ٠٠ الملابس ٠٠ الاحذية ٠٠ حتى السجاير السويسرى التى أهداها لهم الصليب الاحمر وسجاير الكليوباترا ٠٠ بعد أن ديروا الهاءهم فى هذا المؤتمر وتستسلموا أهكذا المخابرات فى أى مكان ؟؟؟

وانتشروا فى المعسكر يكتشفونه ٠٠ بعضهم عرف أن الفيلم الذى سيعرضونه هو السمان والخريف ٠٠ وآخرون اكتشفوا أنهم قد أعدوا لهم تليفونا للاتصال بأهلهم وأحدهم جاء يحمل قصة غريبة ٠٠ لقد وقف الدكتور قدرى يصلى جماعة ٠٠ وفجأة بدلا من أن يركع وقف يخاطب ربنا ٠٠ ليه كده يا ظالم !! ٠٠ هو ده عدلك ؟ وأخذ يهذى بكلام غريب حتى نقلوه للمستشفى ٠٠ وخاف كل منهم على نفسه أن يفقد عقله وابتداوا ينصحون بعضهم بعضا لا تغضب الدنيا لا تستحق ٠٠ لقد انهينا أصعب مرحلة ٠٠ الحمد لله ٠٠ كان من الممكن أن تموت فى أى مرحلة من المراحل السابقة ٠٠

وقف أحدهم يتكلم مع أسرته من خلال التليفون ٠٠ كان منفعلا الى درجة كبيرة وهو يخاطب الطرف الاخر ٠

ـ انا ياستى جوزك ورجعت

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ ايه نسيتينى ولا أيه !!

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ مش متجوزة يعنى أيه !! أمال أنا أيه ٠٠ !

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ياستى أنا رجعت مصر ٠٠٠ انا بكلمك من مصر ٠٠٠

ثم التفت باستسلام للاخرين وقال ٠٠ تصوروا قفلت التليفون فى وشى وضج الجميع بالضحك وقف خجلا يرجوهم أن يسمحوا له بمحاولة أخرى ٠٠ لعلها تتصور أنه يعاكسها ٠٠٠

ـ الو ... انت قفلت ليه .. انا جوزك ورجعت .

ـ ... .

ـ رجعت من الاسر .. أنا فى الكلية الحربية ..

ـ ... .

ـ نمرة كام .. ؟؟

ـ ... .

ـ ياستى دى نمرة بيتى .. هم غيروها ولا أيه !!

ـ ... .

ـ أزاى نمرة بيتكم من خمس سنين ..

ـ ... .

ـ طيب متأسف ...

وقف بجوار الحائط يفكر .. ثم صاح .. آه .. لها حق .. تصوروا نسيت نمرة بيتى .

قرب نهاية فترة الاسر تبادل الاصدقاء ارقام تليفوناتهم .. وخاف هذا الصديق لحرصه على نفسه واسرته أن تقع هذه الارقام فى أيدى الاسرائيليين .. فتغلب عقله الباطن على عقله الواعى بأن غشه وأعطاه رقما خاطئا .. حتى اذا وقع هذا الرقم فى أيدى عدوه نجا هو .. وظل محتفظا بهذا الرقم فى ذاكراته متخيلا أنه الرقم الصحيح حتى أنكرته زوجته .. وقد يكون خوفه من مقابلة عائلته بشخصيته الممزقة الجديدة هى السبب فى أنه اخطأ رقم تليفون منزله ...

ذهب صديقنا لمشاهدة « السمان والخريف » منذ مدة لم يشاهد فيلما ناطقا باللغه العربية حتى قبل الحرب ... قصة الفيلم تشد انتباهه لها .. فالتمزق الذى يعيشه بطل الفيلم هو نفسه تمزقه .. ووحل ما قبل الثورة هو نفسه الوحل الذى عاد منه ... يبكى .. الحرب التى فى نهاية الفيلم تترك شعورا بعدم الراحة لديهم .. بعضهم لا يفهم الرمز فى الفيلم بعودة بطله الى تمثال سعد زغلول .. ينفعل يفسر لهم تمثال سعد رمزا لنقاء الوفد وثوريته .. وهو يعود له دائما عندما يشعر بالتمزق او التناقض ليستمد منه العزاء ..

ـ آه زى الرمز اللى خرج من أجله شعب ٩ و ١٠ يونيو رافضا الهزيمه .

ـ تمام ...

ـ مش مقتنع ٠٠٠

وضع الاكل على بوفيه العشاء بكميات كبيره جدا ٠٠ لحوم ٠٠ فـراخ ٠٠ كشك ٠٠ ارز بالكبد والكلاوى ٠٠ ومطبوخ بشكل جيد ٠٠ كانوا جوعى منذ تسعة اشهر ٠٠ آكلوا بشراهة مرعبة ٠٠ كان كل منهم يود لو كان لديه أكثر من فم وأكثر من معدة ٠٠ علق احدهم فى النهاية ٠٠ أجمل ما فى هـذا العشاء ٠٠ انني لن أغسل الاوعيه بعد ذلك ٠

هكـذا انتهى يـوم رحـلة العـودة ٠٠ رأوا فجـره فى مخرج او مدخـل العريش تظهـر شـمسه من بين النخيـل الكثيـف تشـهد الى متى يظل الانسـان دائبا على ظلم أخيه الانسـان يقتـله ويسـجنه ويعذبه وينفيه ويدمره ؟؟ ٠٠ وانهوا ليله فى معسكرات الكلية الحربية يأكلون بشراهة منقطعة النظير أكلا معدا بصورة جيدة وبكميات كبيرة ومتنوعه ٠٠ والاهم أنهم لن يغسلوا الاوانى بعد الطعام ولن يتمم عليهم الجنود الاسرائيليون ويقفلوا عليهم الابواب بالاقفال ولن يسـتيقظوا باكر على صـوت المذيعـة الاسرائيلية السـاعة شيش بمعنى الساعة السادسة ٠

الفصل السادس

مصـــر

لقد كانت فترة الحضانة التى قضاها أصدقاؤنا فى الكلية الحربية فترة لازمة وضرورية لعمل نقلة موضوعية لهم ·· والا خرجوا للعالم كالوحوش

ورغم ذلك فلقد اكتسب صديقنا بعض العادات التى مازالت تصاحبه حتى الان ·· فهو لا يتحرك أبدا الا ومعه أكثر من علبة سجائر ولا يعتبر نفسه قد تناول طعاما ان لم يحتو على كميات غير طبيعية من اللحوم ·· ولا يستطيع أن يقاوم زجاجة مياه مثلجة ومغبشة من فعل الرطوبة خاصة لو كانت برتقالا أو ليمونا ··· وهكذا حياتنا جميعا أغلب عاداتنا اكتسبناها فى ظروف ومناسبات قد لا نذكرها · وأثرت هذه العادات على شكله وسلوكه وعلاقته بالعالم فصديقنا الذى كان رياضيا لا يزيد وزنه عن الستين ابدا ·· أصبح نتيجة لشرهه انسانا سمينا ذا كرش مترهل ووزنه يزيد على الثمانين ··

اكثر غرابة علاقاته بالجنس الاخر ·· علاقة حسية شرهة لا تمل التغيير والتبديل أبدا ··· كذلك لم يعد يستقر فى عمل فهو دائما قلق متوتر متعجل ·· ترى عيناه العيوب بسرعة شديدة فيهتاج ويقاوم بضراوة لا تتناسب مع الموقف ·

لقد أصبح صديقنا خطرا فلديه الامكانات والذكاء والامانة والتحمس والانسانية والخلق الذى يجعله جذابا لعديد من البشر وفى نفس الوقت كان حادا مدمرا بشكل غير انسانى لمن يخالف وجهة نظره ورأيه وقيمه ·· والعالم لا يحتمل الابيض والاسود الان وانما هو مجموعة من الرماديات المختلفة ·· لذلك فلقد كان مثارا لدهشة المتعاملين معه احداهن أطلقت عليه لقب مصاص الدماء ·· وآخرون كانوا يقولون أنه مرعب ·· شديد الجاذبية ·· شديد الخطـــر ··

يا صباح مصر ·· يا صباح مصر ·· الحمد لله على السلامة ياسادة ·· لديكم اليوم أعمال كثيرة ·· التطعيم ·· وعمل بطاقات شخصية ·· والتقاط بعض الصور ·· وتعديل الافرولات لدى الترزى ·· والحلاقة ·· ومجالس تحقيق الاسر ·· مقابلة المستجوبين ··

هنا أيضا مستجوبون .. وضحكوا جميعا ..

وتحركوا جميعا فى نشاط كل منهم يؤدى عملا من الاعمال التى يجب أن ينهيها قبل الخروج الى العالم . وعند الحلاق وجد صديقنا أحدهم يحلق .. لم يكن قد قابله من قبل .. سأله .. هل كنت معنا .. أجاب بالايجاب . ولكنى لم أرك من قبل .. ابتسم بمزاره وقال .. لقد اعتبرونى جاسوسا .. وليس أسيرا .. ثم استطرد .

بعد حرب يونيو .. كان هناك تشوين ذخيرة ومفرقعات قرب رمانة .. طلب منه ومن زميل آخر نسف هذه التشوينات .. وقاما بنسفها لدرجة ان الاخرين على الشاطىء البعيد تصوروا أن الصاعقة فجرت قنبلة ذرية . بعد ذلك ذهب فى دورية تصوير مطار حربى .. كان بالملابس المدنية ومعه الات تصوير .. سلمه العربان للاسرائيليين فاعتبروه جاسوسا .. سجنوه سجنا انفراديا وزاولوا معه كل أنواع التعذيب .. ثم حكموا عليه بالاعدام .. حتى أنه كان متخيلا وهو عائد لمصر انه ذاهب لتنفيذ حكم الاعدام .. وهذا هو السبب فى تأخر تسليم الاسرى . فاليهود اعتبروه جاسوسا ورفضوا تسليمه والمصريون أصروا على أستلامه ضمن الاسرى .. كان شابا رقيقا وسيما يحب الموسيقى ويعزف على الجيتار ويرقص ويرسم ومن أسرة معظمها فنانون .. رياضى متحمس بتهور .. ورغم كل ما عاناه كان معتزا بنفسه لدرجة كبيرة فلقد كان يجد سببا مقبولا لديه لتحمله العذاب وبالتالى لا تناقض .. لا تمزق .. ولا يعادى نفسه لقد كان وجها آخر تماما لما يمكن ان يكون عليه شباب مصر عندما يعتنى بتربيتهم وعندما يجدون الهدف الواضح ...

تم عمل مجالس تحقيق أسر لاصدقائنا .. تحقيق صورى واجراءات روتينية .. أين سلاحك ؟ ! .. كيف وقعت فى الاسر !! .. لماذا ؟؟ .. مع السلامة ..

ثم استجوابه : شاب صغير السن ذو تقاطع حلوة .. يلبس نظارة ريبان ويسوى شاربه الاصفر بعناية ويتكلم بكسل شديد وملل ..

أسمك .. عنوانك .. سنك .. رتبتك .. ملأت الشيت ؟؟ عندك حاجة عايز تقولها !!

ـ .. ..

ـ آه عارف

ـ .. ..

ـ عارفين احنا الكلام ده .. غيره

ـ آه ٠٠ آه ٠٠ احنا كنا متتبعينه

ـ ... .

ـ اشكرك جدا ٠٠ تبقى فكرة معقولة ٠٠ اكتبها وهاتهالى وارسـم خريطه للكيبوتزات انت مهندس ٠٠ وعليها التحصينات العسكرية ٠

ـ ... .

ـ مش كتبت الحكاية دى خـلاص ٠

ـ ... .

ـ تفتكر يعنى نعمل ايه نشنقهما ٠

ـ ... .

ـ مش قلتلك كتبتها خلاص ٠٠ هل ممكن تتصور اننا نسيب اليهود على الجبهة ونجرى نشوف مين اللى ترك كتيبته ومين اللى هرب ٠٠

ـ ... .

ـ الجيش كله ترك معداته وسـلاحه يعنى على معدات كتيبة مهندسين٠

ـ ... .

ـ ... .

ـ المهم حاولوا يجندوك ٠٠ ولا لأ ٠٠٠

ـ ... ...

ـ والفلوس فين طيب سلمها فى قيادة المعسكر ٠٠

ـ اتغيرنا خالص ٠٠ الجهاز كله اتغير ٠٠٠

ـ ... .

ـ هذا اجراء يجب ان نتبعه أنت كويس ٠٠ غيرك ممكن يكون جاسوس وتأكد مفيش حاجة حتفوت مننا ٠٠ متشكرين ٠٠ تقدر تتفضل ٠٠

ـ ... .

ـ آه ٠٠ آه م أنا عارف ٠٠ عارفين احنا كل حاجة ٠٠ متشكر ٠٠ مـع السـلامة ٠٠

فى نهـاية اليوم وجـد صـديقنا من يبحث عنه ٠٠ فهناك من يقف فى الشارع ينتظره ٠٠٠ جرى فى اتجاه سطح الكلية الحربية المطـل على شارع جانبى ليجد أهله ٠٠ أبوه ٠٠ أمه ٠ أخته ٠٠ خالته ٠٠ والنزعج أن يكون أول لقاء بينهم بهذه الصورة ٠٠ كان يود أن يدفن راسـه فى صـدر أمه ٠٠ ويشعر بتربيت كف والده على ظهره ويقبلهم جميعا يلمسهم بيديه يشم رائحتهم ٠٠ يبكى امامهم فيمسحوا دموعه وتعبه وآلامه ٠٠ جـرى كالمجنون يبحث عن وسيلة ليقابلهم وجها لوجه ٠٠ ليتحدث معهم عن قرب

٠٠ تناقش مع الضباط والصف ضباط حتى سمحوا بمقابلتهم على البوابة ٠٠

ـ ازيك يا أبنى ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ عامل ايه واحشنى ٠٠ صحتك وحشه كده ليه ٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ عذبـوك ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ كانت بتوصلك جواباتى ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ آه

ـ هل كان معه حقيقى ثلاثمائة جنيه ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ أخـذوها منك ٠٠

ـ لا أحضرتهـم ٠٠

ـ والله كويس ٠٠ تعال سلم على أمك وخالتك ٠٠

وطلب منهم صديقنا العودة على أمل لقاء اخر ٠٠ وافهمهم أن ذلك مخالف لتعليمات المعسـكر ٠

كان عائدا مفعما بالعواطف ٠٠ لقد أجهضوا اللقاء ٠٠ ولكنها أمه يعرفها جيدا لابد وانها بكت وقالت ابنى على بعد خطوات واحرم منه ٠٠ أم مصريه ٠٠

ذهب ليشكر قائد المعسكر ٠٠ ويسلمه النقود التى معه ٠٠ أخذها الاخر وشكره ٠٠ عندما خرج تذكر انه لم يأخذ ايصـالا فعاد ليجد أحدهم يقص عليه ما حدث على البوابة ويشككه فى أن المبلغ الذى سلمة صديقنا غـير صـحيح ٠٠٠

وكالقشة التى قصمت ظهر البعير انفجر صديقنا ٠٠ هذه اهانة ٠٠ هذه ليست معاملة ٠ تستولون على أشيائنا بدون علمنا ٠٠ ثم ترسلون الجواسيس خلفنا ٠٠ وتشككون ايضا فى ذمتنا ٠٠

ـ كان الاخر يحاول أن يسكته ٠٠ طيب يا أبنى متزعلش ٠٠ خـلاص متزعلش نفسـك ٠٠٠

ـ استطرد الاخر ٠٠ لو كان اليهود اخذوها مش كان أفضـل ٠٠٠

حاول اكثر من طرف تهدئته ٠٠٠ كان يتحرك فى المعسكر مستفزا هل هذا جزاؤه ٠٠ المثل هذا الموقف حافظ على النقود ٠٠

وهكـذا أصـبح صـديقنا بعـد ذلك يسـتفز لاتفه الاشـياء متخيلا أن العالم يجب أن يسـير كما يتخيـل هو فى دقة ٠٠ وانتظام ٠٠ ولا يسمح لاى خطأ الا الاخطاء التى يرتكبها هو ٠٠ وعادة ما تكون مبررة له ٠

زاروا بعد ذلك مقابر الشهداء ·· وقف يستمع لنوبة صحيان ··
ثم تحرك حول المقابر يقرأ أسماء شهداء ٤٨ وشهداء ٥٦ وشهداء اليمن كان من الممكن أن تكون هنا رفاته تحت عنوان شهداء ٦٧ ·· يجد أم أحد الشهداء بملابس الحداد تبكى ابنا لها من شهداء ٥٦ ·· أحد عشر عاما ولم تنسى ... من أجله ·· دمعت عيناه ··· وقف بجوارها وربت على رأسها ·· نظرت له بحب شديد ·· وكأنها ترى ابنها يخرج من القبر ···

وأخيرا زارهم الفريق محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام جلسوا فى قاعة واسعة فى نفس القاعة تقابلا يوم تخرجه وكان قائدا للكلية الحربية ·· كان لا يحبه ولا يرتاح لطريقة كلامه ·· يوم تخرجه قال لهم احترموا البدلة التى ترتدونها ·· لا تشتر فجلا وطعمية وتتحرك بها ·· ولا تحمل طفلك وانت تلبسها ·· واستنضفوا لما تتجوزوا مش تتجوزوا واحدة بملاية لف وتمشى معاها بالبدلة ·· شعر يومها بالقرف كان يقول عنه أن جنون العظمة يقتله ·· لذلك فلقد اندهش عندما عرف أنه أصبح وزير حربية ما بعد النكسة ·· علق أحد الزملاء سيدير الجيش كما لو كان الكلية الحربيه !! ·· قال لهم ستتشكلون وحدة قتالية من الاسرى ·· وشعر بمغص فى معدته من القرف ما هذا التفكير الرومانسى السخيف ·· لقد قالوا لكم انكم لن تخدموا فى القوات المسلحة وانا اقول لا بل ستعودون لمواقعكم ثانية ·· قارن بينه وبين ما قاله موشى ديان ·· وشعر بالمرارة والحزن · لقد قررنا أن نمنحكم اجازة شهرا ثم تعودون لعملكم ·

الجو صحو ·· وشوارع القاهره كما هى ·· بل اكثر جمالا ·· والشمس الدافئة القوية تضىء المنازل والشوارع والاشجار · ارتفعت الفساتين والجونلات فوق الركبة كثيرا شاب يربى شعره يتبع فتاة مرسلة شعرها وتلبس الميكروجيب وتقفز فى شوارع مصر الجديدة · اعلانات السينما ·· ود لو قبل كل شىء ·· كل من حوله ·· العربة تدخل مدينة نصر وتقف أمام منزلهم ·· رصفوا الشارع الذى أمامهم أهلة يقفون فى البلكونه يلوحون ينزلون لاستقباله ·· أخته ابنة خالته الوجوه كلها سعيدة وتبللها الدموع ··· الجيران يفتحون الشبابيك اصوات الزغاريد تطلقها خالته ·· عائد من الموت ·· أمه تقف على باب الشقة تحضنه ·· صوت صباح « والله واتجمعنا تانى يا قمر ·· » والله واتجمعنا واحلو السهر » ·· الزغاريد تعاود ثانية ·· يدخل الحمام ·· امه تدخل خلفه تريد أن تساعده ·· لقد نسى هذا من مدة طويلة ولكن ابنها ولد من جديد بيجاما جديدة ·· بلوفر جديد ·· قميص جديد ·· والده يعود من عمله ·· يحتضنه ويلتفون حوله ···

كنتم بتاكلوا أيه .. ضربوكم .. عذبوك يا بنى .. كنت بتنام ازاى .. وحشتنا .. وتنهال عليه القبلات .. أمه تجلس بجوارة تطعمه .. تعرف ما يحب وتضعه فى فمه .. كل يا بنى ده أنت محروم .. الله يجازيهم أبوه يقول وهو يبكى .. يا بنى تموت مش مهم .. أنا وأنت وكل شباب ورجال ونساء مصر فداها .. ولكن فى سبيل موقف مش لعب العيال ده .. لو مت فى هذه المهزله لبكيتك طول عمرى .

كانت لحرب ٦٧ والاسر الاثر الاكبر فى شخصية ونفسية صديقنا بعد ذلك اذ ورغم أن هذا شىء لا يمكن ملاحظته لاول وهله كان يحكم شخصيته عاملان هما افتقاد الشعور بالامن والشىء الغريب الذى قد تدهشون له .. الشعور بالنقص .. وكان افتقاده للشعور بالامن يجعله حذرا دائما يضع البدائل باستمرار لا يثق فى أى مخلوق أو أى تصرف على الاطلاق ودائم التغيير لا عواطف له .. جاءنى فى يوم يشكو من أن احدى صديقاته أشارت الى حائط مقابلهم وقالت لو كان هذا الحائط يشعر فستشعر أنت . وأصبح لا يستطيع ان يبقى فى مكان واحد لمدة طويلة .. وكان شعوره بالنقص يدفعه لتغطيته بطبقات سمكية من التصرفات والمظاهر .. فيلبس افضل الملابس ... ويدقق فى اختيار الالوان ويتحرك كالطاووس يسب كل شىء وينتقد كل شىء .. ينفق ببذخ وفى بعض الاحيان باسراف شديد .. وكان يثقف نفسه كثيرا ويقتنى اللوح والمجلات والتماثيل والاسطوانات الكلاسيكية ويستعرض معلوماته وبشكل مستمر ويتعامل مع الناس بتعال وقرف شديد .. ولكنك ورغم كل هذا لا تملك الا ان تحبه ..

فى المساء كانوا يحتفلون بعودته .. تجمع الاهل والاقارب والاصدقاء والمعارف والجيران .. كل منهم يسلم عليه .. يحضنه .. يسأله .. كانوا يصدرون ضجة شديدة أصواتا عالية .. ضحكات .. وصوت الاسطوانة المشروخه من كثرة الاستعمال يعلو ولا احد يستمع إليها .. الطشت قاللى .. الطشت قاللى .. قام بتكاسل .. دخل الى حجرة جانبية .. أمسك كوبا من الويسكى ثم جلس على كرسى مريح مادا ساقيه الى كرسى مقابل .. وأخذ ينظر لقطرات الويسكى وهى تتخلل مكعبات الثلج من خلال فاصل ضبابى كونته قطرات الندى المتجمعة على جدران الكوب وضع الكوب بجواره .. أدار الريكوردر وابتدأ يستمع الى النغمات الأولى من كونشرتو الترومبيت لارتنيان .. خفت الضجة حوله بعد أن أغلق الباب ليحل محلها الاصوات القوية للالات الموسيقية والتى اسلمته للحن خفيف مريح أشاع الخدر فى جسده .. ظل يتابعه لمدة .. ثم شرد مركزا عينيه على صورة له مرتديا فيها الزى العسكرى ..

فتح الباب بهدوء وجلس بجواره . ثم ربت على فخذه وقال ...

ـ يا راجل روق .. ولا تحمل هم .. ده يومك النهارده ..

ـ لا ... ... ولا حاجة ..

ـ هم عذبوك كثير ..

ـ لا .. مش قوى ..

ـ كانوا بياكلو كم ـ أظن مش قوى ـ طنط بتقول كانوا بيحوكوا على العشاء بصلاية أو خيارايه أو طماطماية ..

ـ آه فى الاول ..

ـ علشان كده خاسس .. أظن حتاكل لغاية متعوض اللى فات ..

ـ اسمع .. اسمع اللحن ده .. ثم ردد مدخله مع الموسيقى ليلفت نظره ...

ـ آه كويس .. انت بتحب الموسيقى ..

ـ أحبها جدا ..

ـ وياترى كانوا بيسمعوها لكم هناك ..

ـ أحيانا ..

ـ وشفت اسرائيل طنط بتقول انك زرتها .

ـ آه ..

ـ حلوة اظن حتى من أوروبا .. متقدمة .. زرت أيه !! تل أبيب ..

ـ لا .. خذ سيجارة محاولا أن يشغله عله يتركه فى حاله أو لينسى .
أخذ السيجارة وظل يديرها بين أصابعه ثم امسكها بطريقة توحى أنه لا يدخن وانما يعفر أحيانا على حد تعبيره ..

ـ ونسوانهم حلوة ..

ـ آه ..

ـ اشعل السيجارة ثم نفخ دخانها فى الهواء ..

ـ وكانوا بيدوكوا سجاير طنط بتقول كانت مقرفة ..

ـ فعلا سيئة ..

ـ زى البلمونت كده ..

ـ لا زى السجاير العربى وأسوأ ..

ـ يا سلام وكنتم بتعملوا أيه ..

ـ ولا حاجة لم نمت ..

ـ لكن كان مسموح بهدايا من هنا .. مش كده .. كانوا بيدوكوا السجاير ولا سرقوها . وارتفع صوت الكونشرتو فى أفضل وأحب جزء

الى نفسه ‥ فاعتدل فى جلسته ليستوعبه ‥‥ ثم قال هـذا العمـل لموسيقار معاصر ‥ ومع ذلك من أجمل الالحان التى سمعتها فى حياتى ‥‥

ـ رد عليه ـ يا أخى اقفل الدوشه دى ‥ خلينا نعرف نتكلم ‥ طقطق بشفتيه ‥ أى أسكت ‥

ـ انت ايه اتجننت ‥ جرى لك ايه ‥ هو مفيش حد اتأسر غيرك ‥

فى الحرب العالمية الثانية ناس اتأسرت بالثلاث والاربع سنين وفى كل حرب الناس بتتأسر ده حتى حظك كويس انك ممتش وهنا قفز من فوق الكرسى ‥ ضغط على أصبع الايقاف للريكود وواجهه قائلا ‥ يا سيدى العزيز انت لن تفهمنى ابدا ‥ فانت لم تصل الى شفا الموت ‥ الى شفا الجنون ‥ ولن تفهم ما معنى الموت وما معنى الجنون ‥ أو حتى ما معنى الحياة ‥ أرجوك أتركنى فى حالى ‥

كان صديقنا يشعر بالغربة لقد تخيل لليالى طويلة ماذا سيفعل بالقاهرة ولكنه وبمجرد وصوله الى منزله ‥ وجد نفسه يسقط فى بئر الفراغ . أمامه أختيارات كثيرة وليست لديه القدرة على أن يفعـل شـيئا غير أن يبقى فى حجرته يستمع الى الموسـيقى ويحـاول أن يرم نفسه ‥ لم يكن ليتكلم الا مع والده فلقد كانت هناك رابطة غريبة بينهما كل منهما يشـعر أنه امتداد حقيقى للآخر ‥ قال له : خرجنا فى الشارع زى المجانين مصر ‥ مصر ‥ كانت المنازل تقذف سكانها الى الحوارى فالشوارع ‥ وامتلأت الشوارع بالناس بالبيجامات والجلاليب والشباشب رجال ‥ اطفال ‥ نساء ‥ شباب ‥ خرجت انا وخالتك واختك نهتف ناصر ‥ ناصر ‥ مصر ‥ مصر ‥ أحسـسنا بالهزيمة فى هذه اللحظة فقط ‥ لم يكن من اجله ‥ صدقنى ‥ كان من أجل بلدنا ‥ من الذى سيقود فى هذه الازمة غيره ‥ يتخلى عنا فى لحظة الضيق ‥ واطلقت صفارات الانذار لم نهتم ‥ اطفئت الانوار لم نهتم ‥ اطلقوا المدفعية رقدنا على الارض ثم قمنا ثانيـة ننادى ناصر ‥ ناصر ‥ ناصر ‥‥

قالت له وهى تشد الجونلة الاكثر من قصيرة فى محاولة لتغطية جزء من فخذيها بعد أن لاحظت نظراته الشرهة لها ‥ « البلاك كوتنس يتقـدم شويجنن » وقف فى وسـط الحلقه يراقبها امتدت يدها الى الامام بعنف ثم بسرعة الى أعلى والى اسفل واهتزت رأسها الى اليمين واليسار بشدة مطلقة فى الاتجاه المضاد خيوط شعرها الاسود الطويل الحائر من اهتزازات صياحبته المتتالية وترفع جسدها الفارع للأمام والخلف ثم صاحت مع الجموع التى تصيح « شامب » كان ينظر الى عينيها المغمضتين وأطرافها المتشنجة

الصفراء من شدة الانفعال ويحاول أن يجاوبها ولكن يا للذكرى اللعينة لا تريد ان تبارح خياله ...

دقات الموسيقى العالية تذكره بالقنابل وطلقات الصواريخ ..

أزيز الاورج يذكره بالطائرات المنخفضة الساقطة تقذف لهيبها .... وحتى هذا السمين الذى يأكل البفتيك يذكره بالكلاب التى كانت تنهش الجثث المضروبة بالنابلم ...

كم تغيرت القاهرة فى هذه الشهور القليلة .. فتحت عينيها لتجده مرتبكا وسط الحلقة ابتسمت شجعته مدت اليه يديها بدلال لتمسك بيده ويستمر .

زادت دقات الموسيقى وحشية .. ووصل الانفعال الى قمته .. الاجساد تهتز هزات غير متسقة .. كل منهم فى عالمه .. وعلى وجهه احساساته الخاصة . رائحة العطور المستوردة المختلطة برائحة العرق تثيره وابتسم .. تذكر زميله الذى لكزه .. وقال له من فضلك قل للزميل الذى أمامنا ان يلبس حذاءه ووضع اصابعه على أنفه . من منهم لم تكن رائحته أقذر من رائحة عفن الموتى المتناثرين فى الصحراء . زادت الاضاءة وغلب عليها الالوان الحمراء والصفراء والبرتقاليه .. وارتفعت درجة الحرارة بالصالة وتصبب عرقا .. زميلته تقفز ..الجميع يجلسون يقفون ..يصيحون ..كان يجلس معهم ويضع يديه فوق رأسه تقلده .. يقلدونها يقفون ثم يجلسون مقرفصين واضعين أيديهم فوق رءوسهم يحاول ان يوقف تيار الذكريات . الموسيقى تتوقف فجأة الكل ينظر فى اتجاه الفرقة . عازف الجيتار اسماعيل الحكيم يتمتم بالفرنسية ثم الانجليزية ثم العربية هنا القاهرة الراقصون يرددون صيحته بصيحة جماعية ...

كان ينظر حوله فيجد أن كل شىء قد تغير الملابس ألوانها .. العطور .. تسريحات الشعر .. كلها مستوردة .. حتى الثورة والانفعال مستوردان .. له حق ابن الحكيم أن يذكرهم أنهم ما يزالون فى القاهرة .. القاهرة المهزومة.

تخفت الموسيقى وتهدأ .. ويأخذ زميلته فى حضنه .. يرقصان .. خده يلامس خدها ..وصدرها يخترق صدره ..وساعداها متشبثتان برقبته. وكفاه يعبثان بظهرها .. ويهدأ فى داخل الحضن الانثوى المكتمل .. يهدأ . يهدأ .. يتحرك ببطء .. وينتهى الم .. يتخدر .. ويدمن المخدر .. ثم يزيد الجرعة .. مرة تلو الاخرى .. ويغرق .. يغرق .. يغرق ..

منذ ذلك اليوم اعتاد صديقنا أن تكون له أكثر من صديقة ليضمن مخدره دائما وكانت تغلب عليه لغة الجيش فيقول خط أول وخط ثانى

واحتياطى تكتيكى واحتياطى تعبوى واحتياطى استراتيجى واحتياطى عام ٠٠ وكان كل مرة يحدث حركة تنقلات لتأخذ كل واحدة مكان الاخرى ٠٠ كان فى البداية مرتبكا ثم أصبح محترفا ٠٠ سيء السمعة ومع ذلك لم يكف ابدا رغم الالام والعذابات التى سببها للاطراف الاخرى ٠٠٠ كان مثل ضوء مبهر ٠٠ وكانت الفراشات دائما تقترين منه ليحترقن ٠٠ كم تغير صديقنا كما تغيرت قاهرته ٠٠٠

وضع اسطوانة السيمفونية التاسعة لبيتهوفن فوق البيكب ثم أدار الجهاز ٠٠ وتهادت اليه أصوات الشيلوهات وهى تعزف اللحن الرئيسى كان جالسا على كرسيه مادا ساقيه للامام فى لامبالاه٠٠ناظرا الى بخار الماء المتصاعد من كوب الشاى الساخن ٠٠ وانتهت الحركة الاولى والثانية والثالثة ٠٠ وابتدات الحركة الرابعة ٠٠ اللحن الاساسى بدأ يتكون ويتكثف أكثر ٠٠ الالات جميعها تنطلق مرددة للحن وأصوات الكورال تأتى متصاعدة ٠٠ عندما فتح والده الباب مبتهجا وكأنه عاد اليه شبابه ٠٠ قال بصوت عال جعله يوقف الاسطوانة ٠٠

ـ معرفتش ايه اللى حصل ٠٠ ثم اكمل دون انتظار لاجابة ٠٠ اضرابات فى الشارع الشباب ٠٠ الشباب يا سلام بلدنا لسه فيها الخير ٠٠ أنا مشيت فى الاضراب بنفسى رغم شيبتى دى ٠٠ وشجعتهم فى الحقيقة وعى مش معقول ٠٠ كانوا عاملين لجان للمحافظة على النظام حاول بعض الاولاد ضرب عربية المطافى منعوهم ٠٠ اضراب فى مصر فين من خمس عشرة سنة لم يحدث هذا ٠٠ الشباب مازال فيهم الامل ٠٠ اكمل استماعه الى التسجيل ٠٠ فلقد خاف عليهم منه ومنهم عليه ٠٠ ظلت هذه الرغبة تؤرق صديقنا طويلا ٠٠ حتى شارك بعد ذلك فى عديد من المظاهرات والندوات وكانت أكثرها اثرا فى نفسه عندما اعتصم الشباب فى نهاية ٧٢ وبدايات ٧٣ فى صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة٠٠ وذهب لمقابلتهم ٠ كان يقول أن جو الحرية فى هذا المكان فى هذا الوقت كان يمكنه أن يحرك القلب المريض المنهار ٠٠ مئات من افضل شبابنا يجلسون معا فى حوار آختيارى يناقشون كل مشاكل الامة ٠٠ ويكتبون مجلات تضرج بالحرية والشجاعة يقولون فيها كل ما يخطر على البال وأى شيء حتى ولو كان خطأ ٠٠ ثم يناقشونه وبتحمس ٠٠ وايجابية ٠٠ ويتفقون ويختلفون ٠٠ كانت لهم قيادة منهم احتلت المنصة ورغم صغر سنهم الا انهم اداروا حوارا راقيا بديموقراطية متقدمة للغاية ٠٠ فى ذلك اليوم ذهب وفد منهم الى مجلس الشعب ليناقش ٠٠ واتفقوا معهم على أن يذيعوا بيانا لهم فى نشرة الاخبار وجاءوا ممسكين بعضهم بيد بعض فى طابور طويل على جانبى ممرات القاعة من الباب

الخارجى حتى المنصة ·· منشدين بـلادى ·· بـلادى ·· بـلادى ·· لك حبى وفؤادى ·· كان يجلس بينهم مستمتعا بجو الحرية ·· والحماس ·· وتجمعوا حول المذياع ·· ولكن خلف مجلس الشعب وعده ·· وجلسوا فى حسرة واضعين أيديهم تحت خدودهم ·· بعد فترة كان الامن المركزى يتجمع فى الخارج ·· ثم هاجم القاعة أمسـكهم جميعا ·· شبانا وشـابات فى عمر الزهور ممتلئين حماسا وطاقة ووطنية ·· يريدون أن يفهموا فقط ·· وخرجوا ينشدون اصحى يا مصر ·· أصحى يا مصر ·· احنا ولادكم احنا أخواتكم احنا ·· بنعمـل كده علشـانكم ··

يوم آخر أعتصم فيه الشباب فى ميدان التحرير ·· حول النصب التذكارى الذى أعد فى يوم ما ليحمل الخديوى اسماعيل· ·وتوقفت الحركة فى الميدان احتلوه ·· كانت لهم بعض الاسئلة والمطالب ·· كانوا يبحثون عن الحرية ويحاولون أن يتنفسوا بعد أن طال الاحتلال ·· ثم هاجمهم الخيالة فى الفجر وقبضوا عليهم

لم يكن صديقنا يتصور بالطبع أن اجتماعات هؤلاء الشباب أو منشوراتهم أو مظاهراتهم سوف تغير الاوضاع أو تحرر سيناء ولكنه كان يأمل أن يوجـه هذا الحماس وهذه الايجابية فى اتجاهها الصـحيح فلقد أصـبح يؤمن بأن الديمقراطية والحرية وتعدد الاراء وصراعهـا هو الامن والامان للمسـتقبل وأن علينا أن نشجعهما حتى ولو حدثت أخطاء ·.·.·

دعى صديقنا الى قرية صغيرة من قرى الوجه البحرى ليلقى محاضرة وندوة والتف حوله مجموعة من مثقفى الريف وبعض الفلاحين ومن خلال دخان الفرن الذى أشـعل لعمـل الفطير فملأ حجرات المنزل المتواضع دار حوار ·.··

ـ لكن يا عم محمد لـماذا لا تحلون هذه المشكلة بشكل ذاتى ·· يعنى بدلا ما يقطع كل منكم الخمسة كيلو مترات لاحضار المياه ·· تذهب مجموعة كل يوم بالدور محملة بعدد من الفناطيس تملأ ميـاه ·· وتفرغها فى فنطـاس أو اثنين فى وسـط القرية تستخدمونه جميعا ···

ـ يا أستاذ لازم الحكومة تدخل ·· أيه يعنى لـما يمدوا لنا خطا لغاية عنـدنا ·

ـ انت عارف أن الموضوع بالدور وبتحكمه ميزانية محدودة ·· ولو ذهبنا لرئيس المدينة وقلنا له عزبة أبو غفار ·· حيقول وباقى العزب ··

ـ وايه يعنى يا أستاذ حتتكلف الميه لكل العزب كام الف ·· الفين بدل الجناين واعمده النور والزواق نمد ميه الاول نشرب وبعدين نزوق ·

ـ ولغايه ميمدوا خطوط حتشربوا منين··م تحلوا الموضوع بشكل جماعى

ـ يا بيه انت متعرفش احنا عايشين ازاى انت فكرك الفلاحين بيحبوا بعض وطيبين ومتعاونين بيقولوا كده فى المدرسة والجرنال ·· والنعمة دى ولام أوعى أكلها · كنا حنقتل بعض على شوية تبن ·· العزبة دى ما انت عارف ملك الدكتور حشاد بتاع الرمد اللى فى البندر ومأجر لكل واحد فدان ولا اثنين ·· وفى وسط العزبة الشونة اللى قدام سعادتك دى ·· قلت أوضبها وأدخل التبن جواها وازرع الشبرين دول بينفعوا برضه ·· الغيرة أكلت قلبهم راحوا يشتكونى لصاحب الملك ·· تقوم تقولى نملا سوا ··· لا يابيه الحكومة تمد لنا الميه ··

ـ يا عم محمد احنا فى حالة حرب والبلد كلها مشغولة ··

ـ يعنى يا بيه حالة الحرب على الغلبان اللى زى حلاتى ·· ربنا ينصره عبد الناصر وملعون ابوهم اليهود ·· قصدى الصهاينة لتقولوا علينا متعصبين لكن برضه نفضل من غير ميه ···

فكرة غريبة سيطرت على عم محمد ان كل من لبس بنطلون وقميص وقدم من البندر أصبح من السلطة ·· وعليه أن يحل له مشكلته الشخصية ·

عندما يحل الليل يشعر صديقنا بالانقباض فالحبس فى حجرة مغلقة ذات اربعة جدران أصبحت تسبب له ضيقا ·لذلك فلقد طرق أبواب جميع دور العرض فى القاهرة ولفت نظره ظاهرة غريبة ·· أن جميع الافلام المعروضة تقريبا أفلام جنسية ·· فلنراجعها ان لم تخنى الذاكرة ·· سينما مترو فيلم «انفجار» فيلم عن الضياع واغراقه فى اللذة الجنسية سينما رمسيس « الحياة للحياة » فيلم يدعو للانطلاق والحب وتحويل المشاكل العامة والحروب الى تسلية مع الغرق فى اللذة الجنسية ·· سينما أوبرا « الحب اقدم مهنة فى التاريخ » فيلم يحكى قصة وتاريخ الدعارة وتطورها ·· سينما كايرو « الزواج وحبوب منع الحمل · ما معنى هذا هل هناك خطة مسبقة لدعوة الشعب المصرى لان يغرق همومة وثورته فى مجموعة الانفعالات الجنسية وماذا كان رد فعل ذلك ·· !! امتلأت السنتريوهات والملاهى بالشبان والشابات يرقصون اسما ويمارسون الجنس بأشكال غريبة ·· فى بعض الملاهى شاهد صديقنا من خلال الاضواء الخافتة جدا بعضهم يزوال الجنس ·· وانتشرت الدعارة وطوقت شرائح واسعة ومختلفة من الناس ·· وهكذا بعد الحروب ·· تتحلل جميع الاشياء والقيم ·· والافكار ·· ولم ينج أحد ··

بعد أيام زار صديقنا مندوب من المخابرات الحربية ·· ثم أخذه معه فى عربة سوداء طويله عليها ستائر ·· ركب فى الخلف بين رجلين من المخابرات مسلحين وفى الامام كان آخر وسائق ··

ــ الى اين ..

ــ لا نعــرف ..

ــ ماذا تريدون ..

ــ لا نعرف ..

ــ من الذى أمركم بذلك ..

ــ لا نعرف .. فصمت حتى وصلوا الى مبنى صغير يخـل احدهم قفل جميع الابواب ثم قاده الى حجرة صغيرة وخرج وقفل الباب خلفه .. الحجرة بها سرير صغير ومرآة ومنضدة بكرسيين وستائر على الشبابيك المغلقة ..

الزمن يمر ببطء خمس دقائق .. عشرة .. ربع ساعة .. نصف ساعة ..ساعة ... ويدخل احدهم يضـع امامه مجموعة من الاوراق وقلم هـذه وثيقه تعارف أرجو أن تملأها بعناية ستحاسب على كل حرف تكتبه .

ويسأله محاولا تخفيف الموقف بابتسامة .

ــ هل تتهمونى بشىء ..

ــ لا مجرد اجراء روتينى ..

أحدهم يدخل حاملا كوبا من الشــاى يضعه امامه ويخرج .

يملأ الوثيقة وهو يتأملها بعناية ببيانات متشعبة ينتهى منها ومن شرب الشاى .. ويجلس ينتظر .. يصفر بفمه .. يرقد على السرير .. يعيد قراءة الوثيقة .. ينظر الى المرآة ويلعب حواجبه وتمضى ساعتان قبل أن يحضر احدهم يدعوه لمقابلة الرائد ..

ــ رجل سمين ابيض الوجه احمره .. إبتدأ الصلع يزحف على شـعره المرتب بعناية حليق الذقن راض .. يدخن سيجارة طويلة من علبة علبة سجائر تشبه علب السجائر السويسرية التى اخـذوها منهم يوم حضورهم .. مازالوا يدخنون منها حتى الان .. وأبتسم .

ــ صباح الخــير

ــ مشغول فى قراءة اوراق أمامه .. ثم ينظر له ويبتسم .

ــ أهلا .. أهلا .. اتفضل يا فندم .. أحنا اسفين جدا للتعطيل .

ــ لا .. لا يهم ..

ــ آه

ــ شوف يا فندم .. انت هنا فى بلدك وبين أهلك وموقفك من مخابرات العدو يخالف موقفك الان .. نحن نحاول قدر جهدنا أن نستفيد منكم

.. وأيضا أن نؤمنكم والان امامك الفرصة الحقيقية لكى تصبح صفحاتك بيضاء .. وهى أن تقول كل ما تعرف .. وكل ما حدث..

ــ أنا قلت فى الورق اللى كتبناه يوم أن حضرنا .

أنا قراته كلمة .. كلمة .. ممكن تقوللى .. أحب أسمع منك .. قصـــتك .

ــ أى قصـــة .

ــ قصه أسرك .

ــ كنا كتيبة مهندسين الفرقة

ــ باختصار من فضلك فين اتاسرت ... !!

ــ قرب مطـــار المـــليز .

ــ أسرتكم دورية أسرائيلية مش كده .

ــ آه

ــ ونقلوكم للمطـــار .

ــ آه

ــ مين كان معـــاك ؟

ــ كتير .. فلان وفلان وفلان

ــ آه

ــ اخذوا منكم حاجتكم مش كده .. انت ليه مشريتش حاجة يا سلام.

ــ آه الا مائتى جنيه احتفظت بهـــا ..

ــ يا ســـلام مائتى جنيه .. ازاى كانوا بتوع أيه .

وهنا ابتدأ صديقنا يفهم لماذا أحضروه فابتدا يجس النبض

ــ أيه حاجة غريبة انى أرجع بمائتى جنيه .

ــ لا .. لا ابدا لكن أحب أفهم ازاى رجعت بيهم .

فقص عليه القصة كاملة .. بشهودها .. بتواريخها .. بجميـــع التفاصـــيل على الاخـــر .

ــ انت عارف يا فندم لم يحدث فى تاريخ المخابرات أن فر منا جاسوس لنا قصص كثيرة معهم .. جاســـوس كان .. وجاســـوس اخر .. وجاسوس اخر ورغم كل الاشكال العلمية والنوعية من المخابرات الاسرائيلية الا أنهم سقطوا فاهم .

وهنا غلى الدم فى رأس صديقنا واعتبر ذلك اتهاما وتهديدا فرد

ــ وما دخل هذا بى .... !!

ـ مجرد معلومات عامة يمكن تحب تقول حاجة تانية ·

مد صديقنا ساقيه على الكرسي المقابل واستعد للصراع ·· بعد التصريح الواضح للاخر فسأله ·

ـ انت بتشك فيه كام في الميه ·

يفاجأ الاخر ويرد بسرعة

ـ انا لا اشك فيك ولكن هذه الاحتياطات لصلحتك ·· ثم يستطرد احنا عندنا هنا تسجيل كامل لكل تصرفاتكم اثناء الاسر ·

يبتسم الاخر ويسأل بخبث

ـ ياه وكيف حصلتم عليها ؟

يرد الاخر بتباهى

ـ لنا بالطبع رجالنا هناك ·· ويمكن اللى كان بيستجوبك هناك منهم ·

ضحك الاخر بصوت عال ورد

ـ ولكن هذا شيء خطير

امتعض واجاب ـ لماذا ؟؟

رد الاخر بخبث ـ لان بالطريقة دى ما الضمان بأن من يستجوبني الان ليس من رجالهم ···

اصفر وجه الاخر ونظر له بشراسة ·

فأكمل ليخفف الموقف ـ يا فندم التسجيلات التي عند سيادتك انا اللى حملتها من اسرائيل حتى هنا ·· والرائد صفوت سجلها وخاف يحملها كان هذا كافيا لرد كرامته امام رجل المخابرات الذى يشك فيه · ولكنه تمادى ·

ـ السجائر التى امامك دى كويسه ·· طعمها كويس ··

رد الاخر ·

ـ آه اتفضل ·

ـ لا ·· اصلها سجايرى وانتم صادرتموها ··

ـ رد الاخر ·

ـ احنا آسفين جدا لكن انت منفعل ليه كده ·· انا أؤدى واجبى هنا ·· وكان من الممكن أن تكون انت مكانى واكون انا مكانك ·· الموضوع وظيفة وخدمة ودور ··· وكما ترجو أن تؤدى دورك بصورة جيدة لا تستبعد أن يؤدى الاخرون دورهم ·· ويجب أن تعطينى الفرصة كاملة لذلك فالصلحة فى النهاية مصلحة وطننا ·· وعموما انا مقدر ظروفك لكن هل تعلم أن من ضمن خمسمائه ضابط اسير حاولت المخابرات الاسرائيلية تجنيد حوالى ثلاثمائة وأن هناك

أكثر من مائة ضابط استجابوا لها وجندتهم ولولا اعترافهم لما استطعنا أن نساعدهم .. هل أنت راضي الان ؟

قام الاخر وسلم عليه بحرارة محاولا الاعتذار عن لهجته الحادة وقال

ــ ولكن لم يحدث لي هذا ... شكرا ..

خرج صديقنا مندهشا ... كيف يحدث هذا .. كيف يجرؤ انسان ما على دعوة آخر لان يخون بلده ... مجرد دعوة .. فما بالك بأن يستجيب ولماذا لم يدعوه لذلك .. ان هذا يتوقف على مدى الذعر والسقوط الذى حدث للضابط بحيث توجه له مثل هذه الدعوة .

اجتمع بهم بعد ذلك نائب مدير السلاح .. كانوا مجموعة المهندسين العائدين من الاسر .

قال ــ انتم أخر من ترك السلاح .. الذين عشتم التجربة حتى نهايتها ورأيتم العدو رأى العين .. ولذلك فسنستفيد من خبرتكم الطويلة .

سأله احدهم ــ ما حال الجيش اليوم .

ــ فى أحسن حال .. بعد الهزيمة حدث انهيار ولكننا عوضنا اليوم اكثر من سبعين فى المائه من خسائرنا .. وطعمنا صفوفنا بجنود مؤهلات عليا سيعود كل منكم لوحدته فيجد تغييرا كبيرا .

ــ . . . .

الفريق مرسى فقط .. وحل محله سياده اللواء جمال محمد على . والقيادات اصبحت افضل .

ــ سيادتك بتقول القيادات . الم يزل قائد كتيبتى ورئيس عملياته اللذان هربا من المعركة قادة .. ؟؟

ــ لا .. لا .. انتم أعصابكم تعبانة .. من قال لك انه لم يحدث تحقيق .

ــ انا اعــرف .

ــ يابنى لا تكن مندفعا هكذا كل القيادات هربت .. سلاحنا احسن سلاح .

ــ ولذلك لا تعلنون ما تم ليبقى سلاحنا أحسن سلاح .

ــ هذا مخالف للواقع .

ــ اسمح لى انتم القيادات الكبيرة بيغطى بعضكم على بعض .

لا .. لازم تعرف انك لسه ضابط وانه يمكن محاسبتك على مثل هذا الكلام سأقدر مدى تعبك ولكن قبل أن تتكلم فكر فى مستقبلك .

ــ .. .. .. صمت طويل

ــ الحمد لله على السلامه أن شاء الله نشوفكم فى وحداتكم قيادات جيدة تطور الجيش المصرى وشكرا ..

لا شك أن حرب ٧٣ بعد ذلك كانت حرب سلاح المهندسين فالسلاح هو الذى ابتكر هدم الساتر الترابى بشاشات الماء .. وهو الذى متح الثغرات وهو الذى أنشأ الكبارى والمعديات وهو الذى أمن الطرق فى الارض المفتوحة وأزال الالغام ورص الغاما جديدة ولقد حدث هذا من خلال تدريب شاق .. وكان نائب مدير السلاح له الحق .. ولكن صديقنا كان مطعونا .. لانه لم يجد أى أذن تصغى له وتفسر .. هل يمكن أن يهرب قائد من المعركة ويترك رجاله بدون أوامر أو تعليمات ولا يحاسب .. ولو بشد اذنيه .. ولقد اعترف بعد ذلك صديقنا .. وندم أن صبره قد نفذ مبكرا فلم يصمد مع القوات المسلحة حتى تحقق نصر ٧٣ . فلقد كان ومازال لا ترى عيناه الا الاخطاء .. ولا يستطيع أن يميز الخيوط البيضاء الرقيقة فى الرقعة المظلمة .. وهذا حال اغلبنا بعد النكسة فماذالت أرواحنا محبوسة ..

حملت له سؤالى هذا ــ الم يحن الوقت الان لكى تتحرر الارض المحبوسة داخلنا .. ؟

قال : هذا السؤال أوجهه لك بصفتك طبيبى .. هل هناك امل لان تتحرر الارض المحبوسه داخلى ؟

وأنا انقل لكم هذا السؤال أعزائى القراء هل هناك امل لان تتحرر الارضى المحبوسه داخلنا منذ ٦٧ .. ؟

انتهت بعد خمسة أيام من تحرير
الأرض المحبوسة فى سيناء
ابريل ١٩٨٣

المؤلف :

ـ محمد حسين على يونس
ـ من مواليد القاهرة ٣/٣/١٩٤٠
ـ حاصل على بكالوريوس العماره ١٩٦٢
ـ عمل بالقوات المسلحة حتى اكتوبر ١٩٧٠
ـ رائد بالمعــاش .

مؤلفــات

ـ احاديث عن الغوله	مجموعة قصص قصيرة
ـ طعام لنا بدلا من طعام الالهه	مجموعة قصص قصيره
ـ جدى الملك الأله	مجموعة قصص قصيرة
ـ على شفا الموت على شفا الجنون	قصــة طويلة
ـ اجمل الكلمات لم اقلها بعد	قصــة طويلة
ـ خطوات على الأرض المحبوسة	قصــة طويلة

رقم الايداع ٨٣/١٨١٥

دار المأمون للطباعة والنشر

امام سنترال الهرم ـ الطالبية ـ جيزة ـ ت : ٨٥٦٨٢٠

خطوات على الأرض المحبوسة

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الايام الستة التى عرفت بأيام النكسة ... وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب والاسر الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى أنذاك ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته لكثير من السلبيات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للأنسان المصرى والعربى .

كتب الكتاب بأحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها ويلفحها بالكرباج حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل

دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة